سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

المركز الإسلامي للدراسات
لبنان - بيروت - الضاحية الجنوبية - أوّل حي ماضي
بناية حجازي - ط1 - تلفاكس: 00961.1.274519
البريد الالكتروني: alhadi@alhadi.org

المنشورات : بيروت - بئر العبد - سنتر الانماء 3 - 00961 70995421

سيرة الحسين عليه السلام

في الحديث والتاريخ..

السيد جعفر مرتضى العاملي

الجزء الثاني عشر

المركز الإسلامي للدراسات

بسم الله الرحمن الرحيم

الباب الرابع:

قبل سفر مسلم إلى العراق

الفصل الأول:

الحسين × في مكة..

الأنشطة الحسينية في الفترة المكية:

قالوا: إن الإمام الحسين «عليه السلام» قد أقام في مكة أكثر من أربعة أشهر، ثم توجه إلى العراق في العشر الأولى من ذي الحجة..

وقد حفلت إقامته «عليه السلام» في مكة بنشاطات كثيرة ومتنوعة، فمثلاً:

١ ـ كان «عليه السلام» يلتقي بالناس، كل الناس من الوافدين إلى مكة وغيرهم، ويجتمعون حوله حلقاً حلقاً، ويجاذبهم أطراف الحديث في الأمور التي تهمهم.

٢ ـ كان يجتمع أيضاً بالشخصيات التي تفد إلى مكة، وتجري له معهم حوارات في مختلف الشؤون.

٣ ـ كان يرسل الرسائل إلى المدينة، وإلى أهل البصرة، وأهل الكوفة، ولا ندري إن كان قد أرسل إلى بلاد أخرى أيضاً أم لا. فإن التاريخ لم يفصح لنا عن ذلك.

٤ ـ وكان أيضاً يتلقى الرسائل من أهل الكوفة بغزارة مشهودة. حتى أجابهم أخيراً برسالة بعثها إليهم مع مسلم بن عقيل..

٥ ـ أرسل ابن عمه مسلم بن عقيل إلى أهل الكوفة، ليستطلع حال

أهلها.

٦ ـ ألقى «عليه السلام» أيضاً بعض الخطب في مكة، كان ولا يزال وسيبقى يتردد صدى بعض مضامينها عبر التاريخ إلى يوم القيامة..

٧ ـ كان يؤم الصلاة جماعة فيها.

٨ ـ حين ظهر للعلن أنه عازم على السفر إلى العراق، ولاسيما بعد إرساله ابن عمه مسلماً إلى الكوفة نشط جماعة في بذل المحاولة لإقناعه بالعدول عن عزمه هذا، فكانوا يقصدونه، ويحاورونه، وكان عدد منهم يكتب إليه بما يظن أنها نصيحة له..

٩ ـ وزاد عدد هؤلاء الناصحين!! حين أعلن هو عن موعد سفره. وخطب في الناس بعض خطبه التي أراد لها أن تمهد لهذا الحدث الكبير والخطير.

وغير ذلك..

توطئة وتمهيد:

قالوا:

وبعد مسير طويل، دام عدة أيام لاحت للإمام ومن معه من بعيد جبال مكة، فجعل يتلو هذه الآية: **(وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ)**(١)»(١).

(١) الآية ٢٢ من سورة القصص.

وفي نص آخر: أنه «عليه السلام» لما دخل مكة قرأ هذه الآية المباركة، فهو «عليه السلام» بقراءته هذه الآية يخبر أنه يقدم على مرحلة جديدة يحتاج فيها إلى هدايات الله، ودلالاته وألطافه.

كما أنه «عليه السلام» يشير بقراءته هذه الآية: إلى أن مكة ستكون هي ابتداء المسيرة، وليست نهايتها.

ويشير إلى أنها مسيرة فيها خفايا ومفاجآت وأمور لم تسبق أن مرت عليه نظائر لها ومشابهات.

ويدل على ذلك: أن موسى «عليه السلام» بعد أن قتل القبطي، وطلبه أعداؤه خرج إلى جهة مدين ولم يكن قد ذهب إليها من قبل ولا عرف طريقها.

كما أنه لم يكن يعرف فيها أحداً من الناس، ولا كان له فيها بحسب علمه معين ولا ناصر. وإنما توجه إليها لأنها كانت لا تخضع لسلطان فرعون.. وكان «عليه السلام» يطلب الخروج إلى بلد له هذه

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨١ ولواعج الأشجان ص٣٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٣٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٧ والإرشاد (ط دار المفيد) ج٢ ص٣٥ وروضة الواعظين ص١٩٠ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ والأغاني ج١٨ ص٤٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٨ وكنز الدقائق (تفسير) ج١٠ ص٥٣.

الصفة. لأنه يريد أن يسلك طريق النجاة من الظالمين.

وهذه كانت حال كربلاء، فهي بمثابة سبيل نجاته باستشهاده «عليه السلام».

الفرح هنا.. والغم هناك:

قال ابن أعثم وغيره:

ودخل الحسين «عليه السلام» مكة، ففرح به أهلها فرحاً شديداً.

قال: وجعلوا يختلفون إليه بكرة وعشية. واشتد ذلك على عبد الله بن الزبير، لأنه قد طمع أن يبايعه أهل مكة، فلما قدم الحسين شق ذلك عليه، غير أنه لا يبدي ما في قلبه إلى الحسين. لكنه يختلف إليه، ويصلي بصلاته، ويقعد عنده، ويسمع من حديثه. وهو مع ذلك يعلم أنه لا يبايعه أحد من أهل مكة والحسين بن علي بها، لأن الحسين عندهم أعظم في أنفسهم من ابن الزبير[١].

وذكر ابن كثير: أن ابن الزبير كان يغدو ويروح إلى الحسين، ويشير عليه أن يقدم العراق، ويقول: هم شيعتك وشيعة أبيك[٢].

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠.

(٢) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ و ٤١٦ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٧٠.

وقال الطبري وابن الأثير:

فأقبل أهلها يختلفون إليه ويأتونه ومن كان بها من المعتمرين وأهل الآفاق. وابن الزبير بها قد لزم جانب الكعبة، فهو قائم يصلي عندها عامة النهار، ويطوف ويأتي حسيناً فيمن يأتيه، فيأتيه اليومين المتواليين، ويأتيه بين كل يومين مرة، ولا يزال يشير عليه بالرأي، وهو أثقل خلق الله على ابن الزبير. قد عرف أن أهل الحجاز لا يبايعونه ولا يتابعونه أبداً ما دام الحسين باقياً بالبلد، وأن حسيناً «عليه السلام» أعظم في أعينهم وأنفسهم منه، وأطوع في الناس منه(١).

وقال أبو حنيفة الدينوري عن الحسين «عليه السلام»:

فنزل شعب علي، واختلف الناس إليه، فكانوا يجتمعون عنده حلقاً حلقاً، وتركوا عبد الله بن الزبير، وكانوا قبل ذلك يتحلقون إليه، فساء ذلك ابن الزبير، وعلم أن الناس لا يحفلون به، والحسين «عليه

(١) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢٠٧ وج٢٨ ص٢٠٣ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤١٥ و ٤١٦ وبغية الطلب ج٦ ص٢٦٠٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٧٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٣ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٧ وج٣٣ ص٦٧٠ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٠ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦١ والإرشاد ج٢ ص٣٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٥ وراجع: بحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢.

السلام» مقيم بالبلد، فكان يختلف إلى الحسين صباحاً ومساءاً[١].

وقال الخورازمي عن الحسين «عليه السلام»:

«كان قد نزل بأعلى مكة، وضرب هناك فسطاطاً ضخماً، ونزل عبد الله بن الزبير داره بقيقعان (الظاهر أن الصحيح: قعيقعان)[٢]. ثم تحول الحسين «عليه السلام» إلى دار العباس، حوله إليها عبد الله بن عباس.

وكان أمير مكة من قبل يزيد يومئذ عمر بن سعد بن أبي وقاص (الصحيح عمرو بن سعيد بن العاص (الأشدق)..). فأقام الحسين مؤذناً يؤذن رافعاً صوته، فيصلي بالناس. وهاب ابن سعد (الصحيح: ابن سعيد) أن يميل الحجاج مع الحسين «عليه السلام» لما يرى من كثرة اختلاف الناس إليه من الآفاق، فانحدر إلى المدينة، وكتب بذلك إلى يزيد الخ..[٣].

وبعد عودة الأشدق إلى المدينة، وكان ذلك في شهر رمضان. أرسل عمرو بن الزبير في سبع مئة رجل أو في ألفي رجل ليحارب أخاه عبد الله بن الزبير ـ وكان يزيد حلف أن لا يقبل بيعته حتى يأتوه به في جامعة ـ فهزمهم عبد الله بن الزبير واقتص من أخيه عمرو.

ولعل الذين نصروا ابن الزبير لم ينصروه اقتناعاً به، وإنما

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٩.
(٢) جبل معروف بمكة، مقابل جبل أبي قبيس.
(٣) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠.

دعتهم الحمية إلى رد العدوان على مكة، لأن هتك حرمتها يضر بحال أهلها، ويسقط حرمتها عند الناس، ومهما يكن من أمر فقد قال ابن كثير هنا:

«وعظم شأن ابن الزبير عند ذلك ببلاد الحجاز، واشتهر أمره، وبعد صيته، ومع هذا كله ليس هو معظماً عند الناس مثل الحسين «عليه السلام»، بل الناس إنما ميلهم إلى الحسين «عليه السلام»، لأنه السيد الكبير، وابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فليس على وجه الأرض يومئذ أحد يساميه ولا يساويه، ولكن الدولة اليزيدية كانت كلها تناوئه»(١).

ونقول:

نحب لفت نظر القارئ إلى ما يلي:

أهل مكة وأهل البيت ٨:

١ ـ عرفنا في الجزء السابق من هذا الكتاب: أن أهل مكة ما كانوا يوالون أهل البيت «عليهم السلام»، وقد روي عن الإمام السجاد «عليه السلام» قوله: ما بمكة والمدينة عشرون رجلاً يحبنا(٢).

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٥١ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٢.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٤ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٧ وج٤٦ ص١٤٣ والغارات للثقفي ص٣٩٣ و (تحقيق السيد جلال الدين الحسيني) ج٢ ص٥٧٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨ ومستدرك سفينة البحار ج٨ ص٥٧٩.

قال أبو جعفر الإسكافي عن علي «عليه السلام»: «وأمّا أهل مكّة فكلّهم كانوا يبغضونه قاطبة»(١).

ويقول إبراهيم الإمام والأصمعي: أما مكة والمدينة، فغلب عليهما أبو بكر وعمر(٢).

على أن مكة كانت تحتضن قبيلة قريش الحاقدة على أمير المؤمنين «عليه السلام»، وكل من له به أدنى صلة أو رابطة. وقد شكا علي «عليه السلام» تحامل قريش وتحريضها عليه مرات عدة(٣).

فإن كان هناك من فرح بقدومه إلى مكة، فلا بد أن يكونوا في الأكثر من القادمين إليها، والمعتمرين، والمجاورين فيها من غير أهلها، أو من الجماعات التي تأتي من الأطراف، لا من أهل مكة الأصليين.

٢ ـ إن توافد الناس على الإمام الحسين «عليه السلام» أمر

---

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص١٠٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٢٩٨ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٧.

(٢) معجم البلدان ج٢ ص٣٥٢ وأحسن التقاسيم ص٢٩٣ وعيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٢٠٤ وراجع: روض الأخيار المنتخب من ربيع الأبرار ص٦٧ والعقد الفريد ج٦ ص٢٤٨ والسيادة العربية ص٩٣ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ج١ ص١٠٢.

(٣) راجع على سبيل المثال ما ذكرناه في كتاب: علي «عليه السلام» والخوارج ج١ ص٢٦ ـ ٣٦.

متوقع، ومألوف، وسيكون الوافدون من مختلف الفئات، والتوجهات، وسنرى فيهم العدو الذي يريد أن يستطلع الأجواء، ويرصد التحركات، ويلاحق النوايا من خلال الكلمات والهمسات.

وفيهم المحب الذي يلتمس رضا الله تعالى في مودته لأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة..

وفيهم أيضاً من لا ينتمي إلى فئة، ولم يتخذ موقفاً، لا في هذا الاتجاه ولا في ذاك. وإنما يريد أن يتعرف على هذا الوافد، وأن لا تفوته رؤيته في فرصة قد تكون نادرة بالنسبة إليه..

٣ ـ وإذا كان الحسين «عليه السلام» يعلم بواقع أهل مكة، ويعرف طبائع الناس وميولهم، وانتماءاتهم، وحالاتهم، فمن الطبيعي أن لا يكون سبب اختياره مكة هو اعتماده على ولاء أهلها له، إذ هو يعلم بعدم وجود ولاء كهذا، وعلى فرض وجود شيء منه، فإنما هو شيء يسير، لا يستطيع أن يقدم شيئاً ذا بال لهذه المسيرة، وما يواجهها من هموم وأخطار.

كما أن الاعتماد على الوافدين والمعتمرين، وسائر من ينحدر إلى مكة من الأطراف في هذا الأمر الذي يحتاج إلى خوض اللجج، وبذل المهج لم يكن هو الخيار الذي يمكن الركون إليه، لا سيما مع كون هؤلاء الوافدين من الأطراف، وإن كانوا أكثر صفاء ونقاء، وأبعد عن أجواء العداء المبطن والسافر، ولكنهم من جهة مجرد شوب من الناس، غير متجانسين عشائرياً، والقرارات الصعبة تكون عادة في يد رؤساء تلك العشائر، أو من يكون لهم تأثير كبير فيها..

ومن جهة أخرى هم خاضعون في الأكثر لسلطان رؤسائها، ولقرارات رجالها، ومن الصعب عليهم الخروج عليها، لأن ذلك سوف يكلفهم الكثير من الأثمان في علاقاتهم وتجاراتهم، وأمنهم، ويعرضهم للكثير من الأذى في مختلف المجالات.

٤ ـ ولأجل ذلك نرى أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد بقي بين أظهر أهل مكة أكثر من أربعة أشهر، يدل الناس على الحق والهدى، وعرف القاصي والداني أنه رافض لبيعة يزيد، وقد لمسوا جميعاً في هذه الفترة بعضاً من صفاته وحالاته «عليه السلام»، ورأوه وعاشوا معه، وسمعوا الكثير منه مما دل على علمه، وخلقه، ونهجه، ومبادئه، مع معرفتهم بما لهذه الصفات، والأحوال، والنهج والسلوك من أثر في الصلاح والإصلاح، ومع علمهم في مقابل ذلك بصفات وحالات، ونهج وسلوك وأخلاق يزيد، وما لها من أثر كارثي على حياة الناس ومستقبلهم، ودينهم.

ومع ذلك كله، لم نجد أهل مكة، ولا غيرهم من المعتمرين والوافدين قد عرضوا عليه أن يكونوا معه، وتحت لوائه، وأن يأتمروا بأمره، بل انصرفوا إلى التلهي بشؤونهم ولم يبالوا ولم يهتموا به، وبما يدعو ويرشد إليه، وهو سيد شباب أهل الجنة، والإمام المنصوب من الله ورسوله، والذي نص معاوية نفسه على أن الأمر له من بعده.. لا ليزيد، ولا لغيره من الشجرة الأموية..

وقد خرج «عليه السلام» من مكة، وهو يدق لهم ناقوس الخطر،

ويقول:

إذا كان بنو أمية من أجل القبض على رجل لم يبايع يزيد المتغلب، والغاصب، والفاسق، والقاتل، يجترؤون على مكة، ويكسرون هيبتها، ويهتكون حرمتها، ويجهزون السرايا والجيوش للبطش بأهلها، وقتلهم، وإفساد حياتهم، وألا يدلهم ذلك على صحة توقعات الإمام الحسين «عليه السلام» وصحة ما يخبرهم به مما سيجري عليه من هؤلاء المجرمين.

وإذا كانوا من جهة أخرى مصممين على قتل الحسين بن علي «عليه السلام»، وهو ابن بنت نبيهم، وأقدس رجل على وجه الأرض، والذي نزلت الآيات الكثيرة في فضله، ولزوم مودته، ومحبته. وقد دسوا الرجال لكي يغتالوه في أقدس مكان، وفي أشرف وأفضل الأيام. ولو كان متعلقاً باستار الكعبة.

فإذا كان الأمر كذلك، وقد اضطر هذا الرجل الأقدس إلى الخروج من هذا البلد الأقدس، ليحفظ حرمته، وليواجه القتل بعيداً عنه، فماذا سيكون حال ومصير الناس، العاديين بعده، هل سيعيشون حياتهم في رخاء، وهناء، وكرامة؟!

ألا ينبئهم هذا الذي يرونه عما سيحيق بهم، وبأموالهم وأعراضهم، وبدينهم ومقدساتهم، إذا تحكم بهم راع مثل يزيد؟! وقد أعلنها الإمام الحسين «عليه السلام» صريحة مدوية: أن على الإسلام السلام إذ ابتليت الأمة براع مثل يزيد.

وما الذي يمنع يزيد من قتلهم، وسلب أموالهم، وسبي نسائهم، وهتك أعراضهم، فإن قتل الحسين ومن معه، وسبي نسائه، قد جرأ يزيد وبني أمية، وكل ظالم وآثم على ارتكاب أفظع الجرائم، واقتراف أعظم العظائم، حتى هدم الكعبة، واستباحة أهل المدينة، وقتل أهلها، وهتك الأعراض فيها، حتى افتضت ألف بكر، وحملن من جيش يزيد، ولم يكن لهن أزواج(١).

لقد خرج الحسين من مكة ولم يرف لأحد جفن، لا لأهل مكة، ولا للمعتمرين الوافدين الذين جاؤوا إلى بيت الله، زاعمين أنهم تائبون من

(١) راجع: وفيات الأعيان ج٦ ص٢٧٦ وعمدة القاري ج١٧ ص٢٢٠ و ٢٢١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٤١ وج٦ ص٢٦٢ والتحفة اللطيفة ج١ ص٤٤ وج٢ ص٤١١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص١٥ والمسترشد للطبري ص٥١٠ والغدير ج١٠ ص٣٥ وراجع: أوائل المقالات للشيخ المفيد ص٣١٠ و ٣١١ وراجع: ينابيع المودة ج٣ ص٣٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٢٦ والنصائح الكافية ص٦٢ وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص٢٠٩ و (ط مطابع معتوق إخوان) ص٢٢٨ والنص والإجتهاد ص٤٦٥ و ٤٦٦ والكنى والألقاب ج٣ ص٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٨ ص١٠٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٢٣ وإمتاع الأسماع ج١٢ ص٢٤٦ وج١٤ ص١٥٤ والنجوم الزاهرة ج١ ص١٦١ ودلائل النبوة ج٦ ص٤٧٥ والخصائص الكبرى ج٢ ص١٤١ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٦٧ والفصول المهمة للسيد شرف الدين ص١٢٨ و ١٢٩.

ذنوبهم، مطيعيون لأمر ربهم، فهل أطاعوه في قوله تعالى: **(قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى)**(١). وفي قوله: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)**(٢). فهل كانوا مع الصادقين، أم مع المجرمين؟!

وكان المعتمرون والوافدون، والمجاورون يسمعون من الحسين «عليه السلام» ما ينير القلوب، ويقيم الحجة، ويزيل الغشاوة، ولا نشك في أنهم كانوا على يقين من حقانية وصحة ما كان يقوله لهم، ولكنهم تجاهلوها على قاعدة: **(وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ)**(٣).

فسطاط الحسين × في مكة:

وتقدم: أن الحسين «عليه السلام» نزل في البداية بأعلى مكة، وضرب فسطاطاً ضخماً.. وهذا التدبير منه «عليه السلام» كان مقصوداً في رمزيته، ودلالاته، فهو «عليه السلام»:

١ ـ اختار أعلى مكة لنزوله. ولنفس كلمة (أعلى مكة) إيحاؤها ودلالاتها، وأثرها على النفس في مقام التداول التعبيري، وما فيه من معنى العزة، والكرامة، والسمو والسؤدد. فلو أنه «عليه السلام» نزل في أي مكان آخر من مكة لفقد هذا الإيحاء المؤنس والجميل.

---

(١) الآية ٢٣ من سورة الشورى.

(٢) الآية ١١٩ من سورة التوبة.

(٣) الآية ١٤ من سورة النمل.

٢ ـ إنه «عليه السلام» ضرب فسطاطاً في مكة، ولم ينزل في بيت من بيوتها، ولم يذكر التاريخ لنا: أن أحداً من أهل مكة وسكانها عرض عليه النزول في داره، بأن يتحول له عنها إلى بيت له آخر، أو إلى بيت أبيه، أو أخيه أو ابنه، أو أي من قرابته، سوى ما تقدم عن ابن عباس: أنه هو الذي حوله إلى دار العباس.. بعد أن قدم ابن عباس مكة.

وسيأتي: أننا نشك في أن يكون «عليه السلام» قد قبل من ابن عباس ما عرضه عليه. بل نكاد نقطع بعدمه.

٣ ـ ونحن نعلم: أن مكة قد فتحت عنوة، واستسلم أهلها خوفاً من القوة التي أرعبتهم، ولم تفتح صلحاً، وكان «صلى الله عليه وآله» حريصاً على عدم حصول قتال فيها، وإن كان خالد بن الوليد قد حاول شيئاً من ذلك حيث أوقع بالذين اجتمعوا بالخندمة، وقتلهم، بغير رضى من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأرسل إليه رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلما حضر قال له: «قاتلت، وقد نهيت عن القتال»؟!.

فادعى خالد: أنهم هم الذين بدأوه. فأمره «صلى الله عليه وآله» بالكف عن الطلب(١).

وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» لأهل مكة: «اذهبوا فأنتم

(١) راجع: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٢٢ ص٨٨ ـ ٩١ فصل: القتال في مكة.

الطلقاء»، بعد أن قررهم فيما يتوقعون أنه صانعه بهم. وهذا يؤكد أن مكة قد فتحت عنوة لا صلحاً.

٤ ـ وقد نزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة في قبة من أدم بالحجون عند شعب أبي طالب(١)، ولم ينزل في أي دار من دورها، لأن المشركين كانوا بعد الهجرة يسعون للإستيلاء على بيوت المسلمين حين يتركونها ويهاجرون، فيبيعونها لصالح من لم يسلم من قرابة صاحب تلك الدار، فباع عقيل «رحمه الله» منازل بني هاشم، ومنها منازل رسول الله «صلى الله عليه وآله». (ولا نظن أنه قد فعل ذلك من تلقاء نفسه، ومن دون رخصة..).

فقيل لرسول الله «صلى الله عليه وآله» في فتح مكة: أنى تنزل غداً؟! تنزل في دارك.

فقال: وهل ترك لنا عقيل من رباع أو دار»؟!.

قال الصالحي الشامي: كان عقيل قد باع منزل رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومنزل إخوته من الرجال والنساء بمكة، فقيل لرسول

---

(١) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٩ وسبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣٠ والسيرة الحلبية ج٣ ص٨٥ و (ط دار المعرفة) ج٣ ص٣٣٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٣٢٧ وبحار الأنوار ج٢١ ص١٠٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٢ ص١٣٦ وغزوات الرسول وسراياه لابن سعد ص١٣٦ وراجع مجمع البيان ج١٠ ص٥٥٦.

الله «صلى الله عليه وآله»: فانزل في بعض بيوت مكة غير منازلك. فأبى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقال: لا أدخل البيوت.

ولم يزل رسول الله «صلى الله عليه وآله» مضطرباً بالحجون. ولم يدخل بيتاً، وكان يأتي المسجد لكل صلاة من الحجون»(١).

وعن عطاء: لما هاجر رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى المدينة لم يدخل بيوت مكة. فاضطرب بالأبطح في عمرة القضية، وعام الفتح، وفي حجته(٢).

ولكنه «صلى الله عليه وآله» زار أم هاني في بيتها، واغتسل وصلى عندها، وذلك إعزازاً منه «صلى الله عليه وآله» لها، وإكراماً لأخيها علي «عليه السلام».

٥ - إن من الأحكام الخاصة بمكة: أنه ليس لأهلها أن يؤاجروا دورهم، وأن يغلقوا عليها أبواباً(٣)، وأن للحاج أن ينزلوا في دورها

---

(١) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٣١ والمغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٩ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٧ ص٢٧٧ ونصب الراية ج٦ ص١٧١ والدراية في تخريج أحاديث الهداية ج٢ ص٢٣٦ و ٢٣٧ وإمتاع الأسماع ج١ ص٣٨٨ وراجع: أخبار مكة للأزرقي ج٢ ص١٦١.

(٢) المغازي للواقدي ج٢ ص٨٢٩.

(٣) راجع: قرب الإسناد ص٥٢ وراجع ص٦٥ و (ط مؤسسة آل البيت سنة ١٤١٣ هـ) ص١٠٨ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٦٤ وج٩٦ ص٨١ و ٨٢ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١٢ وعلل الشرائع ص٣٩٦ وتهذيب

حتى يقضوا مناسكهم، ولا ينبغي لأهل مكة أن يمنعوا الحاج شيئاً من الدور ينزلونها(١).

٦ ـ وإذا كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» لم ينزل في أي من دور مكة، فإن أمير المؤمنين أيضاً لم يبت في مكة بعد الهجرة، لأنه يكره أن يبيت بأرض هاجر منها رسول الله «صلى الله عليه وآله». وكان يصلي العصر ويخرج منها ويبيت بغيرها(٢).

الأحكام (ط دار الكتب الإسلامية سنة ١٣٦٥هـ) ج٥ ص٤٦٣ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٨٦٧ و ٨٤ وهداية الأمة للحر العاملي ج٥ ص٢٠٤ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٢٦٩ و (الإسلامية) ج٩ ص٣٦٨ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٦٤ وج٩٦ ص٨١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص١٠٠ و ٩٩ و ١٠١ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١٢ ومنتقى الجمان ج٣ ص٤٧٦.

(١) مسائل علي بن جعفر ص١٤٣ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٢٧٠ و (الإسلامية) ج٩ ص٣٦٩ وبحار الأنوار ج١٠ ص٢٦٥ وج٩٦ ص٨١ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص١٠٠ وهداية الأمة للحر العاملي ج٥ ص٢٠٣ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١٢ والبرهان (تفسير) ج٣ ص٨٦٨.

(٢) علل الشرايع ص٣٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٤٥٢ وبحار الأنوار ج٩٦ ص٨٢ وعيون أخبار الرضا ج٢ ص٨٤ و (ط الأعلمي سنة ١٤٠٤هـ) ج٢ ص٩٠ والمقنعة ص٧٠ وروضة المتقين ج٤ ص٢٢ و ٤٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٢٣٥ و (الإسلامية) ج٩

٧ ـ وروي نحو ذلك عن الإمام الصادق «عليه السلام» فعن يونس بن يعقوب، عن الإمام الصادق «عليه السلام»: أنه حين أمر بمناظرة رجل شامي ورد عليه، قال يونس: فلما استقر بنا المجلس وكنا في خيمة لأبي عبد الله «عليه السلام» على طرف جبل في طرف الحرم، وذلك قبل الحج بأيام أخرج أبو عبد الله رأسه من الخيمة فإذا هو ببعير يخب الخ..(١).

فكأن عدم مبيت الأئمة في دور مكة قد أصبح ديدناً وطريقة لهم.

٨ ـ وبعدما تقدم نقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد ما يزعمونه من أن عبد الله بن عباس قد حول الحسين «عليه السلام» من الفسطاط الذي ضربه في أعلى مكة إلى دار العباس. فإن الحسين «عليه السلام» هو خير من تأسى برسول الله «صلى الله عليه وآله»، وبأبيه أمير المؤمنين «عليه السلام»، فلم يكن ليقيم في مكة لأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخرج منها، ولأن الإقامة بها تقسي القلب، زاد في رواية قوله: حتى

ص٣٤٣ وبحار الأنوار ج٤١ ص١٠٧ وج٩٦ ص٨٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٢ ص٢٢٥ و ٢٢٦ ومسند الإمام الرضا للعطاردي ج١ ص١٣٦ وسفينة البحار ج٨ ص٩٣.

(١) بحار الأنوار ج٤٨ ص٢٠٣ وج٢٣ ص١٠ وإعلام الورى ج١ ص٥٣٠ والإرشاد ج٢ ص١٩٥ و (ط دار المفيد) ج٢ ص١٩٨ وكشف الغمة ج٢ ص٣٨٨ والإحتجاج ج٢ ص١٢٣ ومناقب آل أبي طالب ج٣ ص٣٦٨.

يأتي فيها ما يأتي في غيرها[١].

فلم يكن لينزل في دار العباس، ولا في دار غيره.. حتى وإن سعى ابن عباس إلى نقله إلى دار العباس.. ولكننا لا نمنع من أن يكون قد زار ابن عباس في تلك الدار، كما زار رسول الله «صلى الله عليه وآله» أم هاني في بيتها حين دخل مكة، وصلى فيه، ولكنه لم يقم فيه، وإن كان هناك من ادعى ذلك كما يفهم من كلام الصالحي الشامي[٢].

مشورة ابن الزبير:

وحين ينصح ابن الزبير الإمام الحسين «عليه السلام» بأن يسير إلى العراق، فإن ما يهمه من هذا المسير هو أن تخلو له الساحة في الحجاز، ويصبح قادراً على مطالبة الناس بالبيعة له.

ولعله كان يتوقع أن يواجه الحسين «عليه السلام» من أهل العراق ما واجهه أبوه وأخوه من متاعب ومصاعب، فإن تغلب عليها، فلن يضيره ذلك إذا استطاع هو ـ أعني ابن الزبير ـ أن يستميل أهل

---

(١) بحار الأنوار ج٩٦ ص٨٠ و ٨١ والكافي ج٤ ص٢٣٠ ومن لا يحضره الفقيه ج٢ ص١٦٥ و ١٢٦ و (ط جماعة المدرسين) ج٢ ص١٩٤ وعلل الشرايع ص٤٤٦ ومستدرك سفينة البحار ج٩ ص٤١٢ وروضة المتقين ج٤ ص٢٢ وهداية الأمة للحر العاملي ج٥ ص٢٠٢ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج١٣ ص٢٣٤ و (الإسلامية) ج٩ ص٣٤٢ وجامع أحاديث الشيعة ج١٠ ص٤١١ و ٤١٢ وج١٢ ص٢٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج٥ ص٢٦٨.

الحجاز إلى بيعته، ومساعدته في الوصول إلى ما يطمح إليه..

وربما ظن ابن الزبير: أن مشورته هذه هي التي جعلت الحسين «عليه السلام» يفكر بالعراق، والحال أن الأمر لم يكن كذلك، فقد صرح الحسين «عليه السلام» لأم سلمة في المدينة بأنه يريد العراق.. كما أن الأحاديث الكثيرة التي يتداولها الناس من عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد حددت مسيره ومصيره، وأن كربلاء هي الموضع الذي يستشهد فيه..

ولا نبعد إذا قلنا: إن ابن الزبير كان على علم بهذا الأمر، كما كان غيره على علم به، وأن مشورته عليه بالتوجه إلى العراق لم تكن مشورة بريئة، بل كانت مشوبة برجاء وبتوقع حصول ما أخبره به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وقد عرفه القاصي والداني.

الغزو المبكر لمكة:

وقبل أن نتابع حديثنا حول سائر ما جرى له «عليه السلام» نود لفت نظر القارئ الكريم إلى أن عمرو بن سعيد (المعروف بالأشدق) حين انتقل إلى المدينة قد جهز السرايا، وأرسلها إلى مكة لكي تقبض على ابن الزبير، وكان قائد هذه الحملة هو عمرو بن الزبير الذي كان حاقداً على أخيه عبد الله.

فيبدو لنا: أن استعداد عمرو بن الزبير لقتال أخيه، وقبول فئات من الناس بأن ينضووا تحت لوائه، ويهاجموا مكة، وهي أقدس البلاد، وقد جعلها الله تعالى حرماً آمناً، قد كشف لجميع الناس الحقيقة

الإجرامية لمناوئي أهل البيت «عليهم السلام»، وقطع الشك باليقين، وأسفر الصبح لذي عينين.

فإذا أضيف إلى ذلك إخافتهم أقدس الناس، ومن ليس على وجه الأرض من يساميه، أو يساويه، حتى اضطر إلى ترك المدينة إلى مكة، ثم سعيهم لقتله حتى في مكة نفسها، واضطراره لتركها إلى العراق ليقتل هناك. ثم سبوا حرم بيت النبوة من بلد إلى بلد. ـ إن ذلك ـ يوضح لكل أحد، أنهم لا يهابون قتل أي إنسان بعد قتل الحسين «عليه السلام»، ولا يراقبون الله في الأموال، ولا في الأعراض، ولا يمنعهم قداسة شيء عن بلوغ أهدافهم فيه، وتحقيق رغباتهم. وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق..

جئت عائذاً بالله، وبهذا البيت:

وقد قال عمرو بن سعيد بن العاص (المعروف بالأشدق) للإمام الحسين «عليه السلام»: ما أقدمك؟!

فقال «عليه السلام»: عائذاً بالله، وبهذا البيت(١).

ونقول:

١ ـ ظهر مما جرى للإمام الحسين «عليه السلام» مع الوليد بن عتبة، ومروان بن الحكم: أن المدينة لم تكن المحل الآمن بالنسبة إليه، وأنه لا بد له من معاذ يأمن فيه من الاغتيال، أو من الإعتقال، الذي

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٣٣ و (ط أخرى) ج٢ ص٢٤٨.

يعطي السلطة فرصة التحكم بمصيره، وربما راق لها أن تتخلص منه بالطريقة التي تزيدها قوة وشوكة في مقابل الحق وأهله.

وتكون النتيجة هي: أن يتحول استشهاده «عليه السلام» من سبب لحفظ الدين، ونصرة الحق، وامتيازه عن الباطل إلى سبب لتأييد الباطل وتكريسه، وخذلان الحق، وإذلال أهله.

فكانت الحاجة ماسة إلى موضع آمن يتمكن فيه من الإمساك بأزمة الأمور، ولو جزئياً، ويجعله يشارك في التحكم بمسارها، وإقامة الحجة على الناس.

فكانت مكة هي ذلك المكان المنشود، الذي يستطيع أن يوفر له هذا الجو، ولكن لوقت محدود.

٢ ـ وحين رأى الأشدق اهتمام الناس بالحسين «عليه السلام»، ووفودهم عليه، واجتماعهم إليه أدرك أن مواجهته بالشدة والعنف ستكون في غير صالحه، فحاول أن يطرح هذا السؤال عليه، فلعله يسمع منه جواباً يدلل على أنه «عليه السلام» ناقم، وطاعن على الحكم، ساع في إسقاطه، ليكون هو البديل عنه، لكي يدعي الأشدق وحزبه للناس: أن الحسين «عليه السلام» هو المعتدي والظالم.

ولكن الجواب الذي سمعه أظهر للناس أن الحكم هو المعتدي على الحسين «عليه السلام»، والساعي في سفك دمه، حتى لم يعد له محل آمن يأوي إليه. مع أن الكل يعلم أنه لم يقترف ذنباً، ولم يحرك ساكناً..

فلا بد أن يسأل الناس عن سبب هذه القسوة، وعن المبرر لهذه

المعاملة مع أقدس إنسان على وجه الأرض.. ولماذا تخيفه السلطة وتلاحقه وهي التي تدعي أنها تحفظ أمن الناس؟!

٣ ـ إن هذه الإجابة التي سمعها الأشدق منه «عليه السلام» قد جعلت أمر اغتياله «عليه السلام» على يد السلطة في غاية الصعوبة، فقد علم القاصي والداني أن من يلاحق الحسين «عليه السلام»، ويحتاج الحسين إلى معاذ منه هو السلطان والحاكم نفسه، إذ لو كان الأمر يرتبط بغيره لم يحتج إلى الملجأ والمعاذ، لأن المفروض بالسلطان أن يكون هو الدافع والمحامي عنه..

وهذا معناه: أن أي سوء يلحق به سيكون معلوم المصدر والمآل، وسوف تنصب النقمة مباشرة على هذا المتهم الذي دلت الأدلة عليه وأشارت الأصابع إليه.

وسيكون جرمه أعظم بنظر الناس حين ينفذ جريمته في حق أقدس البشر في أقدس الأمكنة، وفي الموضع الذي جعله الله تعالى حرماً آمناً..

استقدام بني هاشم إلى مكة:

وقال ابن كثير: إن الإمام «عليه السلام» ـ وهو في مكة ـ بعث إلى المدينة، يقدم عليه من خف من بني عبد المطلب، فخف إليه جماعة منهم، وتبعهم محمد ابن الحنفية(١).

---

(١) البداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٨ وتاريخ مدينة دمشق

وقال المزي: «..وبعث حسين «عليه السلام» إلى المدينة، فقدم عليه من خف معه من بني عبد المطلب، وهم تسعة عشر رجلاً، ونساءٌ، وصبيانٌ من إخوانه، وبناته، ونسائهم.

وتبعهم محمد ابن الحنفية، فأدرك حسيناً بمكة. وأعلمه أن الخروج ليس له برأي يومه هذا.

فأبى الحسين «عليه السلام» أن يقبل، فحبس مُحَمَّد بْن عَلِيّ ولده، فلم يبعث معه أحداً منهم، حتى وجد حسين «عليه السلام» في نفسه على مُحَمَّد، وَقَال: ترغب بولدك عن موضع أصاب فيه؟!

فقال مُحَمَّد: وما حاجتي أن تصاب، ويصابوا معك، وإن كَانَ مصيبتك أعظم عندنا منهم»(١).

ج١٤ ص٢١١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢١ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦١٢ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر (بتحقيق المحمودي) ص٢٩٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦١.

(١) تهذيب الكمال ج٦ ص٤٢١ وتاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١١ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٥ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٨ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦١٢ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٢٩٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦١ ومختصر تاريخ مدينة دمشق ج٧ ص١٤٣ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢٦ عنه، وعن المصادر التالية: الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٥١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٩ وسير أعلام النبلاء ج٣

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

الخروج على مراحل هو الأصوب:

تقدم: أن الحسين «عليه السلام» حين خرج من المدينة خرج بجميع أهله على حد تعبير ابن أعثم والخوارزمي، ولكن ذلك لا يعني خروج بني هاشم، أو بني عبد المطلب معه، فهناك أمور يحتاج بعض الناس إلى تدبيرها أو إلى حفظها، أو إلى تهيئة ظروف ووسائل حملها أو نقلها، كالرواحل والأدوات، والأوعية وما إلى ذلك.

وعلى هذا، فقد يكون الحسين «عليه السلام» قد هيأ الأجواء لدى أهله، وأقاربه الأدنين بنحو يستطيع أن يرحل بهم في أي وقت شاء. ولكنه لو أراد أن يشيع هذا الجو في محيط أوسع، فربما يثير الشبهات والشكوك التي تنتهي بكثير من المتاعب والمصاعب..

ولكن إذا تمكن هو «عليه السلام» من الانتقال بطائفة من الذين يريد أن يكونوا معه إلى موضع آمن، فإنه يستطيع أن يطلب من الآخرين اللحاق به، إما تحت شعار الرغبة في أداء مراسم الحج، أو بذريعة الرغبة بالابتعاد عن مواضع التوتر، حتى لا يكونوا مكسر عصاً لكل لئيم أو حاقد، أو بأية ذريعة أخرى تستطيع أن تبرر انتقالهم من هذا البلد إلى ذاك..

ص٣٠٤ وليس فيه ذيله من: «فقال محمد..».

ولعل هذا الطلب منه «عليه السلام» إلى بني هاشم، أو بني عبد المطلب، وتلبيتهم إياه قد كان حين عزم على المسير إلى العراق، ليكون من يحب منهم معه في ذلك السفر المصيري، والحاسم.

تأخر ابن الحنفية:

١ ـ قد أظهر النص المتقدم: أن ابن الحنفية لم يبادر إلى اللحاق به «عليه السلام» إلى مكة مع من لحق به من بني هاشم أو بني عبد المطلب، بل بقي بالمدينة إلى أن أحس بأن الحسين «عليه السلام» يتهيأ لمغادرة مكة إلى العراق. فخرج إلى مكة، فأدركه فيها قبل أن يخرج..

٢ ـ ظهر: أن ابن الحنفية قد جاء إلى الحسين «عليه السلام» في آخر أيام مكثه في مكة. وفي هذه المناسبة جرت له مع الحسين «عليه السلام» وقفات ومحاورات تهدف إلى اعتماد الخيار الأمثل في المسيرة الحسينية الإصلاحية الهادفة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، على حد تعبير الإمام «عليه السلام».

وسوف نذكر ما جرى بينه وبين الإمام الحسين «عليه السلام» حين ذكرنا ما جرى في الليلة الأخيرة، واليوم الأخير من مدة مكثه «عليه السلام» في مكة.

ابن الحنفية لا يمنع أولاده من نصرة أخيه:

وحول منع ابن الحنفية أبناءه من نصرة أخيه نقول:

أولاً: إن محمد ابن الحنفية الذي يصرح بأن الإمام الحسين «عليه

السلام» إمامه، وتجب عليه طاعته، لا يمنع أولاده من نصرة أخيه، الإمام المنصوص عليه من الله ورسوله..

ثانياً: إن أمير المؤمنين «عليه السلام» قال: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل.

قلت: ومن المحامدة؟!

قال: محمد بن جعفر، ومحمد بن أبي بكر، ومحمد بن أبي حذيفة، ومحمد ابن أمير المؤمنين إلخ..[١].

---

(١) راجع: إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٧٠ و (ط مؤسسة آل البيت «عليهم السلام» لإحياء التراث سنة ١٤٠٤ هـ) ج١ ص٢٨٦ (١٢٥) ومنتهى المقال ج٥ ص٢٩٣ ونقد الرجال للتفرشي ج٤ ص٩٧ وجامع الرواة للأردبيلي ج٢ ص٤٥ ومستدركات علم رجال الحديث للنمازي ج٦ ص٣٧٤ ومعجم رجال الحديث للسيد الخوئي ج١٥ ص٢٤٧ وقاموس الرجال للتستري ج٩ ص١٩ وج٩ ص١٥٨ و ٢٤٣ وبحار الأنوار ج٣٣ ص٢٤٢ وج٣٤ ص٢٨٢ والغارات للثقفي ج٢ ص٧٥٢.

الفصل الثاني:

ابن عمر يدعو لبيعة يزيد..

الحسين ×، وابن عمر، وابن عباس:

ويقول ابن أعثم، والخوارزمي عنه:

وبلغ أهل الكوفة أن الحسين بن علي قد صار إلى مكة.

وأقام الحسين بمكة باقي شهر شعبان، ورمضان، وشوالاً، وذا القعدة.

قال: وبمكة يومئذ عبد الله بن عباس، وعبد الله بن عمر بن الخطاب. فأقبلا جميعاً حتى دخلا على الحسين، وقد عزما على أن ينصرفا إلى المدينة فقال له ابن عمر: أبا عبد الله! رحمك الله، اتق الله الذي إليه معادك! فقد عرفت من عداوة أهل هذا البيت لكم، وظلمهم إياكم، وقد ولي الناس هذا الرجل، يزيد بن معاوية، ولست آمن أن يميل الناس إليه، لمكان هذه الصفراء والبيضاء، فيقتلونك، ويهلك فيك بشر كثير، فإني قد سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» وهو يقول: «حسين مقتول، ولئن قتلوه، وخذلوه ولن ينصروه ليخذلنهم الله إلى يوم القيامة»!.

وأنا أشير عليك أن تدخل في صلح ما دخل فيه الناس، واصبر كما صبرت لمعاوية من قبل، فلعل الله أن يحكم بينك وبين القوم

الظالمين.

فقال له الحسين: أبا عبد الرحمن! أنا أبايع يزيد، وأدخل في صلحه، وقد قال النبي «صلى الله عليه وآله» فيه وفي أبيه ما قال؟!

فقال ابن عباس: صدقت أبا عبد الله! قال النبي «صلى الله عليه وآله» في حياته: «ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد! وإنه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين. والذي نفسي بيده! لا يقتل ولدي بين ظهراني قوم فلا يمنعونه إلا خالف الله بين قلوبهم وألسنتهم!

ثم بكى ابن عباس، وبكى معه الحسين وقال: يا ابن عباس! تعلم أني ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

فقال ابن عباس: اللهم نعم، نعلم ونعرف أن ما في الدنيا أحد هو ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» غيرك. وإن نصرك لفرض على هذه الأمة، كفريضة الصلاة [والصيام] والزكاة التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الأخرى.

قال الحسين: يا ابن عباس! فما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» من داره وقراره، ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومسجده، وموضع مهاجره، فتركوه خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي في موطن، يريدون في ذلك قتله، وسفك دمه، وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والخلفاء من بعده؟!

فقال ابن عباس: ما أقول فيهم [إلا] (**أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى**)(١).

(**يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللهَ إِلَّا قَلِيلًا * مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا**)(٢).

وعلى مثل هؤلاء تنزل البطشة الكبرى.

وأما أنت يا ابن [بنت] رسول الله «صلى الله عليه وآله» فإنك رأس الفخار برسول الله «صلى الله عليه وآله» وابن [وصيه، وفرخ الزهراء] نظيرة البتول.

فلا تظن يا ابن بنت رسول الله أن الله غافل عما يعمل الظالمون، وأنا أشهد أن من رغب عن مجاورتك، وطمع في محاربتك، ومحاربة نبيك محمد «صلى الله عليه وآله» فما له من خلاق.

فقال الحسين: اللهم اشهد.

فقال ابن عباس: جعلت فداك يا ابن بنت رسول الله! كأنك تريدني [في نص آخر: تنعى إلي] إلي نفسك، وتريد مني أن أنصرك! والله الذي لا إله إلا هو أن لو ضربت بين يديك بسيفي هذا حتى [ينقطع وتنخلع يداي] جميعاً من كفي لما كنت ممن أوفي من حقك عشر العشر [العشير]! وها أنا بين يديك مرني بأمرك.

---

(١) الآية ٥٤ من سورة التوبة.

(٢) الآيتان ١٤٢ و ١٤٣ من سورة النمل.

فقال ابن عمر: مهلاً، ذرنا من هذا يا ابن عباس.

قال: ثم أقبل ابن عمر على الحسين فقال: أبا عبد الله! مهلاً عما قد عزمت عليه، وارجع من هنا إلى المدينة، وادخل في صلح القوم. ولا تغب عن وطنك، وحرم جدك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولا تجعل لهؤلاء الذين لا خلاق لهم على نفسك حجة وسبيلاً.

وإن أحببت أن لا تبايع، فأنت متروك حتى ترى رأيك ، فإن يزيد بن معاوية ـ «لعنه الله» ـ عسى أن لا يعيش إلا قليلاً، فيكفيك الله أمره.

فقال الحسين: أف لهذا الكلام أبداً ما دامت السماوات والأرض! أسألك بالله يا عبد الله، أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟! فإن كنت عندك على خطأ فردني، فإني أخضع [أرجع]، وأسمع وأطيع.

فقال ابن عمر: اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك في طهارته وصفوته [موضعه] من الرسول «صلى الله عليه وآله» [أن يسلّم] على مثل يزيد بن معاوية ـ «لعنه الله»ـ باسم الخلافة، ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحب أن تبايع فلا تبايع أبداً، واقعد في منزلك.

فقال الحسين: هيهات يا ابن عمر! إن القوم لا يتركوني، إن أصابوني، وإن لم يصيبوني فلا يزالون [فإنهم يطلبوني أبداً] حتى أبايع وأنا كاره، أو يقتلوني.

أما تعلم يا عبد الله! [يا أبا عبد الرحمان] أن من هوان هذه الدنيا

على الله تعالى أنه أُتي برأس يحيي بن زكريا «عليه السلام» إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم؟! [فلم يضر ذلك يحيى بن زكريا، بل ساد الشهداء، فهو سيدهم إلى يوم القيامة].

أما تعلم أبا عبد الرحمن! أن بني إسرائيل كانوا يقتلون ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم يبيعون ويشترون كلهم كأنهم لم يصنعوا شيئاً؟! فلم يعجل الله عليهم، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز مقتدر [ذي انتقام].

اتق الله أبا عبد الرحمن، ولا تدعن نصرتي، واذكرني في صلاتك، فوالذي بعث جدي محمداً «صلى الله عليه وآله» بشيراً ونذيراً لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرني كنصرته جدي، ولقام من دوني قيامه بين يدي جدي.

يا ابن عمر! فإن كان الخروج معي مما يصعب عليك ويثقل، فأنت في أوسع العذر، ولكن لا تتركن لي الدعاء في دبر كل صلاة، واجلس عن القوم، ولا تعجل بالبيعة لهم حتى تعلم إلى ما تؤول الأمور.

قال: ثم أقبل الحسين على عبد الله بن عباس «رحمه الله» فقال: يا ابن عباس! إنك ابن عم والدي، ولم تزل تأمر بالخير منذ عرفتك، وكنت مع والدي تشير عليه بما فيه الرشاد، وقد كان [يستصحبك، و] يستنصحك ويستشيرك، فتشير عليه بالصواب، فامض إلى المدينة في حفظ الله وكلائه، ولا يخفى [تخف] علي شيء [شيئاً] من أخبارك،

فإني مستوطن هذا الحرم، ومقيم فيه أبداً ما رأيت أهله يحبوني [نني] وينصروني [نني]، فإذا هم خذلوني استبدلت بهم غيرهم، واستعصمت بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل «عليه السلام» يوم ألقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل»، فكانت النار عليه برداً وسلاماً.

قال: فبكى ابن عباس وابن عمر في ذلك الوقت بكاء شديداً، والحسين يبكي معهما ساعة، ثم ودعهما.

وصار ابن عمر وابن عباس إلى المدينة، وأقام الحسين بمكة قد لزم الصوم والصلاة، واجتمعت الشيعة بالكوفة الخ..(١).

ونقول:

إن لنا مع النص المتقدم وقفات، وهي:

منطق ابن عمر:

لقد بذل عبد الله بن عمر محاولتين لإقناع الإمام الحسين «عليه السلام» بالعدول عما عقد العزم عليه من عدم البيعة ليزيد.

الأولى: حاول أن يقنعه بأن يبايع يزيد بن معاوية، متذرعاً بما يلي:

أولاً: بالتخويف من أمور عدة.

١ ـ من بطش بني أمية، الذين لا يردعهم عن ذلك رادع، ولا

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣ ـ ٢٦ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٠ وما جعل بين المعقوفتين منه، لأنه نقل عن ابن أعثم أيضاً.

يزعهم عنه وازع.

ويلاحظ هنا: أنه أضاف قيداً قد تشتم منه رائحة المنهج العشائري في فهم الأمور، فقد قال ابن عمر عن بني أمية. «فقد عرفت عداوة أهل هذا البيت لكم، وظلمهم إياكم».

فهو يخص العداوة والظلم الذي يمارسه بنو أمية ببني هاشم!! وكأنهم يعادونهم ويظلمونهم لدواع وعصبيات وعداوات عشائرية، وكأن ظلمهم لا يتعدى بني هاشم وأهل البيت إلى غيرهم.. فهل يريد أن يزعم: عدم وجود هذه العداوة والتنافس والعصبية العشائرية بين بني أمية وغير بني هاشم؟! فإن كان هذا هو ما انطلق منه ابن عمر في حكمه على الأمور، فهو ظلم للحقيقة، وتزوير للتاريخ، فإن الاستكبار والظلم، والانحراف عن الحق، وكراهة الدين وأهله كان هو الصفة التي تطبع الشخصية الأموية بطابعها، وتهيمن على نهجها وتتحكم بسلوكها.

٢ ـ بالتخويف من شراء الذمم، والاغراءات المالية للناس، لأن الأموال في أيديهم..

ثانياً: تذرع ابن عمر للإمام الحسين «عليه السلام» بأن الناس قد بايعوا يزيد، فعلى الحسين «عليه السلام» أن يبايعه أيضاً. وكأن على الإمام الحسين «عليه السلام» أن يكون تابعاً لعامة الناس الذين هم في الغالب من الهمج الرعاع، الذين ينعقون مع كل ناعق، ويتأثرون بالترغيب والترهيب، فيشتريهم طالبهم بالمال، ويسوقهم إلى حيث

يريد بالسيف والعصا.

والحال، أن الحسين «عليه السلام» يجب أن يكون هو المرجع للناس ـ لا العكس ـ وهو الذي يقرر، ويتبع ويطاع، بحكم موقعه من هذا الدين. وعميق معرفته به، وظهور تجلياته فيه، وتفاعله معه.

ولا ندري لماذا لم يجعل ابن عمر عدم مبايعة الحسين، وهو سيد شباب أهل الجنة، وأقدس مخلوق على وجه الأرض، من أسباب وهن يزيد، ومن موجبات فقدان حكمه للشرعية التي يدعيها له..

ثالثاً: إن ابن عمر يخوف الإمام الحسين «عليه السلام» من القتل، أي أن الغاية القصوى التي جعلها نصب عينيه هي حياة الإمام «عليه السلام»، فلا بد ـ بنظره ـ من التضحية والتنازل عن كل شيء في هذا السبيل..

في حين أن منطق الإمام الحسين «عليه السلام» يقول: إن المعيار هو حفظ الدين وأحكامه، وإعزاز وصون بيارقه وأعلامه. وهذا ما ترخص لأجله المهج، وتخاض اللجج.

أي أن الإمام الحسين «عليه السلام» يرى أن ثمة اختلالاً خطيراً جداً في المعايير، وفي تحديد الأولويات عند ابن عمر.. وهذا هو بيت القصيد، والسبب العتيد لإصرار ابن عمر على السير في الاتجاه الذي اختاره لنفسه.

وهذا بالذات هو ما ركز الإمام في حواره مع ابن عمر على إبطاله وتفنيده كما سنرى..

رابعاً: تذرع ابن عمر للإمام الحسين «عليه السلام» بالحديث الذي رواه هو نفسه عن رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وفيه يقول: «حسين مقتول. ولئن قتلوه وخذلوه ولم ينصروه ليخذلنهم الله إلى يوم القيامة».

مع أن الحديث يدل على ضد ما كان يرمي إليه هذا الرجل، فإنه يوجب على ابن عمر، وعلى الأمة كلها نصرة الإمام، وأن يكونوا معه على من يناوئه، فكيف يستدل به ابن عمر على لزوم تخلي الحسين «عليه السلام» عن موقفه، ومتابعة الجبارين، وأهل الأهواء؟!

خامساً: تذرع ابن عمر أيضاً بمقولة: إن الحسين في عهد معاوية صبر ولم يحرك ساكناً، فلماذا لا يصبر في عهد يزيد؟!

وقد فات ابن عمر: أن معاوية نفسه قد سلب مشروعية خلافة كل أحد غير الحسين «عليه السلام»، وهو الذي أسس لاعتبار يزيد خارجاً على إمام زمانه، غاصباً للأمر من صاحبه الشرعي.

فكان على ابن عمر أن ينصح يزيد ويطالبه بالكف عن مطالبة الحسين بالبيعة، وبأن يرجع الحق إلى صاحبه، ولكنه لم يفعل ذلك، بل عدل إلى المعتدى عليه، وطالبه بأن يستسلم للمزيد من الظلم والعدوان.

وكان هذا هو منطق ابن عمر، في تبرير طلبه من الحسين «عليه السلام» أن يبايع ليزيد، وهذه هي المحاولة الأولى.

منطق الحسين:

غير أن للحسين «عليه السلام» منطقاً آخر مغايراً لمنطق ابن عمر، ونحن نستل بعض لمحاته من كلماته «عليه السلام» مع ابن عمر، فنلاحظ ما يلي:

البيعة ليزيد والدخول في صلحه:

إن أول شيء فعله الإمام «عليه السلام» هو: أنه قد سجل تعجباً واستغراباً من حديث ابن عمر من جهتين:

أولاهما: استغرب حديثه عن بيعته «عليه السلام» ليزيد.

والثانية: استغرب حديثه عن دخول الحسين «عليه السلام» في صلح يزيد، الذي دخل فيه الناس. وذكر «عليه السلام» أن سبب هذا التعجب والاستغراب هو أن هذا الطلب لا ينسجم أبداً مع ما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في يزيد، وفي أبيه.

فالذي قاله «صلى الله عليه وآله» في معاوية وإن كان كثيراً، ولكن يكفي منه قوله «صلى الله عليه وآله»: إذا رأيتم معاوية على منبري، فافقروا بطنه بالسيف(١)، أو فاضربوا رأسه بالسيف(٢).

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص١٧.

(٢) راجع: مناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٣٠٠ .

أو فاقتلوه[١].

أو فارجموه[٢].

---

(١) راجع: خاتمة المستدرك ج١ ص٥٤ ومناقب الإمام أمير المؤمنين للكوفي ج٢ ص٣١٨ والمسترشد للطبري ص٥٣٣ والملاحم والفتن لابن طاووس ص٢٣١ و ٣٢٩ وبحار الأنوار ج٣٣ ص١٩١ و ٢٠٩ ومناقب أهل البيت للشيرواني ص٤٦٥ والمراجعات ص١٣٦ و ١٤٣ والغدير ج١٠ ص٢٧ و ١٤٢ ـ ١٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٥ ص١٧٦ وتفسير القرآن للصنعاني ج١ ص٢٤ والتعجب للكراجكي ص١٠٤ والكنى والألقاب ج٢ ص٢٨٣ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١٠٦ و ١١٣ و ١٢٢ والكامل لابن عدي ج٢ ص١٤٦ و ٢٠٩ وج٥ ص١٠١ و ٣١٤ وفي ص٢٠٠ فارجموه، وج٧ ص٨٣ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩ ص١٥٥ ـ ١٥٧ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص١٤٩ وج٦ ص١٠٥ وميزان الإعتدال ج١ ص٥٧٢ وج٢ ص٣٨٠ و ٦١٣ وج٣ ص٢٧٧ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٦٩ وج٥ ص٩٦ وج٨ ص٦٥ ولسان الميزان ج٢ ص٢٤٧ وأنساب الأشراف للبلاذري ج٥ ص١٢٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٨ ص١٨٦ والمختصر في أخبار البشر ج٢ ص٥٧ و ٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص٣١٢ وج٩ ص٢٤٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٤١ وإمتاع الأسماع ج١٤ ص٣٦٩ وأعيان الشيعة ج٢ ص٦٢١ وج٦ ص٢٠٩ ووقعة صفين للمنقري ص٢٢١ وتنبيه الغافلين ص١٠٤ و ١١١ والنصائح الكافية ص٥٨ و ٢٦١ ونهج الحق ص٣٠٩.

(٢) راجع: الكامل لابن عدي ج٥ ص٢٠٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٥٩

وقد رآه أهل المدينة على منبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حين جاءها سنة ست وخمسين للهجرة لغرض فرض البيعة ليزيد بولاية العهد، واضطر الحسين «عليه السلام» حينئذٍ إلى ترك المدينة إلى مكة.. ولم يبادر أحد منهم لبقر بطنه بسيفه.

والذي قاله «صلى الله عليه وآله» في حق يزيد قد رواه ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم، وهو قوله: «ما لي وليزيد، لا بارك الله في يزيد فإنه يقتل ولدي، وولد ابنتي الحسين الخ..».

فمن كان هذا حاله، لا تصح بيعته، ولا صلح ولا سلام يرجى عنده، أو معه، لأنه محض معتد، يتربص الدوائر بالحسين «عليه السلام»، ويجهد للإيقاع به كما أظهره الحديث الذي رواه ابن عباس عن رسول الله «صلى الله عليه وآله».

كما أن بيعة من لا يتورع عن قتل أبناء الأنبياء، وسيد شباب أهل الجنة جريمة هائلة، لأنها تجعل الناس كل الناس في عهدة راع لا يتورع عن قتل أقدس الناس، وسبي نسائه، فهل يعف عن دماء الضعفاء، وعن أموالهم وأعراضهم؟! فكلام ابن عمر عن البيعة والدخول في الصلح لا وجه له.

وهناك ملاحظة لا بد من تسجيلها هنا، وهي: أن الحديث الذي

ص١٥٦.

رواه ابن عباس عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد صرح بأن على الناس الذين يعرفون بما يجري على الحسين «عليه السلام» من عدوه هذا أن ينصروا الحسين «عليه السلام». فإن لم يفعلوا، فإنهم يعرضون أنفسهم للعقوبة الإلهية.

أتعلم أني ابن بنت رسول الله؟!:

ثم إنه «عليه السلام» كان يوجه الكلام إلى ابن عباس، وهو يعني به ابن عمر على قاعدة: إياك أعني، واسمعي يا جارة، فقال: «يا ابن عباس، أتعلم أني ابن بنت رسول الله؟!.

فقال: اللهم نعم.. الخ..».

وهذا استدلال آخر يسقط ما يتذرع به ابن عمر، وهو يعتمد على ما نقله ابن عباس عن النبي «صلى الله عليه وآله»، حيث صرح «صلى الله عليه وآله» بأن يزيد سوف يقتل ولده، وولد ابنته الحسين بن علي.. فإنه «عليه السلام» هو الذي يصدق عليه العنوانان المذكوران في كلام الرسول «صلى الله عليه وآله».. فهو ابن الرسول، وهو أيضاً ابن ابنته.

وقد أقر ابن عباس للحسين أمام ابن عمر بذلك. وبأن هذا الأمر منحصر به «عليه السلام»، ولا يشاركه فيه أحد على وجه الأرض وبذلك يعلم عدة أمور هي:

أولاً: إبطال ما حاوله معاوية وبنو أمية وأشياعهم من إنكار أن يكون الحسنان ابني الرسول، تمسكاً منهم بمقولات أهل الجاهلية

الباطلة. وهو ما صرحت به آية المباهلة أيضاً.

ثانياً: إن بنوة الحسين «عليه السلام» لرسول الله إنما هي من خلال أنه ابن ابنته، فدل ذلك على بطلان قولهم: إن ابن بنت الرجل ليس ابناً لذلك الرجل، حتى لقد قالوا:

بنونـا بنـو أبنائنـا وبناتنـا   بنـوهن أبنـاء الرجـال الأباعـد

ثالثاً: إن تصريح النبي «صلى الله عليه وآله» بأن يزيد سوف يقتل ابن الرسول وابن ابنته، ثم تصريحه «صلى الله عليه وآله» باسمه، وباسم أبيه يحتم على ابن عمر،وعلى كل فرد في الأمة نصرة الحسين، والدفاع عنه، ولو لم يصرح «صلى الله عليه وآله» بذلك..

رابعاً: إنه «صلى الله عليه وآله» قد صرح أيضاً بحلول العقاب على القوم الذين يُقتل الحسين «عليه السلام» بين ظهرانيهم، ولم ينصروه. ولم يترك أي مجال لأي احتمال مهما كان ضعيفاً بأن يكون هناك مجال للعفو عمن لا يمنعه «عليه السلام».

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قال: «ولا يمنعونه»، ولم يقل: «ولم ينصروه». حتى لا يتذرع أحد بأن شرائط النصر لم تكن متوفرة، بل كان حصوله ميؤوساً منه..

يضاف إلى ذلك: أن كلمة ولم ينصروه توحي بأن الحسين هو المبادر للحرب، ويحتاج تحصيل النصر إلى أنصار، ومساعدين..

أما قوله: ولا يمنعونه، فهي تشير إلى أن هناك من يحاول الاعتداء على الحسين «عليه السلام»، وهناك حاجة لمنع الحسين

وحفظه وصونه من أن يصل إليه الساعون للعدوان بسوء.

فتبين مما تقدم كله: أن لا عذر لابن عمر، ولا لغيره في التخلف عن الحسين «عليه السلام». وإن نصره كما يقول ابن عباس: «فرض على هذه الأمة كفريضة الصلاة والزكاة، التي لا يقدر أن يقبل أحدهما دون الآخر..».

الفجوة بين النظرية والتطبيق:

ثم وجّه الإمام الحسين «عليه السلام» سؤالاً لابن عباس، بهدف التلمس المباشر للحقائق الراهنة في الواقع العملي، حتى لا يبقى الحوار في المجال النظري، الذي قد يغفل أو يذهل الكثيرون ممن يستغرقون فيه عما يجري في الواقع. حتى إذا انصرفوا إلى الواقع العملي نسوا ما كانوا قد قرروه، وأقروا به في المجال النظري. ولم يروا أنفسهم ملزمين أو مطالبين بشيء منه.

ولأجل ذلك نرى أن الإمام الحسين «عليه السلام» بعد أن أوضح لابن عمر في المجال النظري عدم صحة بيعته «عليه السلام» ليزيد، وذلك بالاستناد إلى ما قاله رسول الله «صلى الله عليه وآله» في حقه، وفي حق أبيه.

نراه «عليه السلام» قد نقل ابن عمر، وابن عباس إلى المجال التطبيقي والعملي، ووضع اليد على المفاصل الحساسة البارزة جداً في مجال العمل.. فهو «عليه السلام»:

أولاً: قد نقل الحديث عن الخصوصات والمطلقات التي يمكن

تطبيقها على أي موضوع كان، إلى الحديث عن الشخص الذي لا يشاركه أحد، فطبق «عليه السلام» الحديث مباشرة على نفسه كشخص حي يتكلم، ويتعامل ويذهب ويجيء، فسأل ابن عباس أتعلم أني ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله».. مع أن هذا السؤال مستغرب في حد نفسه وهو يوجب لدى المسؤول درجة من التحفز، وتستيقظ سائر الحواس لديه لمعرفة الهدف من سؤال كهذا، لا يتوقع أن يطرحه من هو مثل الحسين على من هو مثل ابن عباس.

وسيكتشف كل من سمع هذا السؤال أن الهدف منه هو تجسيد المعنى على صفحة الواقع، ليصبح حياً وملموساً ومشاهداً، ولا يبقى مجرد حالة ذهنية بعيد عن التداول. ثم يطبق عليه ما يريد للناس أن يروه ويلمسوه فيه بصورة حية وملموسة أيضاً.

وبذلك يكون الموضوع والمحمول الذي هو النتيجة والمراد الأصلي له «عليه السلام» ـ يصبحان معاً ـ في نطاق المشاهدة، وفي دائرة الحضور المباشر بطريقة أو بأخرى.

ثانياً: إنه «عليه السلام» اتبع ذلك بسؤال يهدف إلى استحضار الممارسات العملية ضده التي كان أعداؤه اليزيديون يبادرون إليها، ولا تزال آثار ظلمهم، وتصرفاتهم ماثلة للعيان، فقال لابن عباس والهدف هو اسماع ابن عمر: «ما تقول في قوم أخرجوا ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله» من: داره، وقراره، ومولده، وحرم رسوله، ومجاورة قبره، ومسجده، وموضع مهاجره».

ثم اتبع ذلك ببيان آثار أفعالهم هذه، التي كانت واقعاً حياً ومشاهداً، فقال: «فتركوه خائفاً، مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي في موطن»، أو إلى وطن.

ثم ذكر «عليه السلام» أهدافهم الحقيقية من تصرفاتهم هذه، فقال: «يريدون في ذلك قتله، وسفك دمه».

ثم بين «عليه السلام» حقيقة ما هو عليه، من البراءة والطهارة عن كل ما يمكن أن يجعل ذريعة أو مبرراً لهذا البغي والأذى، فقال:

«وهو لم يشرك بالله شيئاً، ولا اتخذ من دونه ولياً، ولم يتغير عما كان عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله»، والخلفاء من بعده..».

الجامعية والدقة:

وتستوقفنا هنا أمور نجملها ضمن ما يلي من نقاط:

إنه «عليه السلام» قد ضمن كلامه هذا عن سلوك هؤلاء الباغين والمعتدين عليه بياناً كافياً وشافياً لجميع الشؤون والحالات التي ترتبط بهذا البغي الظاهر، من عدو آثم وفاجر..

فهو «عليه السلام»:

أولاً: أشار إلى الطرف المعتدى عليه والمضطهد، وموقعه في الأمة، ومنزلته، وأنه ابن بنت نبيهم، حيث لا ابن بنت نبي في الأمة سواه.

ثانياً: أشار إلى المنحى العام لممارساتهم تجاه هذا الشخص

الأقدس بالذات. وأنه منحى عدوان وإيذاء، وارتكاب جريمة هائلة.

ثالثاً: أشار إلى آثار تلك الممارسات على هذا الشخص المستهدف بالبغي والعدوان بعينه، وأنه أصبح خائفاً مرعوباً، لا يستقر في قرار، ولا يأوي إلى موطن.

رابعاً: تحدث عن غاياتهم التي يسعون إليها، وما يدبرونه لهذا الشخص في الخفاء، وبدأت بوادره تظهر في العلن..

خامساً: بين «عليه السلام» المسار العام لهذا الشخص الأقدس الذين يبغون له الغوائل.

وإذ أردنا الجهر ببعض الإيضاحات حول ما قدمناه فإننا نقول:

الممارسات العدائية:

ذكر «عليه السلام» أن اليزيديين:

١ ـ قد أخرجوه من داره. والإنسان يشعر في داره بمزيد من الأنس، والحرية والهدوء، وراحة البال، ويعيش الطمأنينة ويشعر بالسكينة فيها بشكل ظاهر وملموس..

٢ ـ إنهم أخرجوه من موضع قراره، فإن الإنسان إذا فقد الشعور بالقرار والاستقرار، حيث يفرض عليه أن يبقى مستوفزاً ومتحفزاً، وقد يبيت في مكان ويصبح في آخر، أو يتوقع أن يبقى ملاحقاً، ولا يعرف متى يزعجه أعداؤه ويجبرونه على ترك موضعه إلى غيره من المواضع التي لا يستطيع تحديدها، ولا التكهن بما ستكون عليه حاله فيها.. ـ إن الإنسان إذا كان هذا حاله ـ فإن عيشه سوف يتنغص

عليه، وتكون حياته صعبة، ومرهقة، ولا يستطيع أن يؤسس، أو أن يستحدث أي عمل تكون له صفة البقاء والنماء والتوسعة..

٣ ـ إنهم أخرجوه من مولده، أي من وطنه الذي ولد فيه، وفيه كانت ذكرياته، وهو الموضع الذي يحن إليه، ويأنس بالإقامة فيه.

٤ ـ إن الموضع الذي أخرجه الظالمون منه هو حرم رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فله موقعه الروحي لديه، وله قداسته وبركاته، وهو مهوى أفئدة المؤمنين، وموئل آمال الصالحين.

٥ ـ إنهم بعملهم هذا قد حرموه من مجاورة قبر الرسول «صلى الله عليه وآله». في حين أن كل مؤمن يرغب في أن يكون بقرب قبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ليكون هو الموئل والملجأ، والمشتكى له، ومن يطلب منه أن يكون الواسطة في قضاء الحاجات، والمفزع في المهمات والملمات.. وتلتمس منه النفحات الإيمانية، وأن يكون الشفيع يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

٦ ـ أضاف في الفتوح لابن أعثم هنا كلمة: «ومولده». ومرجع الضمير على الظاهر هو نفس رسول الله «صلى الله عليه وآله».. ومن الواضح أن مولده «صلى الله عليه وآله» لم يكن في المدينة، بل في مكة..

فلعل الصحيح: «وموطنه» أي الموضع الذي اتخذه وطناً بعد هجرته..

على أن كلمة ومولده لم تذكر في النص الذي أورده الخوارزمي،

ناقلاً له عن ابن أعثم نفسه..

٧ ـ إنهم أخرجوه أيضاً من مسجد الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهذا عدوان عليه من أكثر من جهة، فهو يحرمه من ثواب الصلاة في هذا المسجد الشريف، وهو ثواب عظيم بلا ريب..

كما أنه هو موضع ذكريات الحسين، ومحل أنسه، وموضع مولده، والمحل الذي نشأ وترعرع فيه «صلوات الله وسلامه عليه»..

٨ ـ إنهم أخرجوه من موضع مهاجر رسول الله «صلى الله عليه وآله». ولا شك في أن هذا الموضع يحتضن ذكريات الإسلام، ويشهد على جهد وتضحيات رسوله، ومن كان معه من المسلمين الذين كافحوا أعداءه، ورفعوا لواءه، وبهم أذل الله أعداءه، وأعز أولياءه.

ولا شك في أن هذه أجواء رضية، وحبيبة للإنسان المؤمن..

آثار ممارسات الأعداء:

ثم ذكر الإمام الحسين «عليه السلام»: أن من آثار تلك الهجمة العدوانية الشرسة عليه «صلوات الله وسلامه عليه»، وإخراجه من تلك المواضع المباركة.. أنهم:

١ ـ تركوه خائفاً. والحسين «عليه السلام»، وإن كان لا يخاف في الله أحداً، وهو أشجع الناس، ولكن قد يقال هنا:

أولاً: إن المقصود بالخوف هنا: هو الحذر من أن يتمكن الأعداء من فرض خياراتهم عليه، فيوجب ذلك إخلالاً في الوصول إلى ما كان يتوخى الوصول إليه بشهادته «عليه السلام».

فهو «عليه السلام» كان يعرف أنهم سوف يقتلونه، ولكنه يريد أن يهيئ الظروف، ليفرض عليهم أموراً تمنعهم من تزوير الحقائق، وخداع الناس في أمر قتله.

فهو يريد مثلاً أن يستصحب معه العيال والأطفال، فيكونوا سبايا، لكي يكونوا سنداً ودليلاً على مظلوميته، ووحشية ظالميه، ولا يتمكنوا من إحالة أمر قتله على مجهول، أو مجاهيل.

ويريد أن يخرج من مكة يوم التروية، وهو اليوم الذي يقصد الناس فيه مكة، ليعرف الناس بما كانوا قد دبروه من أمر اغتياله، ولو كان متعلقاً بأستار الكعبة..

وثانياً: إن الخوف الذي يتحدث عنه هو ذلك الذي ينتاب عامة الناس حين يواجهون أمراً كهذا، وإن لم يكن هذا الشخص بخصوصه خائفاً ـ لمزيد شجاعة فيه، أو لخصوصية إيمانية لديه، أو لأي سبب آخر.

٢ ـ إنهم تركوه «مرعوباً». فيحتمل أن يكون المراد به تأكيد معنى الخوف.

ويحتمل أن يراد به الإشارة إلى الإمتلاء بالخوف.

أو الإشارة إلى أن الخوف يكون من أمر يتوقع حصوله، أما الرعب فهو الحالة من الفزع التي تنتاب الشخص حين يفاجئه ما لا يتوقعه، كما لو وثب شخص فجلس إلى جنبك وأنت غافل..

وهذه الخصوصية أو تلك يمكن أن تكون مقصودة للإمام الحسين

هنا. لاسيما وأن هذا الذي صدر من يزيد والوليد بن عتبة ومروان، وبني أمية قد جاء بدون سابق إنذار، ومن دون مبررٍ وسبب..

٣ ـ إنه «عليه السلام» بات لا يستقر في قرار، بل هو يراقب تقلبات الأمور، ويرصد مكائد أعدائه ومؤامراتهم، ليتمكن من تلافيها، ولو بالتحول من موضع إلى موضع.

٤ ـ كما أنه «عليه السلام» بات لا يأوي إلى وطن، أو في موطن. وقد قلنا: إن ذلك يجعل من إنشاء مواضع تستطيع أن تلبي حاجاته على نطاق واسع، وتكون قابلة للنماء والعطاء، بنحو وافر ومستمر. أمراً غير ميسور، ولا مقدور.

كما أنه لا يشعر بلذة السكون، ولا يتلمس حنان الوطن، ولا يشعر بالحنين إلى بلد النشأة، وموضع الذكريات..

الغايات والأهداف:

ثم أشار «عليه السلام» إلى أن غايات وأهداف أولئك المعتدين والجبارين المتآمرين ليست هي ما يصرحون به، ويعلنونه على الملأ، فإنهم يبطنون خلاف ما يظهرون، فقد تجد منهم الكلمات المعسولة التي تنضح بالحب والولاء، ومعها الوعود السخية، والمؤكدة بالإيمان المغلظة، على الوفاء، ولكنهم حين يحصلون على ما يريدون يقلبون ظهر المجن، ويوقعون بضحاياهم كأشر وأضر، وأقبح ما يكون..

وهذه بالذات هي سياساتهم المعتمدة تجاه الإمام الحسين «عليه السلام»، فهم يظهرون أمام الناس سلامة النوايا، والتعظيم والتكريم،

ويعترفون له بكل ما يحب، ولكنهم يريدون في الباطن قتله وسفك دمه. كما قال «عليه السلام».

وهذا النوع من الناس هو الأشر والأضر والأخطر، بل هؤلاء هم الداء الذي لا دواء له.. فإنا لله وإنا إليه راجعون..

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» ذكر أمرين للتنويه بأنهما غايات وأهداف لهذه الهجمة التي يشنها الفريق الأموي اليزيدي ضد الإمام الحسين «عليه السلام»، وهما:

١ ـ إنهم يريدون قتله «عليه السلام».

٢ ـ إنهم يريدون سفك دمه «صلوات الله وسلامه عليه»..

فقد يقول قائل: لعل الفقرة الثانية جاءت لتأكيد الأولى.

ونجيب:

بأن من الواضح: أن القتل هو إزهاق الروح، وهو قد يحصل بصور مختلفة، فهناك قتل بالسيف، وبالسم، وبالخنق، وقتل الغيلة، والإلقاء من شاهق، وبواسطة الحيوانات المفترسة، وما إلى ذلك..

فلعلهم كانوا يرغبون بالتخلص منه بإزهاق روحه، ويريدون أيضاً أن يتلذذوا بسفك دمه «عليه السلام». وهذه خزاية أخرى لهم تضاف إلى أختها كما أشرنا إليه.

لا مبررات ولا أسباب:

ثم بين «عليه السلام»: أنه لا توجد مبررات ولا أسباب موجبة

لشيء من هذا الكيد الهائل الذي يواجهونه به. وقد ذكر «عليه السلام» عدة أمور تثبت هذه الحقيقة، وهي:

١ ـ إنه «عليه السلام» لم يشرك بالله شيئاً، يوجب استحلال سفك دمه، بل هو سيد الموحدين، وإمام أهل الدين في الأمة كلها.

٢ ـ إنه «عليه السلام» لم يتخذ من دون الله ولياً..

٣ ـ إنه لم يتغير عما كان عليه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

٤ ـ لم يتغير عما كان عليه الخلفاء من بعده.

وبعدما تقدم نقول:

ألف: لقد حدد «عليه السلام» أمرين، لهما ارتباط بالعقيدة، وهما:

الأول: التوحيد الخالص والصافي من شائبة الشرك في الاعتقاد. ولو أنه كان موحداً ثم أشرك لكان مرتداً عن فطرة، وحكم المرتد عن فطرة معلوم.

الثاني: إن توحيده خالص أيضاً من شائبة الشرك في التدبير والربوبية، والعمل والممارسة، والشاهد على توحيده هذا أنه لم يتخذ من دون الله ولياً. فلم ير لأحد مقام التدبير والهداية والرعاية مع الله سبحانه، أو من دونه، فالأمور كلها ترجع إليه، ولا يعول فيها إلا عليه.

وعلى هذا ومنه تتفرع سائر العقائد، كالاعتقاد بالله وصفاته، وبالأنبياء والرسل، والشرايع، والثواب والعقاب والجزاء في الآخرة وغير ذلك.

فالولي من دون الله إنما تتحقق ولايته بالإدعاء والاتخاذ، وليست هي ولاية حقيقية، ولذا لم يقل: ولم يكن لي ولي من دونه، بل قال: لم أتخذ ولياً.

ب: ثم حدد أمرين في مجال السلوك والممارسة:

الأول: إنه «عليه السلام» لم يتغير عما كان عليه رسول الله.. فيلاحظ:

١ ـ أنه لم يقل عن نفسه: لم يتغير عما كان عليه في عهد الرسول.. لأن ذلك لا يثبت أنه كان على خط الاستقامة، بل قال: إنه «عليه السلام» قد بقي على ما كان عليه الرسول نفسه، وهذا يفيد:

أولاً: إنه «عليه السلام» كان ملتزماً بخط الرسول وعمله في كبير الأمور وصغيرها، حتى كأنه نسخة عنه «صلى الله عليه وآله» في جميع أموره.

ويفيد ثانياً: أنه «عليه السلام» كان معصوماً، لأن من يوافق المعصوم وهو النبي «صلى الله عليه وآله» في جميع أموره فهو معصوم مثله..

٢ ـ إنه «عليه السلام» لم يقل: لم يتغير عما كان عليه النبي «صلى الله عليه وآله»، لأن قوام النبوة هو في الاتصال بالله سبحانه بواسطة الوحي، وليس في هذا التعبير إشارة إلى العمل والممارسة والسلوك، فقد يكون هذا الاتصال مرتبطاً بأمور أخرى ليست من مقولة العمل.

ولكنه إذا قال: «عما كان عليه رسول الله». فإنه يشير به إلى بلاغ إلهي يريد أن يصل إلى الناس، ليقوموا بوظائفهم تجاهه، سواء أكان أمراً اعتقادياً أو سلوكياً، وإخباراً عن حقائق معينة، أو غير ذلك..

الثاني: إنه «عليه السلام» لم يتغير عما كان عليه الخلفاء من بعده، والضمير هنا يرجع إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولم يقل: عما كان عليه في عهد الخلفاء لما ذكرناه تحت رقم [١]، قبل أسطر يسيرة.

وينبغي لفت النظر إلى أن هذا أيضاً يدل:

أولاً: على أن للخلفاء نهجاً وطريقة واحدة، ولا يعتري سلوكهم أي عيب أو نقص، أو خطأ، أو اختلاف.

ثانياً: إن الحسين «عليه السلام» قد التزم النهج الذي كان عليه الخلفاء بدقة متناهية.

ثالثاً: إن هذا يدل على عصمة هؤلاء الخلفاء في جميع أمورهم، لاسيما مع جعلهم عدلاً لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، ولو اختلفوا أو اختلف واحد منهم مع الرسول في مفردة واحدة في حياتهم لم يصح جعلهم مع الرسول في التأسي بهم، لأن الخطأ يصبح ظاهراً أو مشهوداً ولا يمكن تصويب كل من الخطأ والصواب في آن..

رابعاً: إذا كنا نعلم: أن الخلفاء الثلاثة الذين استولوا على الحكم بعد رسول الله «صلى الله عليه وآله» لا يدّعون العصمة لأنفسهم، ولا

يدعيها أتباعهم لهم.

وكنا نعلم: أنهم قد خالفوا بعضهم في أمور كثيرة.

وكنا نعلم أيضاً: أنهم قد وقعوا في أخطاء كثيرة، حتى قال عمر بن الخطاب عشرات المرات: لولا علي لهلك عمر.

وقد اعترف عمر بخطئه في العديد من الموارد، وقال في بعضها: امرأة أصابت ورجل أخطأ. فإنه يصبح واضحاً: أن المقصود بالخلفاء: هو جنس الخلفاء الذين لهم صفة العصمة، سواء تحقق الجنس في فرد أو أكثر، ولا يقصد به من صار خليفة ولو بالقهر والغلبة. أو فقل: المراد بالخليفة من كان خليفة حقاً،لا كل من يدعي الخلافة لنفسه.

وبعبارة ثالثة: الحديث عن الخلفاء على نحو القضية التي تشمل حتى الذين لم يولدوا بعد منهم «عليه السلام»، وهم بقية الأئمة الاثني عشر، لا على نحو القضية الخارجية. وقد ساق «عليه السلام» كلامه على طريقة التورية، التي يمكن أن يطبقها ابن عمر على الخلفاء بما فيهم أبو بكر وعمر، ويكون مقصود الحسين «عليه السلام» هو أئمة الحق، وهم: علي والحسن والحسين «عليهم السلام» ـ على نحو القضية الخارجية، أو الأئمة الاثنا عشر بعد الرسول، فتكون على نحو القضية الحقيقية، لأن أكثرهم لم يولد بعد.. فتكون من قبيل السؤال عن الخليفة بعد الرسول، فيجاب: «من كانت ابنته تحته».

ابن نظيره ووصيه:

وقد حكم ابن عباس بكفر من يسعى في قتل الحسين وسفك دمه، مع أنه «عليه السلام» رأس الفخار برسول الله.

وابن نظير الرسول «صلى الله عليه وآله».

وابن وصيه..

وابن الزهراء، نظيرة البتول مريم بنت عمران..

وبيَّن أيضاً: أن من رغب عن مجاورته، وطمع في محاربته، ومحاربة الرسول «صلى الله عليه وآله» لا خلاق له..

فقال الحسين «عليه السلام»: اللهم اشهد.

وفي كلام ابن عباس هذا إشارات جميلة، ومطالب جليلة، منها:

١ ـ أن الحسين «عليه السلام» رأس الفخار في الأمة كلها..

٢ ـ إن فخار الحسين «عليه السلام» إنما هو برسول الله «صلى الله عليه وآله» وموقعه منه. وهذا أمر ثابت ودائم لا يحول ولا يزول، فهو ليس كالفخار الذي يتلاشى ويزول، أو يتحول من شخص لآخر..

٣ ـ إن الحسين «عليه السلام» هو ابن من هو نظير الرسول ـ أعني علياً «عليه السلام» ـ كما هو مقتضى آية المباهلة وغيرها.

٤ ـ إنه ابن وصي الرسول «صلى الله عليه وآله»، وهذا الأمر كان شائعاً في الناس، ومقبولاً، ويجهر به الصحابة الأخيار في مناسبات كثيرة..

٥ ـ والحسين هو ابن الزهراء، نظيرة البتول.

والظاهر: أن المراد بالبتول هي مريم «عليها السلام»، فالزهراء «عليها السلام» نظيرتها في خصوصيتها، وهي صفة (البتولية)، وإن كانت الزهراء «عليها السلام» من جهة العلم والفضل أفضل من جميع النساء، من الأولين والآخرين إلى قيام يوم الدين.

ولعل اختياره «عليه السلام» صفة البتولية، وعدم تجاوزها إلى غيرها، لكي لا يفسح المجال لأصحاب الأهواء، لإثارة شبهاتهم بهدف تضييع المقصد الأساس الذي كان «عليه السلام» بصدد تكريسه، وترسيخه.

٦ ـ يقول ابن عباس: إن محاربة الحسين «عليه السلام» محاربة لرسول الله «صلى الله عليه وآله». من حيث إن الهدف منها هو إبطال غايات الحسين «عليه السلام»، وتضييع مقاصده، وهذه الغايات والمقاصد هي بعينها غايات ومقاصد الرسول «صلى الله عليه وآله».

٧ ـ وقول الحسين «عليه السلام»: «اللهم اشهد» قد دل على أن الحسين «عليه السلام» كان يريد تكريس هذه المعاني كلها في وجدان الأمة، وأن يعرف الناس أن ما يقوله أهل البيت «عليهم السلام» هو المتسالم عليه بين أهل الدين والعلم في الأمة.

الفصل الثالث:

حسم الأمر مع ابن عمر..

كأنك تريدني:

وبعد أن أصدر ابن عباس حكمه القاطع بالكفر على من يريدون قتل الحسين «عليه السلام»، وسفك دمه، وقال الحسين «عليه السلام»:

«اللهم اشهد..».

ففهم ابن عباس، أو ظن: أن الإمام «عليه السلام» يطلب الشهادة الإلهية على ابن عباس، لأنه هو الذي حكم وقرر، وذكر مبررات حكمه المتمثلة بموقع الحسين من رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وأنه رأس فخار هذه الأمة، وغير ذلك..

ولأجل ذلك قال: كأنك تريدني..

ويبدو لنا: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان يريد أن يستل من ابن عباس ما يدل على أن دخوله في الحوار معه كان على أساس أن المعني به غيره. على قاعدة: إياك أعني واسمعي يا جارة.

ولكن طلب الحسين «عليه السلام» الشهادة الإلهية قد أوقعه في الشبهة. فأعلن بصورة صريحة وقاطعة: أنه على استعداد لنصرته إلى أقصى حدود يمكن تصورها. وبلا مبالاة بالنتائج والآثار. وأن

أمر الحسين «عليه السلام» له هو الفيصل، وهو الغاية.

ذرنا من هذا يا بن عباس:

وهنا شعر ابن عمر: بأن الحوار قد لامس مواضع حساسة ومحرجة بالنسبة إليه، وأنه يتجه نحو حسم الموقف في الاتجاه الذي لا يريده ولا يفيده في تحقيق هدفه. فبادر إلى التدخل بهدف تغيير مجرى الحديث، فقال: ذرنا من هذا يا بن عباس، ثم شرع مرة أخرى في التأكيد على مقاصده.

وقد أظهرت كلماته أنه قد بنى كلامه وموقفه على أمر باطل من أساسه، فادعى أموراً لا واقع لها.. فقد طلب من الحسين «عليه السلام» ـ بلهجة الآمر ـ أن يرجع من هنا إلى المدينة، ويسالم بني أمية، وزين طلبه هذا بالترغيب بأمرين هما:

١ ـ أن لا يغيب عن وطنه، وكان الإمام الحسين «عليه السلام» قد ذكر: أن أولئك القوم قد أخرجوه عن داره، وقراره، ووطنه.

٢ ـ أن لا يغيب عن حرم جده «صلى الله عليه وآله»، وهو ما أشار «عليه السلام» إلى أنهم قد أخرجوه منه.

٣ ـ ثم عقب هذا وذاك بالترهيب من أن عدم الدخول في صلح أولئك الفجرة معناه: أن الحجة صارت لهم، وصار لهم سبيل عليه.

ولكن كيف يصح هذا والنبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي قرر الإمامة للحسن وللحسين «عليهما السلام» بأمر من الله تعالى؟! كما أن معاوية قد صرح، وأعطى العهود وأقسم الأيمان على أن لا يعهد

لأحد من بعده، وأن الأمر بعده للحسن ثم للحسين..

والحسين سيد شباب أهل الجنة، وسيد أهل الفخار برسول الله في الأمة كلها، وحال يزيد المهين والمشين لا يخفى على أحد.

فأي حق ليزيد في الخلافة؟! ولماذا يبايعه الحسين «عليه السلام»، وهو المعتدي على الحسين، والغاصب لمقامه؟!

وكيف يصير ليزيد على الحسين سبيل إذا امتنع «عليه السلام» عن البيعة له؟!

ولماذا أرادوا سفك دمه حتى قبل أن يعرف أحد بأن معاوية قد مات، وأن يزيد قد انتزى على أمر الأمة، واغتصب الحق من أهله؟!

٤ ـ والأنكى من هذا وذاك: أن ابن عمر يريد من الحسين «عليه السلام» أن يرجع إلى المدينة، ويجعل نفسه رهينة في أيدي الذين أرادوا قتله، ثم يقول له: إنه يمكن أن يرجع إلى المدينة، ولا يبايع ليزيد إلا حين يروق له ذلك. وكأن ابن عمر يفرض أن بني أمية قد سلموه زمام أمورهم، وأصبح هو الآمر الناهي فيهم.

أو أنه يفرض أن الحسين «عليه السلام» الذي أخبره قبل لحظات أنهم أخرجوه من داره وقراره، وجوار جده، ومسجده، وأرادوا قتله وسفك دمه قد نسي كلامه هذا، أو أنه لن يخطر على باله أن يسأل عن السبب الذي يجعلهم الآن يعزفون عن قتله، وسفك دمه، ويرضون منه بأن يعيش بينهم حراً طليقاً، دون أن يبايع ليزيد؟!

إلا إذا كان ابن عمر يفترض أن الحسين «عليه السلام» الذي

خرج إلى مكة لكي لا يمكنهم من قتله في المدينة قد نسي نفسه، وحاله، ونسي ما جرى عليه لشدة غفلته وسذاجته!! والعياذ بالله.

٥ ـ والأغرب والأعجب من ذلك كله: أن نجد ابن عمر يبرر سكوتهم عن الحسين إن لم يبايع بأن من الممكن أن لا يعيش يزيد إلا قليلاً، فيكفيه الله أمره.

فهل يرضى عاقل أن يسلم نفسه وأهله ودينه لجزارين وجبارين سعوا في قتله وسفك دمه، وأخرجوه من بلده وقراره، اعتماداً على احتمال أن لا يعيش ذلك المجرم طويلاً؟!

وماذا لو بادر ذلك المجرم إلى الفتك بالحسين «عليه السلام» في أول لحظات تمكنه منه؟!

وهل أصبح أجل يزيد بيد ابن عمر؟!

وماذا لو طال عمر يزيد إلى عشرات السنين؟!

أفٍ لهذا الكلام أبداً:

ولعل هذا الذي ذكرناه، وسواه من أمور تدل على اختلال فاحش في الموازين، وانحراف وسذاجة فاحشة في التفكير إلى هذه الحدود الخطيرة والمريرة حتى لدى من له مكانة خاصة في الناس، ولكلامه تأثير فيهم. لعل هذا وسواه هو الذي دعا الإمام الحسين «عليه السلام» إلى إظهار الأسى والغضب من كلام ابن عمر، الذي أصبح كل همه هو تشييد حكومة يزيد، والشدة على أهل الحق والدين، بمن فيهم سيد الفخار في الأمة برسول الله «صلى الله عليه وآله». والسعي الحثيث

لتركيع أقدس الناس وأطهرهم، وأعلمهم وأفضلهم، وإذلالهم، وانتزاع حقهم بأنواع من الأساليب الشيطانية الماكرة، ولذلك قال «عليه السلام»:

«أفٍ لهذا الكلام أبداً، ما دامت السماوات والأرض»!!.

ابن عمر: الحسين لا يخطئ:

وكانت هذه هي اللحظة الحساسة التي يجب فيها تسمية الأشياء بأسمائها، من دون مراعاة لخاطر ابن عمر، لأن ابن عمر هو الذي يصر على أن يقحم نفسه في أشد الأمور حساسية، وأعظمها خطراً على الدين، وعلى الأمة بأسرها، في الحاضر والمستقبل.

فأراد «عليه السلام» أن يخاطب وجدان ابن عمر، ويحرجه أمام التزامه الديني، فقال: أسألك يا عبد الله، أنا عندك على خطأ من أمري هذا؟ فإن كنت عندك على خطأ فردني، فإني [أخضع] أرجع، وأسمع وأطيع.

وقبل أن نسمع جواب ابن عمر، نشير:

أولاً: إلى أنه «عليه السلام» أقسم عليه بالله، ربما لكي يبعد ابن عمر عن اللجوء إلى اجتهاداته، وتحليلاته، واستحساناته وذوقياته.. ويضعه أمام مسؤولية شرعية، يطالبه الله تعالى بها.

ثانياً: إنه «عليه السلام» سأل ابن عمر إن كان يرى أنه «عليه السلام» في موقفه هذا مخطئاً، ونحن نعلم: أن الخطأ قد يحصل مع غفلة فاعله عن كونه خطأ، أي أنه يقصد أن يفعل الصواب، فيفعل

الخطأ. ولو علم بذلك لم يقدم على فعله. وهذا يدل على أن في الأمر درجة من عدم الاختيار. فيما يرتبط بالخطأ والإصابة.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» قد تعهد بأن يخضع للحق، وأن يرجع إليه، وأن يسمع ويطيع، فلو أن ابن عمر وجد فرصة لتخطئته «عليه السلام» لبادر للإستفادة منها في هذه اللحظة، فإنها هي التي تبلغه مراده، وتجعل الحسين «عليه السلام» خاضعاً، ومطيعاً وسامعاً، وإلى الحق راجعاً..

وبعدما تقدم نقول:

لننظر في جواب ابن عمر على سؤال الإمام الحسين «عليه السلام»، فقد قال:

«اللهم لا، ولم يكن الله تعالى يجعل ابن بنت رسوله على خطأ، وليس مثلك في طهارته، وصفوته [وموضعه] من الرسول أن يسلم على مثل يزيد بن معاوية ـ لعنه الله ـ باسم الخلافة..».

ولا نريد أن نتوسع في بيان مرامي كلام ابن عمر، بل نكتفي بما يلي:

إن ابن عمر اعترف أمام الله بصوابية موقف الإمام الحسين «عليه السلام»، بل هو قدّم الأدلة على عصمته «عليه السلام» في جميع أموره، واستدل على ذلك بأمور، هي:

ألف: إنه تعالى لم يكن ليجعل ابن بنت رسوله على خطأ.. ولعله يشير بذلك إلى أن العصمة للحسين «عليه السلام» إنما هي بفعل

وتصرف إلهي فيه «عليه السلام».

ولم يذكر مستنده لهذه القاعدة التي أطلقها، فلعله يرى: أنه تعالى بعصمته للحسين «عليه السلام» عن الخطأ إنما يحفظ به جده الرسول «صلى الله عليه وآله».. ويشير إلى هذا قوله أيضاً: «وموضعه من الرسول».

ب: إن صفوته وطهارته «عليه السلام» (والظاهر: أنه يريد الإشارة إلى مضمون آية التطهير) تمنع من صدور الخطأ منه «عليه السلام». ويشير إلى هذا قوله: «..وليس مثلك في طهارته وصفوته». يسلم على يزيد بالخلافة.

ج: يضاف إلى ذلك: أن موضع الحسين من الرسول «صلى الله عليه وآله» يحتم على الحسين «عليه السلام» أن لا يسلم على مثل يزيد بالخلافة.

الإعتذار الركيك والواهي:

ثم أبدى ابن عمر اعتذار ركيكاً وواهياً برر به إصراره على رجوع الحسين «عليه السلام» إلى المدينة، فقال: «ولكن أخشى أن يضرب وجهك هذا الحسن الجميل بالسيوف، وترى من هذه الأمة ما لا تحب، فارجع معنا إلى المدينة، وإن لم تحب أن تبايع، فلا تبايع أبداً، واقعد في منزلك».

فابن عمر يقر أمام الله بأن الحسين على صواب في موقفه، ولكنه ما فتئ يفكر في دائرة ضيقة جداً، وهي دائرة حفظ الوجه الحسن

الجميل من ضرب السيوف، ولا يفكر بمصلحة الدين والأمة.

ثم كرر مقولته عن أنه إن أحب أن لا يبايع، فلا يبايع أبداً، وليقعد في منزله..

ولا ندري كيف يستطيع ابن عمر أن يضمن للحسين سلامته، إذا لم يبايع، وقعد في منزله!! والحال أنهم أرادوا قتله وسفك دمه، بمجرد معرفتهم بموت معاوية، واضطروه للخروج من داره وقراره، ووطنه، ومسجد، وجوار جده ولو بقي في وطنه لقتله هؤلاء السفاحون، ولضاع دمه، ولم تترتب عليه أية فائدة، أو عائدة. فاحتاج «عليه السلام» لتوضيح الأمر له، وأنهم لا يتركونه إن ظفروا به إلا أن يبايع، وهو كاره، أو يقتلونه.

ثم ضرب له «عليه السلام» أمثلة عن قتل يحيى بن زكريا، وإهداء رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل، والرأس ينطق بالحجة عليهم، ولم يتراجعوا عن غيهم..

ثم ذكر له: أن يحيى لم يتضرر بشهادته، بل صار سيد الشهداء في عصره، واستمر هذا الفخار له إلى يوم القيامة (تماماً كما كانت مريم «عليها السلام» سيدة نساء العالمين في عصرها، واستمر هذا الفخار لها إلى يوم القيامة..

كما أن بني إسرائيل كانوا يقتلون كل يوم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس سبعين نبياً، ثم يجلسون في أسواقهم، يبيعون ويشترون كأنهم لم يفعلوا شيئاً، وقد أمهلهم الله، ثم أخذهم بعد ذلك أخذ عزيز

مقتدر.

الحسين × يواجه ابن عمر بقراره:

وبعد أن بلغت الأمور إلى هذا الحد، بادر الحسين «عليه السلام» لمواجهة ابن عمر بقراره النهائي، ووضعه أمام خيارات مختلفة، وأقام عليه الحجة التي تروق لابن عمر، وتتوافق مع ميوله. ونوضح ذلك كما يلي:

١ ـ إنه «عليه السلام» بعد أن أوضح الأمور بما لا مزيد عليه لابن عمر، ولكل من يسمع بما جرى في هذا الحوار، عدل عن أسلوب الحجاج إلى استثمار تلك الحجج، وتكريس معطياتها على شكل قرارات حاسمة لا يعذر أحد بالتخلف عنها، إلا إذا ظفر بحجة قاطعة تنقضها، وهيهات!!

غير أننا نلاحظ هنا: أنه «عليه السلام» كان بابن عمر رفيقاً، كما كان في قراره حازماً وحاسماً.. فهو يكنيه بأبي عبد الرحمان، ويأمره بأمرين:

أحدهما: أن لا يدع نصرته.

الثاني: أن يذكره في صلاته.

فلماذا اختار «عليه السلام» هذين الأمرين بالخصوص؟!

وقد يكون الجواب هنا هو:

أن الحسين «عليه السلام» كان يعلم أن ابن عمر لا يجرؤ على نصرته، وأنه سوف يحاول التملص والتخلص من هذا الأمر ما وجد

إلى ذلك سبيلاً. ولكن الإمام «عليه السلام» يريد من ابن عمر أمرين:

أحدهما: أن يكف عن إلقاء شبهاته التي يتذرع بها على الناس، أو على الأقل أن لا يكون بوقاً دعائياً للسلطة ضده «عليه السلام». فإن ذلك قد يؤثر على كثير من الناس تثاقلاً وصدوداً عن قبول الحق، لمجرد كونه ابن عمر.

بل لقد طلب «عليه السلام» منه أن لا يعجل بالبيعة ليزيد، حتى يعلم ما تؤول إليه الأمور.

الثاني: إنه حتى لو تملص وتخلص من أمر نصرته فعلاً، فالمطلوب هو أن يبقى تحت وطأة تأنيب الضمير، وملامة الوجدان، والشعور بالذنب، حيث طلب منه أن يذكره في صلاته، بل صرح له بأنه إذا كانت نصرته تثقل عليه، فلا يدع الدعاء له في كل صلاة.

وقد كان من الطبيعي أن يتذكر ابن عمر هذه الوصية عند كل صلاة، وهي بدورها ستذكره أيضاً بالحجج الحسينية عليه، والتي لم يجد إلى ردها سبيلاً، بل سجل إقراره بصحتها وبصحة موقف الحسين «عليه السلام»، وسجل ابن عمر تراجعه عن شبهاته التي حاول التذرع بها..

وهذا الشعور الذي أراد «عليه السلام» أن يثيره لدى ابن عمر لا بد أن يجعل هذا الأخير في دائرة الانضباط إلى حد كبير.

وهذا هو المطلوب. بل هذا ما حصل بالفعل، كما يدركه المراقب لحركة ابن عمر..

لو أدرك عمر زماني لنصرني:

لقد كان الحسين «عليه السلام» يعلم مدى تأثر ابن عمر بأبيه، وإعجابه به، وقد أراد أن يرسخ الشعور بالذنب وبالتقصير لدى ابن عمر، وأن يجعله يخشى من إدراك الناس الحقيقة التي أشار إليها الحسين «عليه السلام»، وهي: أن عمر بن الخطاب لو أدرك زمان الحسين لنصره.

ولا يمكن أن يظهر ابن عمر بمظهر المخالف لسياسة ورغبات أبيه في أي ظرف، وفي أي حال.

من أجل ذلك قال «عليه السلام» لابن عمر: «فوالذي بعث جدي محمداً «صلى الله عليه وآله» بشيراً ونذيراً، لو أن أباك عمر بن الخطاب أدرك زماني لنصرني، كنصرته جدي، ولقام دوني كقيامه بين يدي جدي».

فنلاحظ:

١ ـ أنه «عليه السلام» قد عزز كلامه بالقسم بالله.

٢ ـ أنه قد أشار في قسمه هذا إلى النبي «صلى الله عليه وآله» بقوله: «بعث جدي محمداً»، فتوصيفه النبي «صلى الله عليه وآله» بأنه جده وقد كان يمكن الاقتصار على قوله: «بعث محمداً» لا يخلو من الإيحاء بوحدة الفكر والنهج والأهداف بين الحسين «عليه السلام» وبين النبي «صلى الله عليه وآله»، لاسيما وأن جده «عليه السلام» هو الذي رباه، ورعاه، وعلمه.

٣ ـ يلاحظ: أنه «عليه السلام» قد ذكر أن عمر كان سوف ينصر الحسين «عليه السلام» لو أدرك زمانه بنفس الطريقة، وبالحدود، وإلى المدى الذي نصر جده محمداً «صلى الله عليه وآله»، وربما بنفس الدوافع والأهداف أيضاً.

فإن كان نصر عمر للنبي «صلى الله عليه وآله» مشروطاً بأن لا تتعرض حياته لخطر جدي، فليكن نصر ابن عمر للحسين «عليه السلام» محدوداً بهذا الحد أيضاً.

ولذا عقب «عليه السلام» على قوله المتقدم بقوله: «..فإن كان الخروج معي مما يصعب، ويثقل، فأنت في أوسع العذر إلخ..».

وإن كان نصر عمر لجده محمد «صلى الله عليه وآله» لغايات ذات طابع معين، فلتكن نصرة ابن عمر أيضاً لأجل تلك الغايات، فإنه سيكون هو المسؤول عن تلك الغايات في يوم القيامة. وما يريده منه «عليه السلام» هو أن لا يكون عوناً للأعداء، ومطية للأشقياء في غاياتهم الشريرة والهدامة لدين الله، وإذلال عباده.

فأنت في أوسع العذر:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد قال لابن عمر: إن كان الخروج معي مما يصعب ويثقل، فأنت في أوسع العذر. مع أن الحوار كله كان بصدد التأكيد على وجوب نصرته «عليه السلام»، وكانت آخر كلمة قالها الحسين «عليه السلام» لابن عمر: «اتق الله، ولا تدعن نصرتي».

فكيف نجمع بين هذا وذاك؟!

ويجاب:

بأنه بعد أن تقرر وجوب نصرته «عليه السلام» على جميع الأمة كما قال ابن عباس، وأقام الحسين «عليه السلام» الحجج على صحة هذا الأمر. ولم يعد لدى ابن عمر أي مهرب أو ملاذ. يصبح أمر امتثاله لهذا الواجب قراراً شخصياً يعود إليه هو أمر اتخاذه، أو الامتناع عنه، ويصير العذر الذي يبحث عنه ويريد التنويه به، وإبرازه ذا طابع شخصي بحت، ولا يستطيع بعد هذا أن يدعو الناس إلى التخلف عن الحسين «عليه السلام»، ولا يمكنه أن يخطئه في تحركه..

والأعذار الشخصية يترك أمرها إلى من يدّعيها، فإنه هو المسؤول والمحاسب، والمطالب يوم القيامة بإثبات صحتها وصلاحيتها..

ماذا يريد الحسين من ابن عباس؟!:

وتقدم: أن ابن عباس قال للحسين «عليه السلام» حين قال: اللهم اشهد: كأنك تريدني؟!

فتدخل ابن عمر وغيّر مجرى الحديث.

وبعد أن أنهى الحسين «عليه السلام» الحوار مع ابن عمر توجه بالكلام مرة أخرى إلى ابن عباس. ليقرر:

أنه «عليه السلام» قد رصد لابن عباس مهمة تحتاج إلى من

يتصدى لها بجدارة وكفاءة، ولكنه مهّد لما يريد بأمور، فجاء مجموع كلامه «عليه السلام» كما يلي:

١ ـ قال الإمام الحسين «عليه السلام»: إنك يا ابن عباس ابن عم والدي. وكأنه «عليه السلام» يريد أن يشير إلى أن الشواهد والدلائل قد توافرت وتضافرت على صدق ابن عباس في نصحه للإمام الحسين «عليه السلام»، فلا مجال لأن يستغشَّ في شيء مما قاله، فله قرابة قريبة بالحسين «عليه السلام» تدعوه إلى السعي في حفظه وكلاءته، لأنه ابن عم والد الحسين «عليه السلام».

فأي مكروه يصيب الإمام الحسين «عليه السلام» سوف يلحق ببني هاشم ضرراً، ويترك أثراً، وسيتعاظم الضرر والخطر، ويزداد الأثر، كلما كانت القرابة أقرب.

وابن عم الوالد قرابة قريبة، تفرض الصدق في النصيحة، والإخلاص في الحب والولاء.

٢ ـ كأنه «عليه السلام» يريد أن يفهم ابن عمر وغيره ممن سوف يسمع هذا الكلام: أن تعامل ابن عمر ونظرائه مع قضية الحسين وبني أمية كانت غير بعيدة عن المنطق العشائري البغيض والجاف، وكانت مشوبة بالمشاعر القبلية الضيقة، ولذا لم يأخذ ابن عمر مصلحة الدين والأمة بنظر الاعتبار، ولم يجعل للقيم والأخلاق، والمشاعر الإنسانية دوراً فاعلاً، ولا أفسح لها مجالاً يليق بها فيما يريد أن يقدمه على شكل نصيحة تفوح منها رائحة الضعف، وإسداء

خدمة للظالمين والجبارين.

ولأجل ذلك تحدث عن صون الوجه الجميل عن ضرب السيوف!! وغير ذلك مما تقدم.

٣ ـ ثم قال «عليه السلام» لابن عباس: ولم تزل تأمر بالخير، منذ عرفتك.

فدل «عليه السلام» بذلك على ما يلي:

ألف: إنه لا بد من تحصيل الطمأنينة بسلامة نية الناصح.

ب: إن على الإنسان أن يدرس تاريخ حياة من يأتيه بصورة ناصح، فإن ظهر أنه لم يزل يأمر بالخير، فذلك يسهم في تعزيز الثقة بسلامة نواياه.

ج: تضمنت كلمة الإمام «عليه السلام» لابن عباس شهادة جميلة ومشرقة في حق هذا الرجل الجليل. تدل على علو مقامه، ورفعة بيارقه، وأعلامه «رحمه الله».

د: إنه «عليه السلام» لم يقل: ما رأيتك تأمر إلا بالخير منذ عرفتك، لأنه قد يكون قد رآه مرات يسيرة أمر فيها بالخير. فلا يثبت ذلك: أنه لم يأمر إلا بالخير طيلة المدة التي حددها «عليه السلام».

بل أخبر بصورة قاطعة يقينية عن أن جميع ما أمر به ابن عباس منذ عرفه الإمام الحسين «عليه السلام» في عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى سنة تسع وخمسين، أو ستين ـ حسب زعمم ـ كان من الخير.

فهذا إخبار عن واقع حياة ابن عباس.

ونحن نعلم: أن الإمام الحسين «عليه السلام» وابن عباس كانا يعيشان في بيتين منفصلين، وكان لكل منهما حياته الخاصة والعامة، واجتماع وافتراق، وغيبة وحضور، فإخبار الحسين «عليه السلام» عن واقع حياة ابن عباس طيلة أكثر من خمسين سنة يدل على أنه قد تلقى علم ذلك بطريق غير معهود، ولا هو في متناول أيدي عامة الناس. وهو علم الإمامة الذي لا يخطئ.

هـ: إن مشورة ابن عباس بالخير طيلة أكثر من خمسين سنة من حياته يدل على حسن إدراكه للأمور، وعلى أنه يملك قسطاً وافراً من الحكمة، فضلاً عن دلالة ذلك على أمانته، وشهامته، وعلمه بموارد الأمور ومصادرها، وبأحكامها وما إلى ذلك..

و: ثم قدم «عليه السلام» شاهداً حياً وعملياً على ما يقول، وهو: أن ابن عباس كان موضع احترام وتقدير من سيد الأوصياء، ومن هو كنفس الرسول «صلى الله عليه وآله». أعني علي بن أبي طالب «عليه السلام». فكان يشير على علي بالرشاد، ومن كان كذلك فحري به أن يكون مأموناً فيما يشير به، وأن تكون مشورته موضع القبول والرضا، إذ إن علياً «عليه السلام» هو سيد الحكماء والعلماء، فإذا لم يجد في مشورة ابن عباس أية شائبة، فذلك يكون أدل دليل على صحة وسلامة مشورته، ولم نجد لابن عمر ولا لغيره من نظرائه هذا الموقع الشريف، والمكانة الرفيعة لدى أمير المؤمنين «عليه

السلام»..

بل لم تكن له هذه المكانة لدى أبيه عمر نفسه أيضاً.

امض إلى المدينة:

ثم إنه «عليه السلام» بعد هذه الإشادة بابن عباس، والتي لا تخلو من التعريض بغيره، والتشكيك بنواياه، وتثير الريب في صحة نصائح ذلك الغير، وظهور الغش والخطل فيها ندب ابن عباس إلى الذهاب إلى المدينة، وأمره بأن لا يخفي عليه شيئاً من أخباره.

وهذا يدل على أن الحسين «عليه السلام» كان يرى أنه بحاجة لمن هو مثل محمد ابن الحنفية ليكون عيناً له على أعدائه، ولكي يخبره بخططهم، وبتحركاتهم التي تعنيه..

وبحاجة إلى من هو مثل ابن عباس في جرأته، وفي قوة بيانه، وقاطعية حججه وعلمه، وإحاطته بالأمور، ومقبوليته لدى الخاص والعام، وقد عرفنا أن علاقته القوية بعمر بن الخطاب قد زادت من درجة اعتباره واحترامه عند الفريق الآخر..

ولديه طاقات كبيرة لا بد من توظيفها في مواجهة الكيد الإعلامي للفريق اليزيدي الأموي الحاقد. وإفشال خططهم في تشويه الإنجاز الهائل المتوقع، والمتمثل باستشهاد الحسين، وأهل بيته وأصحابه في كربلاء.

وهذا يفسر لنا سبب عدم حضور ابن عباس إلى كربلاء، بالإضافة إلى ما أصيب به من شحة في البصر تمنعه من ممارسة

القتال.. كما ذكره المسعودي وابن كثير (١).

القرار الحسيني الحاسم:

ثم أعلن الحسين «عليه السلام» قراره الحاسم بالبقاء في الحرم المكي، ما دام أهله راغبين في نصره، ومنعه، وإن خذلوه فلديه خيار واحد ذو شقين:

الأول: أن يستبدل بهم غيرهم. ولعل المراد بالغير: هم النبي وأهل بيته «عليهم السلام» الذين سيلتقيهم في سفر الآخرة، وقد قال تعالى: **(وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ)**(٢).

الثاني: أن يستعصم بالكلمة التي قالها إبراهيم الخليل يوم ألقي في النار: «حسبي الله ونعم الوكيل». فكانت النار عليه برداً وسلاماً..

وهذا يشير إلى أنه سيرضى بمواجهة الحتوف، وسيكون ما يجري عليه في كربلاء برداً وسلاماً، كالنار التي ابتلي بها إبراهيم الخليل «عليه السلام»، من قبل طاغية زمانه، المعروف بـ

---

(١) راجع: مروج الذهب ج٣ ص١٠١ والبداية والنهاية (ط دار ومكتبة الهلال سنة ١٤٢٩هـ) ج٨ ص٢٢٨٨ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٣٣٦ والغدير ج٢ ص٤٥ وفلك النجاة ص١٧٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٢ ص٣٩ وشجرة طوبى ج١ ص٤٢ وإختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ج١ ص٢٧١ وسعد السعود ص٢٨٥ وبحار الأنوار ج٨٩ ص١٠٥ وغاية المرام ج٥ ص٢٠٦.

(٢) الآية ٣٨ من سورة محمد.

«النمرود» «لعنه الله».

الأسلوب التقريري:

وبعدما تقدم نقول:

فإن إلقاء نظرة على هذا الحوار بين الحسين «عليه السلام» وبين ابن عباس وابن عمر يعطي: أن الإمام الحسين «عليه السلام»، قد اعتمد طريقة فريدة لبلوغ ما يريد، ولعلها مفردة يتيمة في تاريخ الحوار الإقناعي على مدى التاريخ..

فالحسين «عليه السلام» يقرر شخصاً بأمور معينة، لكي يفرض الحق نفسه على شخص آخر حاضر وناظر، فهو «عليه السلام» يقرر ابن عباس، ليفرض الحق نفسه على ابن عمر..

ومن خصوصيات هذه الطريقة:

أولاً: تحاشي مواجهة الطرف المقصود بما يراه تحدياً لفهمه للأمور، أو يعتبره إنكاراً لقناعاته.. فكأنه يعطيه شعوراً بالأمن من أن يكون مستهدفاً بالإحراج، أو بما يؤدي إلى تسفيه رأيه، وإلجائه إلى الجحود والمكابرة.

ثانياً: إن هذا الشعور السطحي بالأمن يعطي الفرصة للشخص المقصود للإختلاء بالفكرة المعروضة، من دون أن يكون لديه أية مشاعر سلبية تجاهها. قد تظهر نتيجة لتهيج الأنا في داخل نفسه، فتلجأ الأنا إلى الانتفاخ والتورم المصطنع الذي يزاحم الفكرة، ويضطرها للتضاؤل والإنكماش، الموجب لانحسار جزء كبير من

تأثيرها وقدرتها على إرضاء الوجدان..

ثالثاً: إن هذا الجو الهادئ والرصين يسقط أية ذريعة يمكن أن تسهل على المعني الحقيقي بالخطاب التملص من التزاماته، تجاه تلك الحقيقة، ويجعله غير قادر على تبرير هذا النحو من التعامل، مع أمر بهذا المستوى من الخطورة.

رابعاً: لنفترض أن المقصود الحقيقي بهذا الخطاب التقريري ـ كابن عمر ـ لم يتفاعل مع الحقائق التي أقر بها ابن عباس، لأي سبب كان، فإن ظهور الحق لسائر الناس يكفي مبرراً للحوار بهذا النحو التقريري الهادئ والرصين.

خامساً: إن ابن عباس كان هو الشخص الذي لا أحد سواه يقوم مقامه في حوار كهذا، لأن الإمام الحسين كان يعرف موقع ابن عباس في الناس حتى عند الفريق الآخر، وخصوصاً ابن عمر، وكان يعلم: أن هذه المكانة سوف تزداد رفعة وقوة. وذلك بسبب العلاقة التي كانت لابن عباس بعمر، واهتمام عمر به بصورة ظاهرة. وكان لعمر أثر كبير في الناس، وكان ابن عمر أيضاً معجباً بأبيه بصورة ظاهرة، ومهتماً بتأثر خطاه..

يضاف إلى ذلك: أن ابن عباس كان يملك مؤهلات عالية في المنطق، والبيان، وقدرات احتجاجية مميزة. وستبقى له مكانته الخاصة عبر الأحقاب والأزمان..

فعن مسروق قال: كنت إذا رأيت عبد الله بن عباس قلت: أجمل

الناس. فإذا تكلم قلت: أفصح الناس. وإذا تحدث قلت: أعلم الناس [١].

(١) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٣ ص٩٣٥ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص٢٠٣ والدرجات الرفيعة ص١٠٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٥١ والإصابة ج١ ص٥٦ وج٤ ص١٢٨ وأنساب الأشراف ج٤ ص٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١٥٧ والبداية والنهاية (ط دار ومكتبة الهلال سنة ١٤٢٩هـ) ج٨ ص٢٢٨٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٣٣٣ وشذرات الذهب ج١ ص٧٦ وسبل الهدى والرشاد ج١١ ص١٢٤ وذخائر العقبى ص٢٢٩.

الفصل الرابع:

الحسين × يكاتب زعماء البصرة..

كتاب الحسين × لأهل البصرة:

عن أبي عثمان النـهدي:

كَتَبَ حُسَينٌ «عليه السلام» مَعَ مَولىً لَهُم يُقالُ لَهُ: سُلَيمانُ، [وعند ابن نما: بعث الكتاب مع زراع السدوسي، وقيل: مع سليمان المكنى بأبي رزين] بِنُسخَةٍ إلى رُؤوسِ الأخماسِ بِالبَصرَةِ، وإلَى الأشرافِ.

فَكَتَبَ إلى مالِكِ بنِ مسمَعٍ البَكرِيِّ، وإلَى الأحنَفِ بنِ قَيسٍ، وإلَى المُنذِرِ بنِ الجارودِ، وإلى مَسعودِ بنِ عَمرٍو، وإلى قَيسِ بنِ الهَيثَمِ، وإلى عَمرِو بنِ عُبَيدِ اللهِ بنِ مَعمَرٍ، فَجاءَت مِنهُ نُسخَةٌ واحِدَةٌ إلى جَميعِ أشرافِها:

أمّا بَعدُ، فَإِنَّ اللهَ اصطَفى مُحَمَّداً «صلى الله عليه وآله» عَلى خَلقِهِ، وأكرَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَاختارَهُ لِرسالَتِهِ، ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إلَيهِ، وقَد نَصَحَ لِعِبادِهِ، وبَلَّغَ ما اُرسِلَ بِهِ «صلى الله عليه وآله»، وكُنّا أهلَهُ وأولِياءَهُ، وأوصِياءَهُ، ووَرَثَتَهُ، وأحَقَّ النّاسِ بِمَقامِهِ فِي النّاسِ.

فَاستَأثَرَ عَلَينا قَومُنا بِذلِكَ، فَرَضينا، وكَرِهنَا الفُرقَةَ، وأحبَبنَا العافِيَةَ، ونَحنُ نَعلَمُ أنّا أحَقُّ بِذلِكَ الحَقِّ المُستَحَقِّ عَلَينا مِمَّن تَوَلّاهُ، وقَد أحسَنوا وأصلَحوا، وتَحَرَّوُا الحَقَّ، فَرَحِمَهُمُ اللهُ، وغَفَرَ لَنا ولَهُم.

وقد بَعَثتُ رَسولي إلَيكُم بِهذَا الكِتابِ، وأنَا أدعوكُم إلى كِتابِ اللهِ وسُنَّةِ نَبِيِّهِ «صلى الله عليه وآله»، فَإِنَّ السُّنَّة قد أُميتَت، وإنَّ البِدعَة قَد أُحيِيَت، وإن تَسمَعوا قَولي وتُطيعوا أمري أهدِكُم سَبيلَ الرَّشادِ، وَالسَّلامُ عَلَيكُم ورَحمَةُ اللهِ.

فَكُلُّ مَن قَرَأَ ذلِكَ الكِتابَ مِن أشرافِ النّاسِ كَتَمَهُ، غَيرَ المُنذِرِ بنِ الجارودِ، فَإِنَّهُ خَشِيَ ـ بِزَعمِهِ ـ أن يَكونَ دَسيساً مِن قِبَلِ عُبَيدِ الله، [وعند ابن أعثم: وكانت حومة بنت المنذر بن الجارود تحت عبيد الله بن زياد]، [وعند الخوارزمي: بحرة بنت المنذر بن الجارود]، [وعند ابن طاووس: بحرية] فَجاءَهُ بِالرَّسولِ مِنَ العَشِيَّةِ الَّتي يُريدُ صَبيحَتَها أن يَسبِقَ إلَى الكوفَةِ، وأقرَأَهُ كِتابَهُ، فَقَدَّمَ الرَّسولَ فَضَرَبَ عُنُقَهُ [في اللهوف: فصلبه]، [وعند ابن أعثم: صبراً رحمه الله، ثم أمر بصلبه] وصَعِدَ عُبَيدُ اللِه مِنبَرَ البَصرَةِ، فَحَمِدَ اللّه وأثنى عَلَيهِ، ثُمَّ قالَ:

أمّا بَعدُ، فَوَاللهِ ما تُقرَنُ بِيَ الصَّعبَةُ ولا يُقَعقَعُ لي بِالشِّنانِ، وإنّي لَنِكلٌ لِمَن عاداني، وسَمٌّ لِمَن حارَبَني، أنصَفَ القارَةَ مَن راماها.

يا أهلَ البَصرَةِ! إنَّ أميرَ المُؤمِنينَ وَلّانِيَ الكوفَةِ، وأنَا غادٍ إلَيهَا الغَداةَ، وقَدِ استَخلَفتُ عَلَيكُم عُثمانَ بنَ زِيادِ بنِ أبي سُفيانَ، وإيّاكُم وَالخِلافَ وَالإِرجافَ، فَوَالَّذي لا إلهَ غَيرُهُ، لَئِن بَلَغَني عَن رَجُلٍ مِنكُم خِلافٌ لَأَقتُلَنَّهُ، وَعريفَهُ، ووَلِيَّهُ، ولَآخُذَنَّ الأَدنى بِالأَقصى، حَتّى تَستَمِعوا لي، ولا يَكونَ فيكمُ مُخالِفٌ ولا مُشاقٌّ.

أنَا ابنُ زِيادٍ، أشبَهتُهُ مِن بَينِ مَن وَطِئَ الحَصى، ولَم يَنتَزِعني

شَبَهُ خالٍ، ولا ابنُ عَمٍّ.

ثُمَّ [وفي اللهوف: ثم بات تلك الليلة، فلما أصبح] خَرَجَ مِنَ البَصرَةِ، وَاستَخلَفَ أخاهُ عُثمانَ بنَ زيادٍ، وأقبَلَ إلَى الكوفَةِ، ومَعَهُ مُسلِمُ بنُ عَمرٍو الباهِلِيُّ، وشَريكُ بنُ الأعوَرِ(١).

ويقول ابن طاووس:

كَتَبَ يَزيدُ إلى عُبَيدِ اللهِ بن زيادٍ ـ وكانَ والِياً عَلَى البَصرَةِ ـ بِأَنَّهُ قَد وَلّاهُ الكوفَة وضَمَّها إلَيهِ، ويُعَرِّفُهُ أمرَ مُسلِمِ بنِ عَقيلٍ وأمرَ الحُسَينِ «عليه السلام»، ويُشَدِّدُ عَلَيهِ في تَحصيلِ مُسلِمٍ وقَتلِهِ.

فَتَأَهَّبَ عُبَيدُ اللهِ لِلمَسيرِ إلَى الكوفَةِ. وكانَ الحُسَينُ «عليه السلام» قَد كَتَبَ إلى جَماعَةٍ مِن أشرافِ البَصرَةِ كِتابا مَعَ مَولىً لَهُ اسمُهُ سُلَيمانُ ويُكَنّى أبا رَزينٍ، يَدعوهُم فيهِ إلى نُصرَتِهِ، ولُزومِ طاعَتِهِ، مِنهُم: يَزيدُ بنُ مَسعودٍ النَهشَلِيُّ، وَالمُنذِرُ بنُ الجارودِ العَبدِيُّ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٧ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٦ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٣ و ٢٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٩ ـ ٤٢ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٧ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٩ ومثير الأحزان لابن نما ص٢٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٩ وراجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٥ والأخبار الطوال ص٢٣١ والملهوف ص١٠٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٥٥.

فَجَمَعَ يَزيدُ بنُ مَسعودٍ بَني تَميمٍ، وبَني حَنظَلَة، وبَني سَعدٍ، فَلَمّا حَضَروا قالَ: يا بَني تَميمٍ! كَيفَ تَرَونَ مَوضِعي مِنكُم، وحَسَبي فيكُم؟

فَقالوا: بَخٍّ بَخٍّ، أنتَ واللهِ فِقرَةُ الظَّهرِ، ورَأسُ الفَخرِ، حَلَلتَ فِي الشَّرَفِ وَسَطاً، وتَقَدَّمتَ فيهِ فَرَطاً.

قالَ: فَإِنّي قَد جَمَعتُكُم لِأَمرٍ أُريدُ أن أُشاوِرَكُم فيهِ، وأستَعينَ بِكُم عَلَيهِ.

فَقالوا: وَاللهِ إنّا نَمنَحُكَ النَّصيحَة، ونَجهَدُ لَكَ الرَّأيَ، فَقُل نَسمَع.

فَقالَ: إنَّ مُعاوِيَةَ قَد ماتَ، فَأَهوِن بِهِ وَاللهِ هالِكاً ومَفقوداً، ألا وإنَّهُ قَدِ انكَسَرَ بابُ الجَورِ وَالإِثمِ، وتَضَعضَعَت أركانُ الظُّلمِ، وقَد كانَ أحدَثَ بَيعَةً عَقَدَ بِها أمراً وظَنَّ أنَّهُ قَد أحكَمَهُ، وهَيهاتَ وَالَّذي أرادَ، اجتَهَدَ وَاللهِ فَفَشِلَ، وشاوَرَ فَخُذِلَ.

وقَد قامَ ابنُهُ يَزيدُ، شارِبُ الخُمورِ، ورَأسُ الفُجورِ، يَدَّعِي الخِلافَةَ عَلَى المُسلِمينَ، ويَتَأَمَّرُ عَلَيهِم بِغَيرِ رِضىً مِنهُم، مَعَ قِصَرِ حِلمٍ، وقِلَّةِ عِلمٍ، لا يَعرِفُ مِنَ الحَقِّ مَوطِئَ قَدَمِهِ، فَأُقسِمُ بِاللهِ قَسَماً مَبروراً، لَجِهادُهُ عَلَى الدّينِ أفضَلُ مِن جِهادِ المُشرِكينَ.

وهذَا الحُسَينُ بنُ عَلِيٍّ، ابنُ بِنتِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» ـ ذُو الشَّرَفِ الأَصيلِ، وَالرَّأيِ الأَثيلِ ـ لَهُ فَضلٌ لا يوصَفُ، وعِلمٌ لا يُنزَفُ، وهُوَ أولى بِهذَا الأَمرِ، لِسابِقَتِهِ، وسِنِّهِ، وقِدَمِهِ، وقَرابَتِهِ، يَعطِفُ عَلَى الصَّغيرِ، ويَحنو عَلَى الكَبيرِ، فَأَكرِم بِهِ راعي رَعِيَّةٍ، وإمامِ قَومٍ، وَجَبَت للهِ بِهِ الحُجَّةُ، وبَلَغَت بِهِ المَوعِظَةُ. فَلا تَعشوا عَن نورِ الحَقِّ،

ولا تَسكَعوا في وَهدَةِ الباطِلِ، فَقَد كانَ صَخرُ بنُ قَيسٍ قَدِ انخَذَلَ بِكُم يَومَ الجَمَلِ، فَاغسِلوها بِخُروجِكُم إلَى ابنِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» ونُصرَتِهِ، وَاللهِ لا يُقَصِّرُ أحَدٌ عَن نُصرَتِهِ إلّا أورَثَهُ اللهُ الذُّلَّ في وَلَدِهِ، وَالقِلَّةَ في عَشيرَتِهِ.

وها أنَا قَد لَبِستُ لِلحَربِ لامَتَها، وَادَّرَعتُ لَها بِدِرعِها، مَن لَم يُقتَل يَمُت، ومَن يَهرُب لَم يَفُت، فَأَحسِنوا رَحِمَكُمُ اللهُ رَدَّ الجَوابِ.

فَتَكَلَّمَت بَنو حَنظَلَةَ، فَقالوا: يا أبا خالِدٍ! نَحنُ نَبلُ كِنانَتِكَ، وفارِسُ عَشيرَتِكَ، إن رَمَيتَ بِنا أصَبتَ، وإن غَزَوتَ بِنا فَتَحتَ، لا تَخوضُ وَاللهِ غَمرَةً إلّا خُضناها، ولا تَلقى وَاللهِ شِدَّةً إلّا لَقيناها، نَنصُرُكَ بِأَسيافِنا، ونَقيكَ بِأَبدانِنا، فَانهَض لِما شِئتَ.

وتَكَلَّمَت بَنو سَعدِ بنِ يَزيدَ، فَقالوا: يا أبا خالِدٍ! إنَّ أبغَضَ الأَشياءِ إلَينا خِلافُكَ، وَالخُروجُ مِن رَأيِكَ، وقَد كانَ صَخرُ بنُ قَيسٍ أمَرَنا بِتَركِ القِتالِ، فَحَمِدنا أمرَنا وبَقِيَ عِزُّنا فينا، فَأَمهِلنا نُراجِعِ المَشورَةَ، ونَأتِكَ بِرَأيِنا.

وتَكَلَّمَت بَنو عامِرِ بنِ تَميمٍ، فَقالوا: يا أبا خالِدٍ! نَحنُ بَنو أبيكَ وحُلَفاؤُكَ، لا نَرضى إن غَضِبتَ، ولا نَقطُنُ إن ظَعَنتَ، وَالأَمرُ إلَيكَ، فَادعُنا نُجِبكَ، ومُرنا نُطِعكَ، وَالأَمرُ إلَيكَ إذا شِئتَ.

فَقالَ: وَاللهِ ـ يا بَني سَعدٍ ـ، لَئِن فَعَلتُموها لا يَرفَعُ اللهُ عَنكُمُ السَّيفَ أبَدا، ولا يَزالُ سَيفُكُم فيكُم.

ثُمّ كَتَبَ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»:

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيم

أمّا بَعدُ، فقَد وَصَلَ إليَّ كِتابُكَ، وفَهمتُ ما نَدَبتَني إليهِ، ودَعَوتَني لَهُ، مِنَ الأَخذِ بِحَظّي مِن طاعَتِكَ، وَالفَوزِ بِنَصيبي مِن نُصرَتِكَ، وأنَّ اللهَ لَم يُخلِ الأَرضَ مِن عامِلٍ عَلَيها بِخَيرٍ، ودَليلٍ عَلى سَبيلِ النَّجاةِ، وأنتُم حُجَّةُ اللهِ عَلى خَلقِهِ، ووَديعَتُهُ في أرضِهِ، تَفَرَّعتُم مِن زَيتونَةٍ أحمَدِيَّةٍ، هُوَ أصلُها، وأنتُم فَرعُها.

فَأَقدِم سَعِدتَ بِأَسعَدِ طائِرٍ، فقَد ذَلَّلتُ لَكَ أعناقَ بَني تَميمٍ، وتَرَكتُهُم أشَدَّ تَتابُعاً لَكَ مِنَ الإِبِلِ الظِّماءِ يَومَ خِمسِها لِوُرودِ الماءِ، وقَد ذَلَّلتُ لَكَ رِقابَ بَني سَعدٍ، وغَسَلتُ لَكَ دَرَنَ صُدورِها بِماءِ سَحابَةِ مُزنٍ، حَتّى استَهَلَّ بَرقُها فَلَمَعَ.

فَلَمّا قَرَأَ الحُسَينُ «عليه السلام» الكِتابَ قالَ: آمَنَكَ اللهُ يَومَ الخَوفِ، وأعَزَّكَ، وأرواكَ يَومَ العَطَشِ الأكبَرِ.

فَلَمّا تَجَهَّزَ المُشارُ إلَيهِ لِلخُروجِ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام» بَلَغَهُ قَتلُهُ قَبلَ أن يَسيرَ، فَجَزِعَ مِنِ انقِطاعِهِ عَنهُ.

وأمَّا المُنذِرُ بنُ الجارودِ، فَإِنَّهُ جاءَ بِالكِتابِ وَالرَّسولِ إلى عُبَيدِ اللهِ بن زِيادٍ؛ لِأَنَّ المُنذِرَ خافَ أن يَكونَ الكِتابُ دَسيساً مِن عُبَيدِ اللهِ بن زِيادٍ، وكانَت بَحرِيَّةُ بِنتُ المُنذِرِ زَوجَةَ لِعُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ، فَأَخَذَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ الرَّسولَ فَصَلَبَهُ، ثُمَّ صَعِدَ المِنبَرَ فَخَطَبَ، وتَوَعَّدَ أهلَ البَصرَةِ عَلَى الخِلافِ، وإثارَةِ الإِرجافِ، ثُمَّ باتَ تِلكَ اللَّيلَةَ، فَلَمّا أصبَحَ

استَنابَ عَلَيهم أخاهُ عُثمانَ بنَ زيادٍ، وأسرَعَ هُوَ إلى قَصدِ الكوفَةِ[١].

ونقول:

هنا أمور تحتاج إلى إيضاح، نذكر منها ما يلي:

ما الفرق بين الكوفة والبصرة؟!:

إن أول سؤال يواجه الباحث للوهلة الأولى هو: ما سبب اختلاف طريقة تعامل الإمام الحسين «عليه السلام» مع أهل البصرة عن تعامله مع أهل الكوفة، فإن ذلك ظهر في ثلاث جهات:

الأولى: إنه «عليه السلام» يبادر إلى الكتابة لزعماء أهل البصرة، يدعوهم لنصرته، ولم يكن أحد من أهل البصرة قد كتب إليه، ولكنه يتريث في الكتابة إلى أهل الكوفة، بل هو لا يجيبهم على كتبهم، حتى اجتمع لديه منها اثنا عشر ألف كتاب..

الثانية: إنه «عليه السلام» يكتب إلى زعماء البصرة، ويسميهم بأسمائهم، ولكنه في كتابه لأهل الكوفة لا يسمى أحداً منهم، بل يخاطب المؤمنين والمسلمين، وهو عنوان عام.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص٤٤ ـ ٤٧ والملهوف ص١٠٩ و (ط أنوار الهدى ـ قم سنة ١٤١٧هـ) ص٢٨ و ٢٩ ومثير الأحزان ص٢٧ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ) ص١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٧ ـ ٣٣٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٨ و ١٨٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠.

الثالثة: إنه أرسل سفيراً إلى الكوفة ليطلعه على أحوالهم، ولم يرسل سفيراً إلى البصرة.

ونقول:

١ ـ يمكن أن يجاب على الجهة الأولى بما يلي:

أولاً: إن اندفاع أهل الكوفة للقيام ضد بني أمية كان مشهوداً، ولا سيما بعد استشهاد الإمام الحسن «عليه السلام»، فقد بذلوا جهداً كبيراً لاقناع الحسين «عليه السلام» بالقيام ضد معاوية، لكنه لم يستجب لهم، لأنه لا ينكث عهده، ولا يخيس بوعده، وكان يصر على أنه لن يفعل ذلك ما دام معاوية حياً.

وحين مات معاوية زاد اندفاعهم إليه، وإصرارهم عليه «عليه السلام» بأن يتولى قيادتهم لإنجاز هذا المهم.

فمجاراتهم في اندفاعتهم هذه، قد تكون مدخلاً لتوقعات منهم لا يستطيع الإمام الحسين «عليه السلام» أن يستجيب لها، أو أن ذلك قد ينشأ عنه انفلات الأمور، والوقوع في مزالق، ومهالك تضر بمسار الحركة، وتشوه وجهها المشرق، وتحرفها عن مسارها، وربما أعطت عنها، وعن أهدافها، وعن أساليبها ومناهجها صورة مشينة، ومهينة، وهذه هي الكارثة العظمى، والداء الذي لا دواء له.

فكان لا بد من كبح جماح هذه الاندفاعة، وعقلنتها، وإفهام هؤلاء الناس أن عليهم أن يعودوا إلى رشدهم، وأن يضعوا قرارهم بيد أهل الحجى، والرأي والعقل، والفضل فيهم، وأن يخرجوا من جو الطيش

والخفة والعشوائية، والتسرع، والتأمل، والنظر في العواقب، والتدبير السليم، فإن القضية بمنتهى الخطورة على الدين، وعلى مستقبل المسلمين. وعلى أرواحهم، وأعراضهم، وكل وجودهم.

ثانياً: إن ما جرى على الإمام الحسن «عليه السلام»، وإلجائه إلى قبول المعاهدة مع معاوية بسبب نكث طائفة من جيشه بيعته، وغدرهم به «عليه السلام»، قد جعل إسراع الإمام الحسين «عليه السلام» في الاستجابة لهم أمراً غير سديد، فضلاً عن أن يكون الإمام «عليه السلام» هو المبادر لدعوتهم لنصرته، فإنه لو فعل «عليه السلام» ذلك، وانتهت الأمور على النحو الذي انتهت إليه، لرأينا معظم الناس في الأمة يدينون الإمام الحسين «عليه السلام»، ويتهمونه بالسذاجة، وبالإصرار على أمر تشير جميع الدلائل ـ بنظرهم ـ إلى أنه خطأ محض.

وسيكون شاهدهم على ذلك هو:

أن الكثيرين من الأعيان قد نصحوا الإمام الحسين «عليه السلام» بعدم الركون إلى قوم قتلوا أباه، وطعنوا أخاه، وغدروا به، ونكثوا به. ولكنه لم يصغ لنصائحهم، ولا استجاب لمطالبهم، وأن ما جرى له قد دلّ على صحة ما أشاروا به.

وإذا تمكن المغرضون من الطعن بالإمام «عليه السلام»، وإثارة الشبهات حول مساره، وحكمته، وتدبيره، وسياسته وغير ذلك، فإن استشهاده يصير بلا فائدة ولا عائدة. بل قد يكون من موجبات الوهن

في الدين، ويصبح الضلال والباطل حقاً، ويصير الحق باطلاً..

ولكن السياسة التي اتبعها «عليه السلام» معهم قد أظهرت أنهم هم الذين لجأوا إليه، وأصروا عليه، ولم يلجأ هو إليهم، ولا طلب منهم النصر والمؤازرة.

٢ ـ يجاب على الجهة الثانية، وهي كتابته «عليه السلام» لأشخاص بأسمائهم وبأعيانهم في البصرة، لكنه بالنسبة للكوفة قد أرسل الكتاب إلى عنوان عام، وهو المؤمنون أو المسلمون، ـ يجاب ـ بما يلي:

إن رؤساء القبائل كانوا في تلك الفترة هم الذين يمكسون بقرار قبائلهم ومرؤوسيهم، وليس لأحد مع هؤلاء الرؤساء أمر، وليس له أن يتخلف أو أن يخالف رغباتهم.

والأشخاص الذين كتب إليهم وسماهم بأسمائهم في البصرة هم رؤساء الأخماس، ونفس النسخة أرسلها أيضاً إلى الأشراف فيها.

ويلاحظ: أن هؤلاء ـ باستثناء واحد منهم، كان من الأشراف، وليس من رؤساء الأخماس ـ.

إما لم يجيبوا الإمام على رسالته..

أو أجابه بعضهم بجفاء كالأحنف، بل قد يقال: إنه أجاب بما فيه إساءة وسوء أدب.

أو بادر إلى عبيد الله بن زياد، وهو الوالي على البصرة من قبل يزيد، وهو من ألدّ أعداء الحسين، ليخبره بالكتاب، وبمضمونه، ثم

أحضر إليه الرسول الذي حمل كتاب الحسين «عليه السلام» إلى رؤساء الأخماس، فقتله عبيد الله بن زياد وصلبه.

فظهر: أن أكثر الذين كتب «عليه السلام» إليهم كانوا من الفريق المناوئ له «صلوات الله عليه».

ومن المعلوم: أن الكتابة إلى أعيان البلد، ورؤسائه بأسمائهم في أي أمر من الأمور، لا يدين المكتوب إليه، ولاسيما إذا كان أكثر الرؤساء من الفريق الآخر المناوئ لصاحب الكتاب، والمعاضد لأعدائه، ولا يجعل لأحد سبيلاً عليه، إلا إذا ظهر أنه استجاب لما طلبه منه صاحب الكتاب..

والمراد بالأخماس، الذين كان هؤلاء الخمسة رؤساء لها هو:

١ ـ الخمس الأول: أهل العالية.

٢ ـ بكر بن وائل.

٣ ـ تميم.

٤ ـ عبد القيس.

٥ ـ الأزد(١).

وهناك رؤساء آخرون، لهم موقعهم وكلمتهم في بقية القبائل.

أما أهل الكوفة فإن الذين كتبوا إليه «عليه السلام» منهم، كانوا

---

(١) لسان العرب ج٦ ص٧٠ و ٧١ وتاج العروس ج٨ ص٢٦٧ وراجع: أعيان الشيعة ج١ ص٤٧٥ ووقعة صفين للمنقري ص١١٧.

من مختلف الفئات والطبقات، فلو سمَّى «عليه السلام» أي واحد منهم، فإنه يكون قد أشاط بدمه، وأغرى به الأعداء، وسوف يؤخذ ويقتل، وينكل به، لأن تسمية أي شخص أو أشخاص في رسالته «عليه السلام» الجوابية على أثني عشر ألف كتاب تعني أنهم المعتمدون عنده، والمعول عليهم لديه، والمدبرون لأمر حركته في بلدهم، وربما في غيره أيضاً.

٣ ـ أما الجهة الثالثة، وهي ارسال سفير له إلى الكوفة دون البصرة، فإن هذا السفير إنما قدم الكوفة مستطلعاً للنوايا، مختبراً للإمكانات، مدبراً للأمور، ولم يأت إليها، لأن ثمة قناعة تكونت لدى الإمام «عليه السلام» باتساق الأمور، أو لأنه استجاب لمطالب أهل الكوفة..

وقد كان حال أهل البصرة معروفاً للقاصي والداني، وأنها كانت تميل في الأكثر إلى الفريق المناوئ لأهل البيت. وكان أهلها عثمانية، وإن كان هناك قسم من أهلها ـ ولو بنسبة أقل ـ يميلون إلى أهل البيت «عليهم السلام» أيضاً، كما ظهر من أحد الأشراف الذي أقنع بني تميم، وبني سعد وغيرهم بنصرة الحسين «عليه السلام»، وتجهز هو ليلتحق به، فبلغه أنه قد استشهد..

أما الكوفة فهي وإن كانت أكثر تعاطفاً مع أهل البيت «عليهم السلام»، ولكنها كانت تحتاج إلى تعامل رفيق ودقيق، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، حتى لا تطيح العشوائية والفوضى بأهداف

الحركة الحسينية المباركة، بحيث إذا انتهت الأمور بالاستشهاد، لا تضيع ثمراته، كما أشرنا إليه..

وكنا أوصياءه، وأحق الناس بمقامه:

وتقدم: أنه «عليه السلام» قد كتب لأهل البصرة ما يثبت أن الحق له دون سواه، ولكن بطريقة مرنة ومؤثرة، لأنه اعتمد على مفردات تنسجم مع المنطق، ويفرضها واقع الحال، وهي أنهم:

أهله.

وأولياؤه.

وأوصياؤه.

وورثته.

وأحق الناس بمقامه في الناس.

وبيان ذلك كما يلي:

١ ـ إن من المعلوم: أن الحسين «عليه السلام» هو من أهل بيت النبوة، وقد عاش ونشأ وتربى في كنف الرسول «صلى الله عليه وآله»، وظهر له من الأمتياز على سائر الخلق، والتفرد بالمزايا، والحظوة عند الرسول، والمقام عند الله ما بهر العقول، وبخع له وسلم به القريب والبعيد، والعدو والصديق.

٢ ـ إن الذي يريد أن يجلس في موقع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويحكم الناس بشرع الله سبحانه، ويهديهم إلى دينه، لا بد أن

يكون عالماً بهذا الشرع، واقفاً على شؤون ودقائق وحقائق هذا الدين.

كما أنه لا بد أن يملك الميزات والصفات التي يتوخاها صاحب الشريعة فيه، ويعطي الإنطباع عما يريد أن يدعو الناس إليه، ويحملهم عليه، ويكون أسوة وقدوة لهم فيه..

٣ ـ إن آية توافر هذه الشروط في هذا الحاكم أن تظهر ثمرات حاكميته، ونهجه في الواقع العملي العام أمناً، وصلاحاً، وخيراً، وفلاحاً، ورشاداً وسداداً، ونجاحاً. فمن يحتاج إلى الأمن يوفر الأمن له، ومن يحتاج إلى المال، يجد المال الحلال الطيب. ومن يحتاج إلى العلم يجد العلم الصحيح والنافع، ومن يحتاج إلى التربية الصالحة، والتحلي بالأخلاق الحميدة، والفضائل المجيدة يجد نفسه في محيط ملؤه الطهر والنزاهة، والأخلاق والفضائل. ومن يحتاج إلى العدل والقسط يجد ذلك على أكمل وأتم وجه. وهكذا يقال في سائر مجالات الخير، والهداية، والرعاية..

٤ ـ وبذلك تظهر أحقية أهل البيت «عليهم السلام» بمقام النبي «صلى الله عليه وآله»، وخلافة النبوة، كما دلت عليه المفردات التي ساقها الإمام الحسين «عليه السلام» للتدليل على ذلك، فمثلاً:

ألف: إن أهل الرجل هم أعرف الناس به، وهم يعرفون آماله وآلامه، وما يفكر فيه، وما يخطط له، ويطمح إليه، وما يهمه، وما لا يهمه، وما يفرحه، ويزعجه.

ويرونه في مختلف حالاته، حتى حين يكون في خلواته،

ويعرفونه حين يرضى، وحين يغضب، وحين يصح وحين يمرض، وفي حالتي السرور والحزن، والتعب والراحة، ويرون تعامله المباشر مع الأشياء من حوله، ويسمعون منه ما ينم عن مشاعره، ومواقفه تجاه كبير الأمور وصغيرها، وجليلها وحقيرها، وما إلى ذلك.

وهذه المعرفة، المتمازجة مع المشاعر الحميمة والرحيمة، تزيد في بصيرة أهل البصيرة منهم، وتعمق وعيهم لمقاصده، وانشدادهم إليها، وتفاعلهم معها، واندفاعهم نحو تحقيقها بصدق وأمانة وإخلاص، ثم بحكمة وحنكة، وبحزم وثبات.

ب: إن أولياء الرجل هم أقرب الناس إليه، وألصقهم به، وهم الذين يتولون شؤونه، ويلبون مطالبه، ويسعون في حاجاته وهم أبوابه، وحجابه، وأقرباؤه وأصحابه. ومن خلالهم يتصل الآخرون به، ويصلون إليه..

ج: كما أن أوصياء الرجل هم الذين يعتمد عليهم ويثق بهم، ويلجأ ويسكن إليهم، ويحملهم مسؤولية حفظ ما يريد حفظه، أو إنجاز المهمات التي يرغب في إنجازها.

د: وورثة الرجل هم الذين يهتمون بحفظ تراثه المادي والمعنوي، ويهمه أن يكونوا هم المتولين لحفظ ذلك التراث، ويرغب بأن يصل إليهم دون غيرهم، بل هو يهيؤهم ويعدهم لهذا الأمر، ويزيل الموانع من طريقه.

وهم بدورهم يحرصون على تنمية ذلك التراث، وبقائه، ونقائه، وتنميته وزيادته، وهم الأعرف بخصوصيات هذا التراث، وبكيفية التعامل معه.

هـ: والنقطة الأخيرة التي أشار إليها الإمام الحسين «عليه السلام» في رسالته إلى أهل البصرة هي: أن أهل البيت «عليهم السلام» هم أحق الناس بمقام النبي «صلى الله عليه وآله» في الناس. وهذا مما يقر به الناس، وجروا عليه في تعاملهم وتدركه عقولهم، وتقودهم إليه فطرتهم..

وكل عمل يخالف طبيعة الأمور، وما تقود إليه الفطرة، لن يكون سبيل نجاح وفلاح، بل هو ينذر بالفشل الذريع، والسقوط المريع.

أحسنوا وأصلحوا:

ثم وصف «عليه السلام» الذين اغتصبوا مقام أهل البيت «عليهم السلام» بقوله: «أحسنوا، وأصلحوا، وتحروا الحق، فرحمهم الله، وغفر لنا ولهم».

وهذه الكلمات لم نعهدها في طريقة تعامل أهل البيت «عليهم السلام» مع الذين استلبوا حقهم، وآذوهم، وضربوا سيدة النساء «عليها السلام»، وأسقطوا جنينها..

على أن الوقائع التي حفل التاريخ والحديث بالكثير منها لا تؤيد صحة ما تقرر في هذه الكلمات. ولو أردنا جمع الشواهد على ذلك، لملأنا عشرات الصفحات. ويكفي أن نذكّر المرء بما فعله خالد بمالك

بن نويرة، فقد قتله، وزنى بامرأته في نفس ليلة قتله، وقد أعفاه أبو بكر من العقوبة، واعتبر هذا الزاني والقاتل لصحابي مسلم: أنه مجتهد، مأجور على فعله هذا.

كما أن عمر بن الخطاب قد منع من تدوين أحاديث رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وجمع ما كتبه الصحابة منه، وأحرقه، وضيق على الناس، ومنعهم من الحديث إلا بشاهدين، واستمرت هذه السياسة إلى عشرات السنين حتى فشا الجهل وكثرت البدع. وهل يعد مصلحاً ومحسناً ومتحرياً للحق. وقد سن للناس صلاة التروايح وقال: بدعة ونعم البدعة هي، أو نحو ذلك؟!(١).

---

(١) راجع: الموطأ (باب رمضان) ح٣ وصحيح البخاري (ط سنة ١٣١٢ هـ) ج١ ص٢١٨ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٢٥٢ والسنن الكبرى للبيهقي ج٢ ص٤٩٣ وعمدة القاري ج١١ ص١٢٥ وفتح الباري ج٤ ص٢١٩ وتحفة الأحوذي ج٣ ص٤٥٠ و ٣٦٦ والمصنف للصنعاني ج٤ ص٢٥٩ وصحيح ابن خزيمة ج٢ ص١٥٥ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٣٥٩ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٣٠٤ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٢ ص١٥٨ و ١٥٩ والرياض النضرة ج٢ ص٣٠٩ وكنز العمال ج٨ ص٤٠٨ و ٤٠٩ والتعديل والتجريح ج١ ص٤٦ وغريب الحديث ج١ ص٢٧٧ وسفينة النجاة للتنكابني ص٢٤١ والإمامة والسياسة ج١ ص٢٤ والكامل في التاريخ ج٢ ص٤٦١ والإصابة ج٢ ص٤٦٣ والمدونة الكبرى ج١ ص٢٢٢ والموطأ لمالك ج١ ص١١٤ وتنوير الحوالك ص١٣٧ والمغني لابن قدامة ج١ ص٧٩٨ والشرح الكبير ج١

ومن منع من متعتي الحج والنساء، رغم اعترافه بأنهما كانتا على عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟!

ويمكن للباحث أن يرجع إلى كتاب الغدير للعلامة الأميني، ليجد مئات الشواهد الناقضة لمقولة: أنهم «أحسنوا، وأصلحوا، وتحروا الحق».

ولن يكون من المقبول القول بأنه «عليه السلام» قد قال هذا تألفاً لأهل البصرة، الميالين إلى الفريق الآخر.. لأن أهل البصرة يعلمون ـ كما يعلم غيرهم ـ موقف علي وأهل البيت ممن غصبوا حقهم، وأزالوهم عن مقامهم، وكانوا ينتقدون سياساتهم، ومخالفاتهم، وستكون محاولة التألف مفضوحة، وربما تكون لها آثار سلبية، إذا فسرت على أنها نوع من الخداع للناس، بهدف الحصول على تأييدهم

ص٧٤٧ ونيل الأوطار ج٣ ص٦٣ وشعب الإيمان ج٣ ص١٧٧ وفضائل الأوقات ص٢٦٦ ومعرفة السنن والآثار ج٢ ص٥٢١ والإستذكار لابن عبد البر ج٢ ص٦٥ و ٦٦ و ٦٧ وكشف المشكل ج١ ص١١٦ ونصب الراية ج٢ ص١٧٤ والجامع لأحكام القرآن ج٢ ص٨٧ وتفسير البحر المحيط ج١ ص٥٣٤ وتفسير القرآن العظيم ج١ ص١٦٦ وتفسير الآلوسي ج٢٧ ص١٩٣ والإحكام لابن حزم ج١ ص٤٣ وتاريخ بغداد ج٨ ص٥١ وسير أعلام النبلاء ج١٠ ص٧٠ وتاريخ المدينة ج٢ ص٧١٣ و ٧١٤ و ٧١٥ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٤ ص١٨٠ وتاريخ الإسلام للذهبي ج١٤ ص٣٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج١ ص٣٦٥ و ٣٧٠ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص١٣٦.

ومساعدتهم..

إن تسمعوا وتطيعوا أهدكم:

وقال «عليه السلام» في رسالته لأهل البصرة: «وإن تسمعوا قولي، وتطيعوا أمري، أهدكم سبيل الرشاد».

ففي هذه الكلمة على إيجازها إشارات لعدة أمور:

فأولاً: إنه «عليه السلام» ليس فقط قد جعل الأمر منوطاً بالناس من أهل البصرة، وأن العمل والجهد، والحركة والفعل منهم بالدرجة الأولى، ولم يأخذ هو على عهدته أكثر من الدلالة والهداية لأولئك العاملين.

ثانياً: إن هذا المنطق يختلف كثيراً عن منطق حكام الجور، وعن المهمات والصلاحيات التي يمنحونها لأنفسهم، فهم يتعاملون مع الناس على القاعدة التي أشار إليها الكميت في شعره، حين قارن بين سياسات أهل البيت في الناس، وسياسات غيرهم من بني أمية وسواهم، فقال:

ساسة لا كمن يرى النا س سواء ورعية الأنعام

جز ذي الصوف، وانتقاء لذي ة نعقاً ودعدعاً بالبهام

وثالثاً: إنه «عليه السلام» لا يفرض على الناس إطاعة أمره، وسماع قوله، كما يفعله أهل الباطل.

وخطبة عبيد الله بن زياد في وعيده لأهل البصرة شاهد على هذا الفارق، وعلى غيره من الفوارق الشاسعة بين سياسة أهل البيت في

الناس، وسياسة أهل الباطل.

الإختلاف في الأسماء:

١ ـ تقدم: أن زعيم بني تميم الذي استجاب لدعوة الإمام الحسين «عليه السلام» هو كما يقول ابن نما: يزيد بن مسعود النهشلي(١).

ويزيد هذا كان من أشراف البصرة، ولم يكن من رؤساء الأخماس. وقد صرح ابن طاووس، وابن نما: بأن الحسين قد كتب إليه أيضاً(٢).

وهناك ما يدل على أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد كتب إلى رؤساء الأخماس وإلى الأشراف(٣). ولكن الطبري يقول: إن اسمه هو مسعود بن عمرو الأزدي(٤).

---

(١) مثير الأحزان ص٢٨ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩) ص١٧.

(٢) الملهوف ص٣٨ و (نشر أنوار الهدى ـ قم سنة ١٤١٧هـ) ص٢٦ ومثير الأحزان ص٢٩ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ) ص١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٧ و ٣٣٩ ـ ٣٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٧ و ١٨٩ ولواعج الأشجان ص٣٩ وقاموس الرجال ج١١ ص١١١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠ وج٤ ص٥٦٤.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٣ ص٢٨٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٥ وإبصار العين ص٩٥ و ٢١٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٥٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٥.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٧ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٥ ومقتل

ومسعود بن عمرو كان معادياً لأهل البيت «عليهم السلام»، وهو من رؤساء الأخماس الذين كتب الحسين إليهم أيضاً.

٢ ـ وتقدم: أن اسم حامل الرسالة هو سليمان، ويكنى بأبي رزين. وقال بعضهم: هو سليمان بن رزين(١).

لكن ابن نما ذكر أن اسمه: زراع السدوسي، وذكر سليمان بلفظ قيل(٢).

ويرجح: أن اسمه سليمان، فقد ورد في زيارة الناحية المقدسة: «السلام على سليمان مولى الحسين ابن أمير المؤمنين. ولعن الله قاتله: سليمان بن عوف الحضرمي»(٣).

الحسين لأبي مخنف ص٢٥ وإبصار العين (الطبعة الأولى سنة ١٤١٩هـ) ص٢٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٥٥ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٧.

(١) إبصار العين للسماوي ص٩٤ وخاتمة المستدرك ج٥ ص٤٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٧.

(٢) مثير الأحزان ص٢٧ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩) ص١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٩ ولواعج الأشجان ص٣٩.

(٣) إقبال الأعمال ج٣ ص٧٦ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٦٩ وج٩٨ ص٢٧١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٧.

نسخة واحدة في أكثر من اتجاه:

تقدم: أن الحسين «عليه السلام» قد كتب أكثر من كتاب إلى زعماء أهل البصرة وأشرافها، بالإضافة إلى كتابته لرؤساء الأخماس منها، كما دلت عليه رواية الطبري المتقدمة، وكما دل عليه كتابه ليزيد بن مسعود النهشلي، الذي لم يكن من رؤساء الأخماس.

وقد كتب يزيد بن مسعود «رحمه الله» إلى الإمام مستجيباً لطلبه، وأرسله إليه مع الحجاج بن بدر التميمي السعدي، فبقي الحجاج عند الحسين، إلى أن نال درجة الشهادة معه في كربلاء.

ويبدو لنا: أن هدف الإمام «عليه السلام» من كتابته لأهل البصرة هو أن يخلص إليه من البصرة من شاء من أهلها، وإن كانوا أفراداً قبل أن يأخذ الحكام الطرق والمنافذ على الناس.

وسيأتي: أن ابن زياد قد كتب إلى أخيه في البصرة: أن يضع الحرس على منافذها، حين بلغه تحرك الحسين «عليه السلام» نحو العراق. في حين أن عدداً من الناس قد تمكنوا من اللحاق بالحسين في مكة، واستشهدوا معه في كربلاء.

دعوى المنذر بن الجارود:

وقد ادعى المنذر بن الجارود: أنه خاف أن يكون الكتاب الذي وصل من الحسين «عليه السلام» إلى أهل البصرة، وذكر فيه اسمه ـ خاف أن يكون ـ دسيسة من ابن زياد. وهي دعوى كاذبة، فقد كان بإمكانه أن يتحقق من صدق الرسول، ولا يسلمه إلى ابن زياد ليقتله

ويصلبه.

خطبة يزيد بن مسعود:

تقدم: أن يزيد بن مسعود النهشلي خاطب قومه بما دل على أن أفاعيل معاوية بأهل البصرة لا تقصر عن أفاعيله بأهل الكوفة. وسيرة سمرة بن جندب وزياد، وابنه عبد الله شاهد على صدقه في ذلك، فراجع(١).

الإجتماع عند مارية بنت سعد:

روى الطبري، عن أبي المخارق الراسبي قال:

اجتمع ناس من الشيعة بالبصرة في منزل امرأة من عبد القيس، يقال لها: مارية ابنة سعد ـ أو منقذ ـ أياماً، وكانت تَشَيَّع، وكان منزلها لهم مألفاً يتحدثون فيه، وقد بلغ ابن زياد إقبال الحسين «عليه السلام»، فكتب إلى عامله بالبصرة أن يضع المناظر، ويأخذ بالطريق.

قال: فأجمع يزيد بن ثبيط الخروج ـ وهو من عبد القيس ـ إلى الحسين «عليه السلام»، وكان له بنون عشرة، فقال أيكم يخرج معي؟ فانتدب معه ابنان له: عبدالله وعبيد الله.

فقال لأصحابه في بيت تلك المرأة: إني قد أزمعت على الخروج، وأنا خارج.

---

(١) راجع: سير أعلام النبلاء ج٣ ص١٨٦ وراجع: تنقيح المقال ج٢ ص٦٠ و ٦٩.

فقالوا له: إنا نخاف عليك أصحاب ابن زياد.

فقال: إني والله لو قد استوت أخافهما بالجدد(١) لهان علي طلب من طلبني.

قال: ثم خرج، فتقدى(٢) في الطريق، حتى انتهى إلى الحسين «عليه السلام»، فدخل في رحله بالأبطح.

وبلغ الحسين «عليه السلام» مجيؤه، فجعل يطلبه.

وجاء الرجل إلى رحل الحسين «عليه السلام»، فقيل له: قد خرج إلى منزلك. فأقبل في أثره.

ولما لم يجده الحسين جلس في رحله ينتظره، وجاء البصري فوجده في رحله جالساً، فقال: (**بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا**)(٣).

قال: فسلم عليه، وجلس إليه، فخبره بالذي جاء له، فدعا له بخير، ثم أقبل معه حتى أتى كربلاء فقاتل معه، فقتل معه هو وابناه(٤).

---

(١) الجدد: وجه الأرض (القاموس المحيط ج١ ص٢٨١). «جدد».

(٢) تقديت على فرسي، وتقدى به بعيره: أي أسرع (لسان العرب: ج٥ ص١٧٢). «قدا».

(٣) الآية ٥٨ من سورة يونس.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٣ و ٣٥٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٤٧ و ٤٨. وأعيان الشيعة ج١٠ ص٣٠٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٧ و

ونقول:

١ ـ أشرنا فيما سبق إلى أن مراسلات الإمام الحسين «عليه السلام» قد أثمرت تمكن عدد من أهل البصرة من الخروج إلى مكة، ثم إلى كربلاء، واستشهدوا مع الحسين «عليه السلام» يوم عاشوراء.

وقد دلت قصة يزيد بن ثبيط وولديه على أن الحكام كانوا حريصين على منع الناس من الخروج إلى الحسين «عليه السلام».

٢ ـ يلاحظ: أن ثبيطاً اعتبر مجيء الحسين إلى رحله فضلاً ورحمة من الله تعالى، فهو يفرح بهذا المجيء على هذا الأساس. لا على أساس أن ذلك قد منحه عزاً ومقاماً، وفخراً دنيوناً، كالعز الذي يرى أهل الدنيا أنه قد نالهم، نتيجة حظوة لهم لدى الظالمين والجبارين..

٣ ـ إن الأمر فيما يرتبط بالالتحاق بالحسين لم يقتصر على:

ألف: يزيد بن ثبيط العبدي. وهو من أصحاب أبي الأسود، وكان شريفاً في قومه..

ب: عبد الله بن يزيد بن ثبيط العبدي.

ج: عبيد الله بن يزيد بن ثبيط.

بل شمل أيضاً:

د: الحجاج بن بدر التميمي السعدي، حامل رسالة يزيد بن مسعود

١٨.

النهشلي للإمام الحسين في مكة، وقد بقي مع الإمام حتى قتل بعد ظهر يوم عاشوراء مبارزة في كربلاء، وقيل: قتل في الحملة الأولى قبل الظهر[1].

هـ: قعنب بن عمرو النمري. ورد السلام عليه في زيارة الناحية[2]. وقد جاء إلى الحسين مع الحجاج بن بدر السعدي[3].

و: عامر بن مسلم العبدي.

ز: سالم مولى عامر بن مسلم العبدي[4] جاءا إلى الحسين في مكة، واستشهدا في كربلاء.

ح: الأدهم بن أمية العبدي، جاءه إلى مكة، وبقي إلى أن استشهد أيضاً مع الحسين في كربلاء[5]. وقيل: كان صحابياً[6].

ط: سيف بن مالك العبدي، خرج مع يزيد بن ثبيط إلى مكة، واستشهد في كربلاء[7].

---

(١) راجع: الحدائق الوردية ص١٢٢ وإبصار العين ص٢١٣ و ٢١٤.

(٢) إقبال الأعمال ج٣ ص٧٨ والمزار لابن المشهدي ص٤٩٤ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٧٢ وج٩٨ ص٢٧٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٩.

(٣) راجع: الحدائق الوردية ص١٢٢ وإبصار العين ص٢١٥.

(٤) إبصار العين ص١٩١.

(٥) إبصار العين ص١٩٢.

(٦) مستدركات علم الرجال ج١ ص٥٣٣.

(٧) إبصار العين ص١٩٢.

جواب الأحنف للحسين ×:

وقالوا: كتب الحسين بن علي «عليه السلام» إلى الأحنف يدعوه إلى نفسه، فلم يرد الجواب. وقال: قد جربنا آل أبي الحسن، فلم نجد عندهم إيالة(١) للملك، ولا جمعاً للمال، ولا مكيدة في الحرب(٢).

لكن نصاً ذكره ابن نما يقول: إن الأحنف كتب إلى الإمام الحسين «عليه السلام» جواباً على كتابه يقول: «أما بعد..

(فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)(٣)»(٤).

يُوقِنُونَ)(٣)»(٤).

ونقول:

أولاً: إن ما ذكر عن الأحنف، من أنه جرب آل أبي الحسن، فلم يجد عندهم سياسة للملك الخ.. غريب وعجيب، فإن علياً «عليه السلام» قد حارب الناكثين والقاسطين والمارقين بأهل العراق، الذين

---

(١) الإيالة: السياسة (النهاية: ج١ ص٥٨) أيل.

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ج١ ص٢١١ وغريب الحديث ج٢ ص٢١٧ وراجع: الفائق في غريب الحديث ج١ ص٦٠.

(٣) الآية ٦٠ من سورة الروم.

(٤) مثير الأحزان لابن نما ص١٣ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٩ ولواعج الأشجان ص٤٢ ومستدركات علم رجال الحديث ج١ ص٥٢١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠.

لم يكن فيهم حتى خمسون رجلاً يعترفون بإمامته «عليه السلام».

وقد بينا أن هذه الحروب كانت شديدة الحساسية، بالغة التعقيد، فهو يواجه شخصيات فيها كان حتى المنخرطون في جيشه يحترمونها، وربما كان بعضهم يقدسونها، أو لا يجرؤون على مناوأتها..

بل لقد كان العراقيون في حرب الجمل يقاتل بعضهم بعضاً، وكانت قبائل عديدة قد انقسمت بين الجيشين، بل إن أهل الكوفة وغيرهم حين قاتلوا خوارج النهروان وقتلوهم، إنما قتلوا أبناءهم، وإخوانهم، وآباءهم، وأقاربهم، ثم صاروا يستأذنون علياً في دفن قتلاهم.

وأما جمع الأموال، الذي أشار إليه الأحنف بقوله: «ولا جمعاً للمال» فعن أي أموال يتحدث الأحنف؟! وكانت الحروب والغارات متواصلة طيلة خلافة أمير المؤمنين «عليه السلام».

وإن كان يقصد توفر الأموال لدى الناس، فلعمري لم ير المسلمون الذين كانوا في محيط حكومة علي رفاهية ورخاء شاملاً، كالذي رأوه في عهد أمير المؤمنين «عليه السلام»، بالرغم من كل النفقات والأموال التي كانت الحروب تستهلكها.

وإن كان يقصد أن يجمع الحاكم الأموال لنفسه، فهذا ما لا يكون من علي وأهل البيت «عليهم السلام».

وعلي «عليه السلام» هو القائل: «يا دنيا غري غيري»، والقائل: «هذا جناي وخياره فيه، إذ كل جان يده إلى فيه.

أما المكيدة في الحرب، التي أشار إليها الأحنف بقوله: «ولا مكيدة في الحرب»، فإن كان يقصد بها الغدر، والفتك، فذلك ما لا يفعله أيضاً علي والأئمة من ولده.. وإن كان يقصد إدارة الحرب بحنكة، ودراية وتدبير، فلم نجد لعلي وسائر الأئمة أية هفوة في حروبهم كلها، بل كان تدبيرهم صائباً، وحازماً دائماً.

وإن كان يقصد بكلامه الإمام الحسن «عليه السلام»، فإنه بالرغم من خيانة قسم من جيشه، وبرغم نكثهم بيعته، وغدرهم به «عليه السلام» حتى أصبح الاستمرار بالحرب من أعظم الموبقات ـ بالرغم من ذلك ـ استطاع «عليه السلام» أن ينتزع من معاوية إقراراً بأن الأمر له، ثم لأخيه الحسين «عليه السلام» من بعده.

بالإضافة إلى أمور كثيرة أخرى تسقط معاوية عن الشرعية التي كان يحلم بالحصول عليها. كما أنه حصل على تعهد، تعضده الأيمان المغلظة، والعهود المكتوبة بأن لا يتعرض لأحد من شيعته «عليه السلام» بسوء كائناً من كان.

وبذلك يكون «عليه السلام» قد حقق نصراً مبيناً راسخاً، بالرغم من الخيانة التي تعرض لها.

وإذا كان معاوية قد نقض شروطه، ولم يف بتعهداته، فذلك يمثل فضيحة لمعاوية، سيبقى صداها يتردد إلى يوم القيامة.

ثانياً: إن الجواب الذي ذكر ابن نما أن الأحنف قد كتبه للإمام الحسين «عليه السلام»، فلا ندري إلى أي حد يمكن تأييد صحته.

غير أننا نشير إلى ما يلي:

إن هذه الآية التي وردت في جواب الأحنف هي خطاب من الله تعالى لنبيه «صلى الله عليه وآله». ومن المعلوم أن الله تعالى يخاطب نبيه من موقع ألوهيته، فلا يحق للبشر العاديين أن يخاطبوا النبي بنفس الخطاب.

فمثلاً: إن الله تعالى يقول لنبيه: لئن أشركت ليحبطن عملك، بهدف تعظيم جريمة الشرك، والتشديد في التحذير منها.. وليس للبشر أن يخاطبوا نبيهم بهذا الخطاب حتى لو كان مضمونه صحيحاً.

ولتقريب المعنى أكثر نقول:

إذا قال القاضي لشارب الخمر: إنك تستحق الجلد، فإذا انبرى ابن ذلك الرجل ليقول لأبيه نفس هذه الكلمة، فإنها تستقبح منه، وتعد سوء أدب منه مع أبيه..

وهذا المورد من هذا القبيل، فإنه إذا قال الله لنبيه: **(وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)**[1]، فلا محذور فيه، لاسيما وأننا نعلم: أنه تعالى إنما يقوله له على قاعدة: إياك أعني واسمعي يا جارة. ولكن إذا قال الناس لنبيهم ذلك عد سوء أدب منهم معه.

فإن صحت رواية ابن نما، فلا بد أن تحمل إما على أن الأحنف لم يلتفت لهذه الملاحظة. أو تحمل على أنه قد تعمد إساءة الأدب، وأنه

---

(١) الآية ٦٠ من سورة الروم.

قد غير وبدل، ولم يعد في عداد أهل الاستقامة والصلاح.

ويدل على هذا التبدل:

أولاً: نفس هذه الرسالة للإمام الحسين «عليه السلام».

ثانياً: أن الأحنف ساعد مصعب بن الزبير على قتل المختار، وكان في جيش مصعب على خمس تميم(١). فراجع.

(١) قاموس الرجال ج١ ص٦٩١ وتاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٩٥ و ١٠٠ و ٦١٦ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٥٥٩ و ٥٦٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٦٨ ونهاية الأرب ج٢١ ص٤٥ وراجع: الأخبار الطوال ص٣٠٦ والفَرق بين الفِرق ص٥٧.

الباب الخامس:

مسلم في العراق..

الفصل الأول:

استجابة الحسين × لأهل الكوفة..

أهل الكوفة يراسلون الحسين ×:

قالوا: لما علم أهل الكوفة بموت معاوية، واستيلاء يزيد على الأمور، واضطرار الحسين لترك المدينة إلى مكة.

اجتمعت الشيعة في دار سليمان بن صرد الخزاعي، فلما تكاملوا في منزله قام فيهم خطيباً، فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى أهل بيته، ثم ذكر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب فترحم عليه، وذكر مناقبه الشريفة، ثم قال:

يا معشر الشيعة! إنكم قد علمتم أن معاوية قد صار إلى ربه، وقدم على عمله، وسيجزيه الله تبارك وتعالى بما قدَّم من خير أو شر.

وقد قعد في موضعه ابنه يزيد ـ زاده الله خزياً ـ.

وهذا الحسين بن علي قد خالفه، [وفي الطبري: تقبض على القوم ببيعته](١)، وصار إلى مكة خائفاً من طواغيت آل أبي سفيان.

وأنتم شيعته وشيعة أبيه من قبله، وقد احتاج إلى نصرتكم اليوم،

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٨٦.

فإن كنتم تعلمون أنكم ناصروه، ومجاهدو عدوه، فاكتبوا إليه، وإن خفتم الوهن والفشل فلا تغروا الرجل من نفسه.

فقال القوم: بل ننصره، ونقاتل عدوه، ونقتل أنفسنا دونه، حتى ينال حاجته.

فأخذ عليهم سليمان بن صرد بذلك ميثاقاً وعهداً أنهم لا يغدرون، ولا ينكثون.

ثم قال: اكتبوا إليه الآن كتاباً من جماعتكم: أنكم له كما ذكرتم، وسلوه القدوم عليكم.

قالوا: أفلا تكفينا أنت الكتاب إليه؟!

قال: لا، بل يكتب جماعتكم.

قال: فكتب القوم إلى الإمام الحسين بن علي «رضي الله عنهما»:

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الحسين بن علي «رضي الله عنهما»، من سليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، وحبيب بن مظاهر، ورفاعة بن شداد، وعبد الله بن وال، وجماعة شيعته من المؤمنين [في الطبري وابن الأثير زاد قوله: والمسلمين من أهل الكوفة، سلام عليك، فإنا نحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو].

أما بعد، فالحمد لله الذي قصم عدوك، وعدو أبيك من قبلك، الجبار العنيد، الغشوم الظلوم، الذي ابتزَّ هذه الأمة وعضاها [في الطبري: انتزى على هذه الأمة، فابتزها أمرها، وغصبها فيئها،

وجعل مال الله دولة بين جبابرتها وأغنيائها]، وتأمر عليها بغير رضاها، ثم قتل خيارها، واستبقى أشرارها، فبعداً له كما بعدت ثمود!

ثم إنه قد بلغنا أن ولده اللعين قد تأمر على هذه الأمة بلا مشورة، ولا إجماع، ولا علم من الأخبار.

ونحن مقاتلون معك، وباذلون أنفسنا من دونك، فأقبل إليه(١) فرحاً مسروراً مأموناً، مباركاً سديداً، وسيداً أميراً مطاعاً، إماماً خليفة علينا مهدياً، فإنه ليس عليك(٢) إمام، ولا أمير إلا النعمان بن بشير، وهو في قصر الإمارة وحيد طريد، ليس يُجتمع معه في جمعة، ولا يخرج معه إلى عيد، ولا يؤدى إليه الخراج، يدعو فلا يجاب، ويأمر فلا يطاع؛ ولو بلغنا أنك قد أقبلت إلينا أخرجناه عنا حتى يلحق بالشام.

فأقدم إلينا فلعل الله عز وجل أن يجمعنا بك على الحق، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته يا ابن رسول الله، ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ثم طوى الكتاب، وختمه، ودفعه إلى عبد الله بن سبع الهمداني، وعبد الله بن مسمع البكري [في الطبري وابن الأثير: عبد الله بن وال، وفي الأخبار الطوال: عبد الله بن وداك السلمي]، ووجهوا بهما إلى

---

(١) لعل الصحيح: إلينا.

(٢) لعل الصحيح: علينا.

الحسين بن علي رضي الله عنهما، فقرأ الحسين كتاب أهل الكوفة، فسكت ولم يجبهم بشيء. [وقد وافوا الحسين بمكة لعشر خلون من شهر رمضان][1].

ثم قدم عليه بعد ذلك قيس بن مسهر الصيداوي، وعبد الرحمن بن عبد الله الأرحبي، وعمارة بن عبد الله السلولي، وعبد الله بن وال التميمي، ومعهم جماعة نحو خمسين ومائة [في الطبري: ثلاثة وخمسين]، كل كتاب من رجلين وثلاثة وأربعة، ويسألوه القدوم عليهم؛ والحسين يتأنى في أمره فلا يجيبهم بشيء.

ثم قدم عليه بعد ذلك هانئ بن هانئ السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي [في الأخبار الطوال: معهما أيضاً نحو خمسين كتاباً] بهذا الكتاب، وهو آخر ما ورد على الحسين من أهل الكوفة.

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي أمير المؤمنين من شيعته وشيعة أبيه..

أما بعد [فحيهلا]، فإن الناس منتظرون لا رأي لهم [في] غيرك،

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٢٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٢ روضة الواعظين ص١٧٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٢ وتاريخ الكوفة ص٣٢٤.

فالعجل، العجل يا ابن بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»! [في الطبري ج٥ ص٣٥٣ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٣ ويؤيده ما في تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤١: إلى هنا ينتهي كتاب هانئ السبعي ويبدأ كتاب آخر لشبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة [عزرة] بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير].

قد اخضر[ت] الجنات [الجناب] وأينعت الثمار، وأعشبت الأرض، وأورقت الأشجار، فاقدم إذا شئت، فإنما تقدم إلى جند لك مجند ـ والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، وعلى أبيك من قبلك.

فقال الحسين لهانئ، وسعيد بن عبد الله الحنفي: خبراني من اجتمع على هذا الكتاب الذي كتب معكما إلي؟!

فقالا: يا أمير المؤمنين! اجتمع عليه شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، وعروة [عمرو] [عزرة] بن قيس، وعمرو بن الحجاج، ومحمد بن عمير بن عطارد.

قال: فعندها قام الحسين، فتطهر، وصلى ركعتين بين الركن والمقام، ثم انفتل من صلاته، وسأل ربه الخير فيما كتب إليه أهل الكوفة.

ثم جمع الرسل، فقال لهم: إني رأيت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في منامي، وقد أمرني بأمر وأنا ماض لأمره، فعزم الله لي بالخير، إنه ولي ذلك، والقادر عليه إن شاء الله تعالى.

ثم كتب إلى أهل الكوفة:

بسم الله الرحمن الرحيم

من الحسين بن علي إلى الملا من المؤمنين [المسلمين]، [وفي الأخبار الطوال: إلى من بلغه كتابي هذا من أوليائه وشيعته في الكوفة]، سلام عليكم.

أما بعد، فإن هانئ بن هانئ، وسعيد بن عبد الله قدما علي بكتبكم، فكانا آخر من قدم علي من عندكم، وقد فهمت الذي قد قصصتم وذكرتم. [في الأخبار الطوال: وفهمت ما ذكرتم من محبتكم لقدومي عليكم]، ولست أقصر عما أحببتم.

وقد بعثت إليكم أخي، وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي، مسلم بن عقيل بن أبي طالب «رضي الله عنه»، وقد أمرته أن يكتب إلي بحالكم، ورأيكم، ورأي ذوي الحجى والفضل منكم، وهو متوجه إلى ما قبلكم إن شاء الله تعالى والسلام، ولا قوة إلا بالله.

فإن كنتم على ما قدمت به رسلكم، وقرأت في كتبكم، فقوموا مع ابن عمي، وبايعوه، وانصروه ولا تخذلوه، فلعمري! ليس الإمام العادل بالكتاب، والعادل [ولعل الصحيح: العامل] بالقسط، [الدائن بدين الحق، الحابس نفسه في ذات الله] كالذي يحكم بغير الحق، ولا يهدي ولا يهتدي، جمعنا الله وإياكم على الهدى، وألزمنا وإياكم كلمة التقوى، إنه لطيف لما يشاء، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ثم طوى الكتاب، وختمه، ودعا مسلم بن عقيل «رحمه الله» فدفع

إليه الكتاب وقال له: إني موجهك إلى أهل الكوفة. وهذه كتبهم إلي، وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى.

وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء.

فامض على بركة الله حتى تدخل الكوفة، فإذا دخلتها فأنزل عند أوثق أهلها، وادع الناس إلى طاعتي، وأخذلهم عن آل أبي سفيان، فإن رأيت الناس مجتمعين على بيعتي فعجل لي بالخبر، حتى أعمل على حسب ذلك إن شاء الله تعالى.

[**وفي الأخبار الطوال:** وإن تكن الأخرى فعجل الإنصراف].

ثم عانقه، وودعه، وبكيا جميعاً(١).

قال ابن طاووس: فورد عليه في يوم واحدٍ ستمئة كتاب، وتواترت الكتب حتّى اجتمع عنده منها في نُوب متفرّقة إثنا عشر ألف

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٧ ـ ٣١ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٢ و ٣٥٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦١ و ٢٦٢ والأخبار الطوال ص٢٢٩ و ٢٣٠ وراجع: الملهوف ص١٠٢ ـ ١٠٦ و (ط أنوار الهدى) ص٢٢ ـ ٢٥ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٦ ومثير الأحزان لابن نما ص٢٥ ومناقب آل طالب ج٤ ص٨٩ وروضة الواعظين ص١٩٠ وفيها مئة وخمسون بدل ثلاث وخمسين، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ وراجع: الإمامة والسياسة ج٢ ص٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٦ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٠ عنهم، والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٠ و ٢١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٣ ـ ١٩٥.

كتاب(١).

وقال أبو حنيفة الدينوري: وكان هؤلاء الرؤساء من أهل الكوفة، فتتابعت عليه في أيام رسل أهل الكوفة، ومن الكتب ما ملأ منها خرجين، كما يورد الرواة(٢).

وعن الواقدي: أنهم كتبوا إليه: فأقدم علينا فنحن في مئة ألف، فقد فشا فينا الجور، وعمل فينا بغير كتاب الله وسنة نبيه، ونرجو أن يجمعنا الله بك على الحق، وينفي عنا بك الظلم، فأنت أحق بهذا الأمر من يزيد وأبيه، الذي غصب الأمة فيئها، وشرب الخمر، ولعب بالقرود والطنابير، وتلاعب بالدين(٣).

وعن ابن إسحاق وغيره: ثم دعا مسلم بن عقيل، فبعثه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبدالله السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن شداد الأرحبي، وأمره بكتمان الأمر [زاد الطبري قوله: واللطف](٤).

---

(١) الملهوف ص١٠٢ و (ط أنوار الهدى) ص٢٤.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٢٩.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٣ و ٣٤ عن تذكرة الخواص ص٢٣١ و (ط أخرى) ص٢٤٨ وقال: راجع: مروج الذهب ج٣ ص٦٤.

(٤) تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٩ ومقتل

ونقول:

هناك أمور عديدة اشتمل عليها، أو أشار إليها النص المتقدم، تحتم التوقف عند عدد منها، فنقول:

سليمان بن صرد:

إن أول اسم ورد في الرسالة الأولى، التي بعث فيها أهل الكوفة إلى الإمام الحسين «عليه السلام» في مكة، يدعونه فيها للنهوض بهم ضد عدوهم، هو اسم سليمان بن صرد الخزاعي.

وكان بيته في الكوفة أول بيت اجتمعت فيه الشيعة للتباحث في دعوة الإمام الحسين «عليه السلام» إلى بلدهم، ليبايعوه، وينضووا تحت لوائه.

وقد أثنى الفضل بن شاذان على سليمان هذا(١).

ويقول السيد الخوئي «رحمه الله»: إنه لا ينبغي الإشكال في جلالة سليمان بن صرد، وعظمته، لشهادة الفضل بن شاذان بذلك(٢).

الحسين لأبي مخنف ص١٩ وغير ذلك.

(١) إختيار معرفة الرجال (رجال الكشي) ص٦٩ حديث ١٢٤ و (ط مؤسسة آل البيت لإحياء التراث سنة ١٤٠٤هـ) ج١ ص٢٦٨ ذيل ترجمة صعصعة بن صوحان، وراجع: خاتمة المستدرك ج٨ ص٤٧ وجامع الرواة ج١ ص٣٨١ ومنتهى المقال ج٣ ص٣٩٩ وقاموس الرجال ج١٠ ص٧٨

(٢) معجم رجال الحديث ج٨ ص٢٧١ و (ط ٥ سنة ١٤١٣هـ) ج٩ ص٢٨٣.

ولكن الشيخ الطوسي «رحمه الله» قد سجل مؤاخذة على سليمان بن صرد، وهي أنه تخلف عن حرب الجمل مع أمير المؤمنين «عليه السلام»(١).

وقد رد السيد الخوئي على هذا: بأنه غير ثابت، ولعل ذلك كان لعذر، أو بأمر من أمير المؤمنين «عليه السلام».

وما رواه نصر بن مزاحم في كتاب صفين، من أن أمير المؤمنين «عليه السلام» قد عاتب سليمان بعد رجوعه من حرب الجمل على قعوده عن نصرته(٢)، ضعيف السند. بل لم يثبت بطريق معتبر كون كتاب صفين هو لنصر بن مزاحم. فلعل القصة مكذوبة عليه، كما احتمله الشيخ(٣).

غير أننا نقول:

إن هذا لا يكفي للحكم على سليمان هذا بالجلالة والعظمة..

---

(١) رجال الشيخ الطوسي ص٦٦ ونقد الرجال ج٢ ص٣٦٥ وطرائف المقال ج٢ ص٨٨ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٢٧١.

(٢) صفين للمنقري ص٦ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٦١ وراجع: المصنف لابن أبي شيبة ج٨ ص٧١٧ و ٧٢٠ وأنساب الأشراف ج٢ ص٢٧١ والفايق في غريب الحديث ج٣ ص٢٧٠ وغريب الحديث ج٣ ص٢١٥ والنهاية في غريب الحديث والأثر ج٥ ص٣ ولسان العرب ج١ ص١٦١ وتاج العروس ج١ ص٢٥٤ والفتن للمروزي ص٤٨.

(٣) معجم رجال الحديث ج٨ ص٢٧١ و (ط ٥ سنة ١٤١٣هـ) ج٩ ص٢٨٣.

فأولاً: لو قبلنا ما ذكره السيد الخوئي «رحمه الله» من ضعف رواية كتاب صفين فإن كلام الشيخ في رجاله عن تخلف سليمان عن حرب الجمل يقوي تلك الرواية، وإن كان يحتمل أن يكون ما قاله الطوسي عن تخلفه مأخوذاً من رواية اعتذاره عن التخلف.

ثانياً: إن ابن عبد البر لم يذكر سوى شهود سليمان بن صرد حرب صفين، فلو كان قد شهد غيرها، كالجمل والنهروان، لذكر ذلك.

ثالثاً: إن ضعف السند لا يعني كذب المضمون، فكيف إذا وجدت نصوص أخرى تؤيده، أو تصرفات أخرى تشي بإمكانية صدور مثل هذا الأمر منه.

رابعاً: إن تخلف سليمان عن حضور كربلاء يبقى لغزاً، يحتم علينا التوقف في أمره. وإن كان قد تاب بعد ذلك، واستشهد مع جماعة التوابين في عين الوردة..

ثم إن مما يضعف احتمال أن يكون تخلفه عن أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الجمل مستنداً إلى نفس رواية صفين التي ذكرت عتاب أمير المؤمنين «عليه السلام» له على تخلفه..

الصلاة على النبي وأهل بيته ٨:

وتقدم: أن سليمان بن صرد خطب في جماعة الشيعة الذين اجتمعوا في بيته، فبدأ خطبته، بحمد الله، والثناء عليه، والصلاة على نبيه، وأهل بيته، حسب رواية ابن أعثم..

وقد تتبعنا جملة من خطب الأعيان والأئمة في ذلك العصر،

فوجدنا أنهم يقتصرون في بدء خطبهم على حمد الله، والثناء عليه، ثم يدخلون في بيان مقاصدهم، حتى إنك تجد الناقلين يختصرون ذلك في أكثر الخطب بقولهم: فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال إلخ..»(١).

وفي قسم من تلك الخطب يبدأ الخطيب بالحمد، ثم يشهد الشهادتين، ثم يبدأ بذكر مقاصده(٢).

وبعضها يقول: حمد الله وأثنى عليه، وذكر الله بما هو أهله، وصلى على النبي «صلى الله عليه وآله» وعلى ملائكته، وعلى أنبيائه إلخ..»(٣).

وبعدما تقدم نسجل الملاحظات التالية:

أولاً: إن هذا الذي ذكرناه يظهر: أن ما يقال في أيامنا هذه في أوائل الخطب، وما يكتب في أوائل الرسائل من ثناء على غير الله

---

(١) راجع: كتاب بلاغة الحسين (ط سنة ١٣٩٤ هـ) ص٢٧ و ٤٠ و ١١٥ و ١٢٩ و ١٤٩ و ١٥٠ و ١٥٣ و ١٥٤ و ١٥٧ و ١٦٩ و ١٨٠ و ١٨٨ و ١٩١. وراجع على سبيل المثال: نهج البلاغة (ط سنة ١٤٢٦ هـ) الخطبة رقم ٤٨ و ٩١ و ٩٣ وراجع رقم ٩٩ و ١٥٥ و ١٥٧ وراجع: العوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٤٣ و ٢٢٧ و ٢٣١.

(٢) راجع نهج البلاغة (ط سنة ١٤٢٦هـ) الخطبة رقم ٣٥ و ٨٣ و ١٠٠ و ١٠١ و ١١٤. وراجع رقم: ١٣٢ و ١٥١ و ١٧٨ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٩٠ و ١٩١ و ١٩٤ و ١٩٥ وراجع رقم ٢١٤.

(٣) العوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥٠.

ورسوله وأهل بيته، من قبيل الثناء على الصحابة، أو على بعضهم، هو أمر مستحدث، لم يكن في العصور الأولى، لا في عهد الصحابة، ولا في عهد التابعين، ولعلها إضافات حدثت بعد قرون من بعثة رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن الصلاة على أهل البيت بعد الصلاة على النبي «صلى الله عليه وآله» كما فعله سليمان بن صرد، لا يحتاج إلى نص خاص، لوجود النص العام عليه بقوله «صلى الله عليه وآله»: لا تصلوا علي الصلاة البتراء(١).

ثالثاً: لا يوجد بين أيدينا أي نص يشير إلى استحباب الصلاة على الصحابة عند الابتداء في الخطبة، أو في أوائل الرسائل، أو غير ذلك.

---

(١) راجع: الصواعق المحرقة ص١٤٧ وينابيع المودة ج٢ ص٤٣٤ و (ط دار الأسوة) ج١ ص٣٧ وج٢ ص٤٣٤ والصواعق المحرقة ص١٤٦ والمحاسن للبرقي ج٢ ص٣١٨ وقرب الإسناد ص١٣٤ و ١٣٥ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٧ ص٢٠٧ و (الإسلامية) ج٤ ص١٢٢٢ ورسالة المحكم والمتشابه للسيد المرتضى ص١٩. وراجع: مسند زيد بن علي ص٣٣ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٨٢ والغدير ج٢ ص٣٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣ ص٢٧٤ وج٩ ص٦٣٦ وج١٨ ص٣٠٧ وج٢٤ ص١٣٤ وكتاب الأربعين للشيرازي ص٤٨٢ وبحار الأنوار ج٥ ص٢٠٩ وج٩٠ ص١٤.

الوهن والفشل، والغدر والنكث:

يلاحظ: أن سليمان بن صرد قد حذر المجتمعين من أمرين:

أولهما: حذرهم من الوهن والفشل، فهو يعرف أن التحدي سيكون كبيراً وخطيراً، وقد عاين العراقيون صورة عنه في حربي الجمل وصفين، فإن قتلى هاتين الحربين قد بلغت عشرات الألوف.

ولعل الأمور أصبحت أكثر صعوبة، بعد أن أمعن معاوية بعد استشهاد علي «عليه السلام» في اضطهاد شيعة علي، وقتلهم وتشريدهم، والتنكيل بهم، وحرمهم من أبسط مقومات الحياة، وبعد أن أخضع العباد، واشترى الضمائر، واستولى على البلاد..

فالفشل والوهن في ظروف كهذه يصبح ممكناً، بل متوقعاً إذا لم يوطن المؤمنون أنفسهم على بذل مزيد من الجهد، ويقدموا المزيد من التضحيات في سبيل الوصول إلى الهدف الأقصى والأسمى.

الثاني: حذرهم من الغدر والنكث، فقد كانت أيضاً هناك سوابق مرة وقاسية في هذا المجال، وذلك حين نكثت فئات منهم بيعتها للإمام الحسن «عليه السلام»، وانحازت إلى معاوية طمعاً في حطام الدنيا..

بل لقد هاجموا فسطاط الإمام الحسن «عليه السلام»، وانتهبوه، وضربوا الإمام الحسن بالمعول في فخذه.

وكلا هذين الأمرين، وهما: الوهن والفشل من جهة، والغدر والنكث من جهة أخرى ستكون عاقبته الدمار والبوار، وخراب الديار.

وإذا كان معاوية قد فعل الأفاعيل بالشيعة بعد استيلائه على الأمور، فما بالك بيزيد، الذي سيكون أشد قسوة، وأعظم مرارة، ولن يرقب في أحد إلًّا ولا ذمة.

يزيد فاقد للشرعية:

وقد قرر سليمان بن صرد: أن يزيد فاقد للشرعية، لأن الشرعية بنظره تكون بأحد أمور ثلاثة هي:

١ ـ أن تأتي خلافته نتيجة مشورة أهل الحل والعقد، أو أكثرهم.

٢ ـ أن يجمع المسلمون على البيعة له.

٣ ـ وجود نص على إمامته صادر عن المعصوم.

وكل ذلك مفقود بالنسبة ليزيد.

غير أننا نقول:

إنه مع وجود النص عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» على إمامة الإمام الحسين «عليه السلام». ووجود نص آخر على عدم صحة تولي آل أبي سفيان للخلافة كما تقدم في هذا الكتاب. فإنه لا يبقى موضع للمشورة، ولا تبقى قيمة لاجتماع الناس على البيعة له، لأن الإجماع على مخالفة النص لا حجية ولا قيمة له، وتبقى للنص حرمته وقيمته، ومرجعيته..

إلا أن يكون سليمان بن صرد يتكلم عما كان متداولاً وشائعاً بين الفئات المختلفة فيما يرتبط بما تنعقد به الإمامة..

أو أن الأمور لم تكن واضحة له بدرجة كافية.

المنافقون يكتبون أيضاً:

١ ـ تقدم: أن كتباً كثيرة وصلت إلى الإمام الحسين «عليه السلام» من أهل الكوفة، يقال: إنها بلغت اثني عشر ألف كتاب، وبعضها من الاثنين والثلاثة والأربعة رجال، وأكثر من ذلك.. بل تقدم: أنه «عليه السلام» قد تسلم في يوم واحد ست مئة كتاب..».

فلم يجبهم «عليه السلام» حتى تسلم الكتاب الذي حمله إليه هاني بن هاني السبيعي، وسعيد بن عبد الله الحنفي (أو الخثعمي).

فسألهما عن الذين توافقوا على كتابة هذا الكتاب الأخير إليه، فسمياهما له وهم سبعة أشخاص، هم شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وعمرو بن الحجاج، وعزرة بن قيس، ويزيد بن الحارث، ويزيد بن رويم، ومحمد بن عمير بن عطارد.

٢ ـ لعل سبب سؤاله عن أصحاب الكتاب الأخير: هو معرفته بانحراف هؤلاء الأشخاص السبعة عن علي وأهل بيته، فتوقع منهم ـ لو طولبوا بالوفاء ـ أن ينكروا أن يكونوا قد كتبوا له. وربما ادعوا أن الكتاب قد زور عليهم.

فاستشهد «عليه السلام» الرسولين بطريقة تزيل كل لبس، فقد قرأ «عليه السلام» الكتاب، وقرأ فيه أسماء السبعة الذين أرسلوه، ثم سأل الرسولين إن كانا يعرفان أسماء من كتب ذلك الكتاب، فأخبراه بأسمائهم، مع أنه لم يطلعهما على الكتاب، ولا ذكر لهما الأسماء التي

ذكرت فيه، فإن ادعى الذين وردت أسماؤهم في الكتاب أن الكتاب قد زور عليهم، فإن الرسولين يصيران مطالبين بكشف الحقيقة والدلالة على من زوَّر، أو بإثبات كذب دعوى التزوير.

٣ ـ بقي أن نشير إلى أن سبب كتابة هؤلاء المنحرفين عن أهل البيت «عليهم السلام» إلى الحسين «عليه السلام» أنهم وجدوا لدى أهل الكوفة إقبالاً شديداً على الكتابة للحسين «عليه السلام» بطلب القدوم عليهم، وعرفوا بأن آلافاً من الكتب قد أرسلت إليه، وقسم منها كان يحمل تواقيع عدة أشخاص، فأرادوا أن يكون لهم نصيب في هذا الأمر، حين يتحقق النصر.

٤ ـ يلاحظ: أن الإمام الحسين «عليه السلام» إنما استخار الله، وعزم على التحرك، وبادر إلى الكتابة لأهل الكوفة بعد وصول رسالة هؤلاء المنافقين إليه، فإن كل أحد سوف يفهم من ذلك: أنه لو لم يكن أكثر أهل الكوفة. يريدونه، لما كتب هؤلاء المعادون هذه الرسالة للإمام الحسين «عليه السلام».

٥ ـ ظهر مما تقدم: إن الذين كتبوا إلى الإمام كانوا ثلاثة أصناف:

الأول: الصادقون، وهم أقل القليل.

الثاني: الضعفاء والمهزومون نفسياً، ومحبو الدنيا.

الثالث: المنافقون الذين يريدون حجز مكان لأنفسهم، ومنهم من ذكرناهم آنفاً.

الخطاب بـ «يا أمير المؤمنين» لا يصح:

وزعمت رواية ابن أعثم المتقدمة: أن هاني بن هاني، وسعيد بن عبد الله، قد خاطبا الإمام الحسين «عليه السلام» بـ «يا أمير المؤمنين».

ولم تذكر أن الإمام اعترض عليهما في هذا، فإما أن يكون «عليه السلام» قد اعترض عليهما في ذلك، وقد حذف الرواة اعتراضهم، فلا بد من أن يجيبونا عن السؤال عن سبب هذا الحذف.

وإما أن يكون الراوي قد تبرع بزيادة كلمة «يا أمير المؤمنين» في النص، فعليه أن يجيب على السؤال عما دفعه لهذه الإضافة التبرعية.

مع العلم بأن ثمة نصوصاً عديدة تؤكد على أنه لا يجوز أن يدعى أحد غير علي «عليه السلام» بإمرة المؤمنين. وقد ذكرنا طائفة من هذه النصوص الدالة على ذلك في الجزء الأول من كتابنا: الصحيح من سيرة الإمام علي «عليه السلام» ج١ ص١٥٦ ـ ١٦٢ فلا بأس بمراجعتها، ومراجعة الصفحات التي بعدها أيضاً.

حديث الرؤيا وامتثال الأمر:

وقد تقدم: أنه «عليه السلام» توضأ وصلى ركعتين بين الركن والمقام، وسأل ربه الخيرة فيما كتب إليه أهل الكوفة.

ثم جمع الرسل، وقال لهم: «إني رأيت جدي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في منامي، وقد أمرني بأمرٍ، وأنا ماضٍ لأمره، فعزم

الله لي بالخير الخ..

وقد تضمن هذا النص أموراً:

فأولاً: إنه «عليه السلام» لم يقدم على ما أقدم عليه من تلقاء نفسه، بل هو يمتثل به أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثانياً: إن هذا الأمر الذي قرر امتثاله قد صدر إليه من النبي «صلى الله عليه وآله» في عالم الرؤيا. أي أنه «عليه السلام» لم يتخذ قراره استناداً إلى اجتهاد منه، وتحليل للأحوال والوقائع، أو اندفاعاً لتلبية رغبة لديه.

أي أنه لا يستند في تحركه إلى أمر كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد أصدره إليه في حال حياته، بل إلى أمر صدر إليه في عالم الرؤيا.. وهو أمر غيبي بكل ما لهذه الكلمة من معنى.

ثالثاً: إنه «عليه السلام» لم يفصح عن هذا الأمر الذي أمره به النبي «صلى الله عليه وآله» في عالم الرؤيا، ولا أشار إلى طبيعته، بل أبقاه على ما هو عليه من الإجمال والإبهام.

رابعاً: إنه لم يجمع الناس ليخبرهم برؤياه هذه، بل جمع الرسل الآتين من الكوفة فقط، وأخبرهم بها.

خامساً: إن إبلاغ الرسل بهذا الأمر يشير إلى أن المقصود هو إبلاغ أهل الكوفة به.

سادساً: ذكرنا فيما سبق: أن رؤيا المعصوم حجة..

ويشهد لذلك: إنه «عليه السلام» اعتبر أن أمر النبي «صلى الله

عليه وآله» الذي صدر له في عالم الرؤيا هو توجيه إلهي.

سابعاً: إن الإستخارة، التي هي صلاة إمام مظلوم ومعصوم بين الركن والمقام، وهو من أقدس الأمكنة، قد ظهرت ثمرتها ودلالتها على الحق، والصلاح والخير في رؤيا منام، كما تقدم بيانه.

ثامناً: يبدو: أن قوله «عليه السلام»: «فعزم الله لي بالخير» يراد به الإعلام بحتمية المضي في إنفاذ ما اختاره الله له، وعدم الرخصة بالتخلي عنه.

تاسعاً: إن أهل الكوفة كانوا أقرب إلى فهم هذه المعاني من غيرهم، لأنهم عاشوا مع علي «عليه السلام» برهة، رأوا فيها منه «عليه السلام» ومن الحسنين الكثير مما يؤكد صلتهم «عليهم السلام» بالغيب..

أما أهل مكة، وكثير ممن يقدم إليها، فكانوا بعيدين عن علي وأهل بيته «عليه وعليهم السلام»، ولم يكن يروق لهم أخذ أمثال هذه الأمور من أهل البيت «عليهم السلام»، أو التداول بها عنهم، فضلاً عن أن يستسيغوا الاستناد إليها، والاعتماد عليها في أمر خطير ومصيري كهذا.

مهمة مسلم استطلاعية إعدادية:

وبعد أن قال الإمام الحسين «عليه السلام» للرسل: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمره في عالم الرؤيا بأمر هو ماض له. لم يقل لأهل الكوفة: فأنا وافد عليكم وقادم إليكم، وأريد مؤازرتكم.. بل قال

لهم: إني مرسل إليكم أخي وثقتي ليعلم لي خبركم، ويستطلع أحوالكم.. وأبقى مسألة قدومه عليهم على ما هي عليه من الإبهام والغموض.

والسبب في ذلك: أنه لا يصح الارتجال والاستعجال في هذا الأمر الخطير، كما لا يصح التعويل على الحماس الشعبي العارم، وعلى المشاعر الجياشة، فإن جذوة الحماس قد تخبو، والمشاعر الثائرة قد تتضاءل وتتواضع، أو تتبخر، أو تتراجع، إذا التقت حلقتا البطان، وبلغ السيل الزبى، والحزام الطبيين.

يضاف إلى هذا: أن للحالة الاجتماعية العامة، وعلاقات الناس فيها ببعضهم، وما يكون بينهم من مشكلات أثراً في إنجاح أو إفشال أية حركة، ولاسيما إذا كانت تحمل معها أثقالاً أخرى تضاف إلى ما هو موجود فعلاً.

فإذا قدم مسلم بن عقيل إلى الكوفة، فإن وجوده فيها يفرض الانتقال بالأجواء من حالة الإنفعال، والهياج العاطفي غير المستند إلى أساس إلى عقلنة الأمور، والتفكير في الأمر بصورة جدية وعملية، من خلال التداول بالإمكانات المتوافرة على أرض الواقع.

ولعله «عليه السلام» أراد هذا المعنى حين قال في رسالته لأهل الكوفة: «..وقد أمرته أن يكتب إلي بحالكم، ورأيكم، ورأي ذوي الحجى، والفضل فيكم».

غير أن ذلك لا يعني أن تكون مهمة مسلم محض استطلاعية للآراء، بل هي استطلاع عملي يقصد منه تهيئة الأجواء لقدوم الحسين

«عليه السلام» بنفسه عليهم، ولأجل ذلك قال لهم: «فقوموا مع ابن عمي وبايعوه ولا تخذلوه».

أمره باللطف، والكتمان:

١ ـ وتقدم: أنه «عليه السلام» أمر مسلماً باللطف، وكتمان الأمر. فلعل المراد باللطف هنا: هو المداراة والتأني، وتدبر الأمر بروية وحكمة.. وإن كان المعنى الآخر للطف وهو الرفق، والتعامل مع الناس بأخلاقية عالية ليس بمنأى عن مقاصده «عليه السلام»، إذ هو يريد له أن يعطي للناس صورة عملية عن تعامل أهل البيت «عليهم السلام» مع الناس ليقارنوا بينها وبين الصورة التي عرفوها، وعاشوها، وتعامل معهم بها أعداؤهم، وليدركوا بفطرتهم مدى التباين بين الصورتين والطريقتين، والنهجين.

وقد قال الأخ العلامة الشيخ معين شرارة: ومن المحتمل معنى آخر للطف، وهو الكون في سر وكتمان، نظير ما ذكر في قوله تعالى: (**فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا**)(١). وهو مناسب لما أمره به أولاً من كتمان الأمر. فيكون المراد: اكتم الأمر ولا تفشه إخباراً، وتلطف في سيرك متخفياً. ويكون بذلك نحو اختلاف بينهما. فلا يرد أن غيره من المعاني أنسب بلحاظ اقتضاء العطف للمغايرة. ويؤيده: ما سيجيء من النص الدال على أنه استأجر دليلين يَصحَبانِهِ إلَى الكوفَةِ عَلى غَيرِ الجادَّةِ. وفي نص آخر: عَلى بَراري

---

(١) الآية ١٩من سورة الكهف

مَهجورَةِ المَسالِكِ.

٢ ـ وتتأكد الحاجة إلى بلورة هذه الصورة إذا علمنا أن الجيل الذي كان آنئذٍ هو الأكثر نشاطاً، وفاعلية وتأثيراً في الواقع العملي في الحياة الإجتماعية قد نشأ، وترعرع بعد استشهاد علي «عليه السلام»، فهو لم ير علياً «عليه السلام» ولم يعرف من سيرته العملية، إلا ما سمعه من الآباء، والأجداد، وثمة فرق كبير في التأثير بين ما تسمعه، وبين ما تراه وتلمسه بصورة مباشرة.

٣ ـ يضاف إلى ذلك: أن تدبير الأمور، وإحكامها يحتاج إلى اللطف، والمرونة وحسن الإدارة والرفق والأناة. فلا يقدم على المواجهة قبل أن تنضج الأمور، ويتم التأكد من عدم وجود ثغرات.

٤ ـ وأمره أيضاً بكتمان أمره، لا يريد به أن لا يعرف الناس بوجوده، وأن يكون عمله سرياً إلى هذا الحد، لأن هذا لا ينسجم مع قوله «عليه السلام» لمسلم: «وادع الناس إلى طاعتي»، بل المراد أن يتكتم على ما يدور بينه وبين الزعامات القبلية من مداولات، وعلى ما يعدونه به أو ما يقدمونه له من إمكانات، ولا يذكر في مجالسه تفاصيل ما يجري معه، وما يتوفر له من معطيات، بل يقتصر في خطابه العام على العناوين العامة التي يعرفها أكثر الناس.. وقد قلنا: إن مهمة مسلم كانت استطلاعية وإعدادية.

أخي وثقتي من أهل بيتي:

ولقد كتب الإمام الحسين «عليه السلام» إلى أهل الكوفة جواباً

عاماً، خاطب فيه المؤمنين أو المسلمين فيها، ووصف مسلم بن عقيل لهم بثلاثة أمور، فقال:

١ ـ بعثت إليكم أخي.

٢ ـ وابن عمي.

٣ ـ وثقتي من أهل بيتي.

فوصفه بالأخوة، يعطيه درجة من الإعزاز، ويؤكد موقعه المتميز عنده «عليه السلام». كما أنه يشير إلى فضل مسلم، وعظمته، ومقامه لديه.

ووصفه بأنه ابن عمه يشير إلى لحمة النسب بينهما، وأنها قرابة قريبة تجعله يعتبر أن ما يصيب الحسين «عليه السلام» يصيبه، فهو قريبه وابن عمه. وهذا يجعله شديد الحرص على نجاح مهمته. فلا يفرط فيها، ولا يتهاون، ولا يتخاذل، لأن الأمر يعنيه بصورة عفوية وطبيعية ومباشرة.

وحين وصفه بأنه ثقته من أهل بيته لم يرد التعريض بدرجة وثاقة سائر رجالات أهل بيته «عليه السلام»، بما فيهم العباس، ومحمد ابن الحنفية، والإمام السجاد «عليه السلام»، فإنه ليس للوصف مفهوم ـ كما تقرر في محله ـ ولاسيما إذا كان المعنى الذي سبق من أجله هذا الوصف معلوماً ومفهوماً، وكانت هناك حاجة إلى إبلاغه لمن يوجه إليهم خطابه.

والذي قصده الإمام الحسين من إضافة كلمة «من أهل بيتي» هو

الإشارة إلى أن وثاقة مسلم لم تظهر له من خلال شهادة أحد له بها، ولا من خلال حسن الظاهر، بل ثبتت له من خلال عشرة طويلة، وخبرة عميقة واطّلاع دقيق على أحواله، ومشاهدته لكل كبيرة وصغيرة. لأنه من أهل بيته، وأهل البيت أعرف وأدرى من كل أحد بحال سائر أهل البيت، وهم يشهدون بحالهم عن يقين، ولا يستندون إلى ظنون وحدسيات، أو إلى شهادات تحتمل الخطأ، والصواب.

المبادرة مطلوبة من أهل الكوفة:

وقد أظهرت رسالته «عليه السلام» لأهل الكوفة: أنه يريد أن تكون المبادرة الأولى منهم، فقد علق قدومه عليهم على قيامهم مع ابن عمه، وبيعته ونصرته، فإن فعلوا ذلك قدم عليهم. كما في النص الذي نقله أبو الفرج وغيره(١).

وإن لم يفعلوا ذلك، فعلى مسلم أن يعجل الانصراف عنهم(٢)، لأنه سيكون هو وثلة ممن معه في موقع الخطر من قبل الأعداء والمتربصين.

ولعل هذه السياسة التي انتهجها «عليه السلام» مع أهل الكوفة تهدف إلى سد الطريق على بعض المغرضين، وقاصري النظر، فلا

---

(١) مقاتل الطالبيين (ط دار المعرفة) ص٩٥ و ٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ) ص٦٣.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٣٠.

يتهم بأنه لم يحتط لنفسه، ولا أحكم أمره، مع أنه قد شهد ما فعله أهل الكوفة بأخيه الإمام الحسن «عليه السلام»، حيث انحازت طائفة منهم إلى عدوه معاوية، وغدروا بالإمام الحسن «عليه السلام»، ونكثوا بيعته له، وانتهبوا فسطاطه، وضربوه بالمعول في فخذه. حتى اضطر إلى ما عرف بالصلح، واشترط على معاوية أموراً كثيرة، ولم يف له بها معاوية.

إنزل عند أوثق أهلها:

وقد أرسل «عليه السلام» مسلماً إلى الكوفة، وأمره أن ينزل عند أوثق أهلها. فنزل في دار المختار، وقيل في غيرها. كما سيأتي حين الحديث عن وصول مسلم إلى الكوفة..

غير أن ما نود لفت النظر إليه هو:

أولاً: أن نزول مسلم في دار المختار، أو في دار غيره، تكون في هذه الحال بمثابة شهادة منه بوثاقة من ينزل في داره، بل هي شهادة له بأنه أوثق أهل الكوفة.

ثانياً: إن هذا التوجيه الحسيني له أهميته القصوى في حفظ المسار الصحيح للأمور، فإنه إذا كان المضيف من أوثق أهل ذلك المصر، فذلك يعني أن له موقعاً لديهم يخوله ضبط حركة الناس الذين يترددون على مسلم، وأنه يحفظ أسرارهم، ولا يفرط فيهم، ولا يتهاون، ولا يضعف، ولا يعرضهم لأي خطر مهما كان.

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» اقتصر على صفة الأوثقية في

صاحب الدار الذي يحتضن هذا الضيف، ولم يشر «عليه السلام» إلى أية صفة أخرى، لأن هذه الصفة هي الأكثر حساسية وأهمية في هذا الأمر، إذ لو اختل معنى الوثاقة في أصغر الأمور كان ثمن ذلك هو تعريض الناس للخطر، وإلى إزهاق أرواحهم، وربما انتهى الأمر إلى إفشال الحركة من أساسها..

وقد عبر عن درجة الوثاقة بصيغة أفعل التفضيل، ليس فقط لبيان إيغاله في الصلابة في المحافظة على السر الذي يؤتمن عليه، بل لتشمل هذه الوثاقة جميع الموارد التي تحتاج إلى التحفظ، والحذر والاحتياط.. لأنك قد تجد إنساناً لا يفرط بالسر الذي يؤتمن عليه، ولكنه لا يهتم ولا يقوم بأي جهد لسد الثغرات، وصيانة العمل من تدخلات الأغيار، ربما لأنه لا يرى الأمر يعنيه كثيراً لسبب أو لآخر..

فالأوثقية يراد بها ما يشمل جميع الحالات، من دون استثناء بالإضافة إلى الصلابة والتشدد في كتمان السر، كما بيناه.

سيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى:

ويلاحظ: أنه «عليه السلام» لم يبشر مسلم بن عقيل بالسلامة في الدنيا من الأذى أو القتل، بل بشره بالسلامة في الدين وحسب. حيث قال له: «وسيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى».

وهذه هي أغلى وأعلى أمنيات الإنسان المؤمن. فإنه يسعد كل السعادة إذا عرف أنه يتحرك في دائرة الرضى الإلهي، وتزيد سعادته

هذه إذا تحقق لديه أن الله تعالى يرعاه ويسدده، ويختار له كل ما هو صلاح وفلاح.

البشارة بالشهادة:

ثم أتبع الإمام الحسين «عليه السلام» بشارته لمسلم بسلامة دينه ببشارة أخرى، فقال: «وأنا أرجو أن أكون أنا وأنت في درجة الشهداء».

ومن المعلوم: أنه «عليه السلام» كان يسمع من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ومن أبيه، وأخيه «عليهما السلام» أخبار استشهاده في كربلاء. فهو على يقين من هذا.. والمفروض أن يكون مسلم أيضاً عالماً بهذا الأمر.. وقد قرن «عليه السلام» الإخبار عن رجاء الشهادة لنفسه بالإخبار عن رجاء الشهادة لمسلم، وجعلهما في سياق واحد..

وقد صرحت بعض الأخبار: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» كان قد أخبر بشهادة مسلم أيضاً(١).

---

(١) الأمالي للصدوق ص١٢٩ و ١٣٠ و (ط مؤسسة البعثة) ص١٩١ وبحار الأنوار ج٢٢ ص٢٨٨ وج٤٤ ص٢٨٧ و ٢٨٨ وخاتمة المستدرك ج٩ ص١٢٢ والعوالم، الإمام الحسين ص٣٤٩ وعن إثبات الهداة ج١ ص٥٢٨ وقاموس الرجال ج٧ ص٢٣٠ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٢٠ ص٦٥٠.

ومعنى هذا: أن مسلماً حين توجه إلى العراق كان قد وضع نصب عينيه أن ينال درجة الشهادة، ويكون مع الحسين «عليه السلام» في هذه الدرجة.

وهذا لا يمنع من أن يبذل أقصى ما لديه من وسع لإنجاح مسعاه فيما انتدب إليه، لأن علمه بالشهادة لا يمنعه من أداء ما عليه في حفظ الدين، والجهاد في سبيل الله، لاسيما وأن الإمام الحسين «عليه السلام» لم يحدد له زمان ومكان هذا الاستشهاد، فلعله يكون بعد سنوات، أو لعله يستشهد بعد نجاح مسعاه، بفعل من أعدائه انتقاماً منه، ولعله.. ولعله..

وهذا لا ينسجم مع ما يزعمونه من أنه حين مات الدليلان معه في الطريق، كتب إلى الحسين يستعفيه من ذلك المسير، فاتهمه «عليه السلام» بالجبن، ولم يعفه.

وسيأتي المزيد من الكلام حول هذا الموضوع إن شاء الله تعالى.

من هو الإمام؟!:

وتقدم: أن الإمام «عليه السلام» قد حدد في كتابه لأهل الكوفة معياراً وضابطة يعرف بها الإمام ويميز عن مدعي الإمامة زوراً، فقال:

«وليس الإمام العادل (العامل) (في بعض المصادر: الحاكم) بالكتاب، والعادل (أو العامل. وفي بعض المصادر: القائم) بالقسط، الدائن بدين الحق، الحابس نفسه في ذات الله، كالذي يحكم بغير الحق،

ولا يهدي، ويهتدي..».

فنلاحظ:

١ ـ أنه «عليه السلام» يستحث ذهن مخاطبه، ليستحضر صورتين متباينتين عن الحاكم المهيمن على البلاد والعباد، ويقارن بينهما، ثم يختار منهما ما هو أوفق بفطرته، وأقرب إلى ما يحكم به وجدانه، وسنرى أنه سوف يختار بفطرته، ويندفع بطبعه وسجيته إلى الصورة الرضية للحاكم الهادي، والمهتدي، والحاكم بكتاب الله، والقائم بالقسط والعدل، العامل بالحق، الحابس نفسه في ذات الله.

٢ ـ إنه «عليه السلام» قد ساق الكلام بطريقة تعطي: أن من يحكم بغير الحق، ولا يهدي ولا يهتدي ليس له في الحاكمية نصيب، ولا يمكنه أن ينال هذا المقام، ولا تكون له أية شرعية عند الله، وعند أهل الحجى، وذوي الفطرة الصحيحة والسليمة، فلا تنفع بيعة، ولا انتخاب، ولا تفيد الأموال، ولا القوى المسلحة في إعطائه شرعية ومقبولية.

٣ ـ ويلاحظ: أنه «عليه السلام» قد ذكر: أن سبب فقدانه الشرعية هو أمور ثلاثة هي التالية:

ألف: أنه يحكم بغير الحق، فمن يهدم صرح الحق، ويستبدله بالباطل، فهو من أشر خلق الله، والأكثر إجراماً في حق خلق الله.

ب: أنه لا يهدي إلى الحق والصواب، ولا يرشد إليه. لأنه يرضى بأن تغرق الأمة في غياهب الجهالات والأباطيل والأضاليل، فتفسد

الحياة في الدنيا، ويكون الخسران في الآخرة.

ج: إنه هو نفسه لا يهتدي إلى الحق والخير، وفاقد الشيء لا يعطيه.

أما الحاكم المرضي عند الله، وعند أهل الحجى، وذوي الفطرة السليمة، فهو الذي يجمع الصفات التالية:

ألف: لا يحكم بالهوى، ولا ينقاد للعصبيات، والأهواء والآراء العاجزة والناقصة، بل يحكم بكتاب الله وحسب.

ب: يعمل بالقسط، ويقيم العدل، حتى يصبح العدل ظاهراً، وقائماً، وماثلاً للعيان في كل شيء، ويراه الناس بأم أعينهم.

ج: الدائن بدين الحق.

د: الحابس نفسه في ذات الله، فلا يتحرك ولا يبذل جهداً إلا فيما يرضيه، ولا يقيم لغير رضاه سبحانه وزناً.

الفصل الثاني:

مسلم إلى الكوفة..

وفد أهل الكوفة إلى مكة:

وقد روى أبو الفرج، عن يونس بن أبي إسحاق قال: «لما بلغ أهل الكوفة نزول الحسين مكة، وأنه لم يبايع ليزيد، وفد إليه وفد منهم، عليهم أبو عبد الله الجدلي. وكتب إليه شبث بن ربعي، وسليمان بن صرد، والمسيب بن نجبة، ووجوه أهل الكوفة يدعونه إلى بيعته، وخلع يزيد.

فقال لهم: أبعث معكم أخي وابن عمي، فإذا أخذ لي بيعتي، وأتاني عنهم بمثل ما كتبوا به إلي، قدمت عليهم»(١).

ونقول:

إننا لا نعرف عن هذا الوفد الذي قدم إلى مكة للقاء بالإمام الحسين «عليه السلام» سوى ما ورد في هذا النص الذي رواه أبو الفرج.

وهو لم يذكر لنا أسماء أعضاء هذا الوفد، سوى اسم رئيسه، ولا ذكر المطالب التي جاء من أجلها، وهل حصل على ما أراد، أم لا..

---

(١) مقاتل الطالبيين (ط دار المعرفة) ص٩٥ و ٩٦ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٥هـ) ص٦٣.

غير أن العبارة المذكورة آنفاً تفيد: أن إرسال مسلم إلى الكوفة كان استجابة منه «عليه السلام» لطلب هذا الوفد.

ويفهم منه أيضاً: أنهم جاؤوا يدعونه، ليقدم عليهم، ويبايعوه إماماً وقائداً لهم، ولكنه قرر أن يرسل ابن عمه، ليأخذ منهم البيعة أولاً، فإن بايعوه قدم عليهم فهي استجابة مشروطة كما قلنا.

مسلم في طريق الكوفة:

روى الطبري عن أبي مخنف قال:

دعا الحسين «عليه السلام» مسلم بن عقيل، فسرحه مع قيس بن مسهر الصيداوي، وعمارة بن عبيد [لعل الصحيح: عبد] السلولي، وعبد الرحمن بن عبد الله بن الكدن الأرحبي، وأمره بالتقوى، وكتمان أمره، واللطف، فإن رأى الناس مجتمعين مستوسقين عجّل إليه بذلك.

فأقبل مسلم [وعند ابن أعثم: مستخفياً، لئلا يعلم به أحد من بني أمية] حتى أتى المدينة، فصلى في مسجد رسول الله «صلى الله عليه وآله» وودع من أحب من أهله، ثم استأجر دليلين من قيس [وعند ابن أعثم: قيس عيلان، يدلانه على الطريق، ويصحبانه إلى الكوفة على غير الجادة]، [وعند ابن كثير: فسارا على براري مهجورة المسالك].

فأقبلا به، فضلا الطريق وجارا، وأصابهم عطش شديد [وعند ابن أعثم: فماتا جميعاً عطشاً].

وقال الدليلان: هذا الطريق حتى ينتهي إلى الماء. وقد كادوا أن يموتوا عطشاً، فكتب مسلم بن عقيل مع قيس بن مسهر الصيداوي إلى

حسين «عليه السلام»، وذلك بالمضيق من بطن الخبيت.

أما بعد، فإني أقبلت من المدينة معي دليلان لي، فجارا عن الطريق وضلا، واشتد علينا العطش، فلم يلبثا أن ماتا، وأقبلنا حتى انتهينا إلى الماء، فلم ننج إلا بحشاشة أنفسنا، وذلك الماء بمكان يدعى المضيق من بطن الخبيت، وقد تطيرت من وجهي هذا، فان رأيت أعفيتني منه وبعثت غيري. والسلام.

[وعند ابن أعثم: فلما قرأ «عليه السلام» كتاب مسلم بن عقيل «رحمه الله» علم أنه قد تشاءم وتطير من موت الدليلين، وأنه جزع]، فكتب إليه حسين «عليه السلام»:

أما بعد، فقد خشيت ألا يكون حملك على الكتاب إلي في الاستعفاء من الوجه الذي وجهتك له إلا الجبن [وعند ابن أعثم: والفشل]، فامض لوجهك الذي وجهتك له، والسلام عليك.

[وعند ابن أعثم: فلما ورد الكتاب على مسلم بن عقيل كأنه وجد من ذلك في نفسه].

فقال مسلم لما قرأ الكتاب: هذا ما لستُ أتخوفه على نفسي.

فاقبل كما هو حتى مر بماء لطيء، فنزل بهم، ثم ارتحل منه، فإذا رجل يرمي الصيد، فنظر اليه قد رمى ظبياً حين أشرف له فصرعه، فقال مسلم: يقتل عدونا إن شاء الله(١).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص٤٩ و ٥٠ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢١

وفي حديث رواه عمار الدهني، عن أبي جعفر «عليه السلام» قال: إن أحد الدليلين قد مات[1].

وقد خرج مسلم من مكة في النصف من شهر رمضان، حتى قدم الكوفة لخمس خلون من شوال، كما سيأتي.

و ٢٢ نحوه، وفيه (الخبيث) بدل (الخبيت) والإرشاد ج٢ ص٣٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٥ وراجع: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٠ وروضة الواعظين ص١٩١ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٦. وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٦ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٠ والأخبار الطوال ص٢٣٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢.

(١) موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص٥٠ و ٥١ والإصابة ج٢ ص٦٩ و (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٢ ص٦٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٢ و ٤٢٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩٠ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠١ و ٣٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٧ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٧ و ٢٥٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ وج٣٣ ص٦٨٢ و ٦٨٣ والأمالي لابن الشجري ج١ ص١٩٠ والحدائق الوردية ص١١٤.

وراجع: مروج الذهب ج٣ ص٦٤ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٤ والمحاسن والمساوئ ص٥٩ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٣٧ والإمامة والسياسة ج٢ ص٨ وراجع: المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥.

وعند ابن حبان: أن مسلماً خرج من المدينة معه قيس بن مسهر الصيداوي يريدان الكوفة، فأخذا دليلاً تنكب بهما الجادة فكاد مسلم أن يموت عطشاً(١).

وهذا معناه: أن الدليل كان شخصاً واحداً لا أكثر.

ونقول:

اختلفت الآراء حول صحة موت الدليلين اللذين كانا مع مسلم، وما ترتب على ذلك من استعفائه من الإمام «عليه السلام»، وعدم اعفائه.

فهناك من تلقى هذه الحادثة بالقبول، ولكنه حاول تأويل الكلام بما رأى أنه يدفع المؤاخذات التي ترد عليه(٢).

وهناك من رد هذا الكلام جملة وتفصيلاً(٣).

وهناك من نفى نسبة الجبن والتطير لمسلم، وقبل بموت الدليلين، واستعفاء مسلم(٤).

ونقول:

أولاً: إن سند هذا النص ليس مما يمكن الاعتماد عليه لكي يمكن

____

(١) الثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٧.

(٢) راجع كتاب: في محراب كربلاء ص٩١ و ٩٢ و ٩٣.

(٣) حياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٣٢٣ فما بعدها.

(٤) الشهيد مسلم للسيد المقرم ص٩٠ و (ط أخرى) ص١١١ و ١١٣ و ١٣٨.

الحكم بصحة الرواية سنداً.

ثانياً: قال العلامة الشيخ باقر شريف القرشي «رحمه الله»: إن مضيق الخبت الذي بعث منه مسلم رسالته يقع بين مكة والمدينة(١). في حين أن الرواية تصرح: بأن مسلماً استأجر الدليلين من المدينة، فضلوا الطريق ما بين المدينة والكوفة.

ثالثاً: قال العلامة القرشي «رحمه الله» أيضاً: لنفترض أن مكاناً آخر اسمه مضيق الخبيت، يقع بين المدينة والكوفة، ولم يذكره الحموي في معجمه، لكن الزمان لا يسع كل هذه الأحداث المذكورة في هذه الرواية، لأن المؤرخين يقولون: إن مسلماً قطع المسافة من مكة إلى الكوفة وهي حوالي ألف وأربع مئة كيلو متر بعشرين يوماً، لأنه خرج من مكة في النصف من شهر رمضان، ودخل الكوفة في الخامس من شوال..

فإن كان مسلم قد أرسل رسولاً إلى الحسين «عليه السلام» من موضع موت الدليلين إلى مكة، وعاد إليه بالجواب، فذلك يحتاج إلى أيام عديدة للذهاب، ومثلها للإياب. ومعنى هذا: أن لا يصل مسلم إلى الكوفة في الخامس من شوال، بل بعد هذا التاريخ بعشرة أيام على أقل تقدير.

رابعاً: ويتابع العلامة القرشي «رحمه الله» كلامه: بأن اتهام

(١) معجم البلدان ج٢ ص٣٤٣.

الإمام الحسين «عليه السلام» مسلم بالجبن لا يناسب ما كتبه «عليه السلام» لأهل الكوفة في حقه. كما أنه يتناقض مع ما عرف من سيرة مسلم، ولاسيما ما ظهر منه في الكوفة حين بقي وحيداً. وقد واجه العشرات من الفرسان، ولم يقدروا على أخذه إلا بالخديعة والمكيدة.

ويكفي أن نذكر: أن البلاذري يصفه: بأنه «أشجع بني عقيل وأرجلهم»[١].

خامساً: إن التطير منهي عنه في الشريعة: ولا شك في أن مسلماً كان ثقة للإمام الحسين، والمبرَّز في الفضل من أهل بيته، كما صرح به «عليه السلام» في كتابه لأهل الكوفة. فكيف يرتكب هذه المخالفة الشرعية الفاضحة والواضحة؟!

سادساً: إن الرسالة التي يُدَّعى أن الإمام الحسين «عليه السلام» أرسلها إلى مسلم قد جاءت قاسية وحازمة وغير متوقعة. فقد عرفنا: أن الإمام الحسين «عليه السلام»، وكذلك سائر الأئمة والأنبياء «عليهم السلام» لا يفرضون على الآخرين أمراً فيه موت واستشهاد، أو احتمال ذلك. كما ألمح إليه قوله «عليه السلام» لمسلم حين ودعه: إنه يرجو أن ينال هو وإياه درجة الشهادة.

بل سياسة الأنبياء والأئمة «عليهم السلام» هي: أنهم يعرضون

---

(١) عن أنساب الأشراف ج٢ ص٨٣٦ وراجع كلام العلامة القرشي في كتابه: حياة الإمام الحسين ج٢ ص٣٢٣ و (ط مطبعة الآداب ـ النجف سنة ١٣٩٥هـ) ص٣٤٤ فما بعدها.

الأمر على الشخص، ويجعلون القرار فيه إليه، وعليه هو أن يجيب بالرفض أو القبول. لأنهم لو أكرهوه، وقتل، فإنه لا يكون شهيداً، بل يكون ضحية وقتيلاً فقط. أي أنه لا يستحق درجة الشهادة في الجنة، بل قد يتعرض للحساب والعقاب على عدم قبوله بما عرض عليه أيضاً.

سابعاً: إن ملاحظة النص المتقدم تعطي: أن النصوص غير متفقة في عدة أمور، فهناك الاختلاف في عدد من مات، هل مات الدليلان معاً؟! أو مات دليل واحد، وبقي الآخر؟!

وهناك الاختلاف في أن مسلماً استأجر دليلاً واحداً، أو استأجر دليلين؟!

والإختلاف من كانوا في ركب مسلم، هل هو قيس بن مسهر الصيداوي فقط؟! أو معه أيضاً عمارة بن عبد السلولي، وعبد الله بن عبد الرحمان بن الكدن الأرحبي؟!

مسلم في الكوفة:

قال المسعودي:

فَخَرَجَ مُسلِمٌ مِن مَكَّة فِي النِّصفِ مِن شَهرِ رَمَضانَ، حَتّى قَدِمَ الكوفَة لِخَمسٍ خَلَونَ مِن شَوّالٍ، وَالأَميرُ عَلَيهَا النُّعمانُ بنُ بَشيرٍ الأَنصارِيُّ(١).

(١) مروج الذهب ج٣ ص٦٤ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣

وروى الطبري عن أبي مخنف قال:

ثُمَ أقبَلَ مُسلِمٌ حَتّى دَخَلَ الكوفَة، فَنَزَلَ دارَ المُختارِ بنِ أبي عُبَيدٍ - وهِيَ الّتي تُدعَى اليَومَ دارَ مُسلِمِ [في الإرشاد: سلم]، [وفي غيره: سلام، وسالم] بنِ المُسَيَّبِ.

وأقبَلَتِ الشّيعَةُ تَختَلِفُ إلَيهِ، فَلَمّا [في الإرشاد: فكلما] اجتَمَعَت إلَيهِ جَماعَةٌ مِنهُم، قَرَأَ عَلَيهِم كِتابَ حُسَينٍ عليه السلام، فَأَخَذوا يَبكونَ [وعند ابن أعثم: شوقاً منهم إلى قدوم الحسين «عليه السلام»]. فَقامَ [رجل من همدان يقال له:] عابِسُ بنُ أبي شَبيبٍ الشّاكِرِيُّ، فَحَمِدَ اللهَ وأثنى عَلَيهِ، ثُمَّ قالَ:

أمّا بَعدُ، فَإِنّي لا اُخبِرُكَ عَنِ النّاسِ، ولا أعلَمُ ما في أنفُسِهِم، وما أغُرُّكَ مِنهُم، وَاللهِ لَاُحَدِّثَنَّكَ عَمّا أنَا مُوَطِّنٌ نَفسي عَلَيهِ، وَاللهِ لَأُجيبَنَّكُم إذا دَعَوتُم، ولَاُقاتِلَنَّ مَعَكُم عَدُوَّكُم، ولَأَضرِبَنَّ بِسَيفي دونَكُم حَتّى ألقَى اللهَ، لا اُريدُ بِذلِكَ إلّا ما عِندَ اللهِ.

فَقامَ حَبيبُ بنُ مُظاهِرٍ الفَقعَسِيُّ، فَقالَ: رَحِمَكَ اللهُ! قَد قَضَيتَ ما في نَفسِكَ بِواجِزٍ مِن قَولِكَ.

ثُمَّ قالَ: وأنَا وَاللهِ الَّذي لا إلهَ إلّا هُوَ، عَلى مِثلِ ما هذا عَلَيهِ [وعند ابن أعثم: وتَبايَعَتِ الشّيعَةُ عَلى كَلامِ هذَينِ الرَّجُلَينِ، ثُمَّ بَذَلوا الأَموالَ، فَلَم يَقبَل مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ مِنها شَيئاً].

ص٥٤.

ثُمَّ قالَ الحَنَفِيُّ مِثلَ ذلِكَ.

فَقالَ الحَجّاجُ بنُ عَلِيٍّ: فَقُلتُ لِمُحَمَّدِ بنِ بِشرٍ: فَهَل كانَ مِنكَ أنتَ قَولٌ؟

فَقالَ: إن كُنتُ لَأُحِبُّ أن يُعِزَّ اللهُ أصحابي بِالظَّفَرِ، وما كُنتُ لِأُحِبَّ أن اُقتَلَ، وكَرِهتُ أن أكذِبَ.

وَاختَلَفَتِ الشّيعَةُ إلَيهِ حَتّى عُلِمَ مَكانُهُ، فَبَلَغَ ذلِكَ النُّعمانَ بنَ بَشيرٍ(١).

وفي نص آخر: «وبايَعَهُ النّاسُ، حَتّى بايَعَهُ مِنهُم ثَمانِيَة عَشَرَ ألفاً. فَكَتَبَ مُسلِمٌ ـ «رَحِمَهُ اللهُ» ـ إلَى الحُسَينِ «عليه السلام»، يُخبِرُهُ بِبَيعَةِ ثَمانِيَة عَشَرَ ألفاً، ويَأمُرُهُ بِالقُدومِ»(٢).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٥٧ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٥ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ والأخبار الطوال ص٢٣١ وعن أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٤ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٠ وقاموس الرجال ج٩ ص١٣٤ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٥٨ وروضة الواعظين ص١٩١ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٣ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٥ و ٣٣٦ والعوالم، الإمام الحسين ص١٨٥ والأخبار الطوال ص٢٣١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢.

وعن النضر بن صالح:

نَزَلَ [مُسْلِمٌ] دارَ المُختارِ وهِيَ اليَومَ دارُ سَلَمِ بنِ المُسَيَّبِ، فَبايَعَهُ المُختارُ بنُ أبي عُبَيدٍ فيمَن بايَعَهُ مِن أهلِ الكوفَةِ، وناصَحَهُ ودَعا إلَيهِ مَن أطاعَهُ، حَتّى خَرَجَ ابنُ عَقيلٍ(١).

ونقول:

هنا أمور ينبغي الوقوف عندها، وهي التالية:

أين نزل ابن عقيل في الكوفة؟!:

اختلفت النصوص في تحديد موضع نزول مسلم بن عقيل في الكوفة، فهناك عدة أقوال في ذلك، وهي:

١ ـ أنه نزل في دار المختار(٢)، وحسب نص كتاب الملهوف:

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٦٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٤١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٢٩٥.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٥ ولواعج الأشجان ص٣٧ وينابيع المودة ج٣ ص٥٦ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٧ والمجالس الفاخرة للسيد شرف الدين ص١٩١ وراجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٣ وأنساب الأشراف ج٦ ص٣٧٦ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٦٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٤١ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٦١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٦٨ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٢٩٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٧ وتذكرة الخواص

«أنزلوه في دار المختار»[١].

وقال ابن أعثم وغيره: نزل دار سالم بن المسيب. وهي دار المختار[٢].

وعن المفيد: نزل في دار المختار بن أبي عبيد، وهي التي تدعى اليوم دار سلم بن المسيب[٣].

٢ ـ وقال ابن شهرآشوب: فسكن في دار سالم بن المسيب[٤].

٣ ـ ورواية عن الإمام الباقر «عليه السلام» ـ أو السجاد «عليه السلام» تقول: نزل على رجل من أهلها (الكوفة) يقال له: ابن عوسجة[٥].

(ط النجف) ص٢٤٤ عن ابن إسحاق.

(١) الملهوف ص١٠٨ و (أنوار الهدى ـ قم سنة ١٤١٧هـ) ص٢٥.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٣٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٧.

(٣) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ وموسوعة الإمام الحسين ج١ ص٥٨ وروضة الواعظين ص١٩١ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ص١٨٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٦٤.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ وأعيان الشيعة ج٧ ص١٨٠ .

(٥) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٧ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٨ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩٠ و (ط دار الفكر) ج٢

وعند ابن كثير: نزل على مسلم بن عوسجة الأسدي، وقيل: نزل في دار المختار[(١)].

٤ ـ وعند المسعودي: نزل على رجل يقال له عوسجة مستتراً[(٢)].

٥ ـ قيل: إن الحسين «عليه السلام» أمره بأن ينزل على هاني بن عروة[(٣)]، فنزل بالكوفة على هانئ[(٤)].

٦ ـ إنه نزل على شريك بن الأعور الحارثي[(٥)].

ونقول:

ص٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ وج٣٣ ص٦٨٣ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥ والإصابة (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٢ ص٦٩ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤١.

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٣.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٦٤ و (منشورات دار الهجرة ـ إيران) ج٣ ص٥٤ والحدائق الوردية ج١ ص١١٤.

(٣) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦١ عن الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٧٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ وراجع: الإصابة (ط دار الكتب العلمية سنة ١٤١٥هـ) ج٦ ص٤٤٥ وتاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٤٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩.

(٥) الأمالي الشجرية ج١ ص١٦٧.

هل خالف مسلم أمر الحسين ×؟!:

قال ابن سعد: كان الحسين «عليه السلام» قدَّم مسلم بن عقيل بن أبي طالب إلى الكوفة، وأمره أن ينزل على هاني بن عروة المرادي(١).

فيرد هنا سؤال: إذا كان الإمام الحسين «عليه السلام» قد أمر مسلماً بأن ينزل في دار هاني بن عروة، فلماذا خالف هذا الأمر، ونزل في دار المختار؟!

وألا يدل ذلك على أن الصحيح هو أنه نزل في دار هاني.

ويمكن أن يجاب:

أولاً: إن الإمام الحسين «عليه السلام» كان مهتماً بأن لا تتعرض مهمة مسلم لنكسة خطيرة، بسبب التفريط بمبدأ الكتمان والسرية، ونزول مسلم في بيت المختار، لا يعني أنه كان يبيت فيه، فلعله كان يبيت في بيت هاني بن عروة، ويتخذ بيت المختار مقراً له، يستقبل فيه الناس، فإذا عرف هذا المقر المعلن للسلطة، يكون هناك مجال للتعمية على السلطة حين تريد كبس البيت تحت جنح الظلام، لاعتقال مسلم أو غيره. فكان يبيت في بيت، ويجتمع بالناس للبيعة في غيره..

(١) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٤ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٥٨ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٢ ص١٧٠ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩. وراجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٨٦.

بل لا مانع من أن يتنقل مسلم بين عدة بيوت، أربعة أو خمسة، الأمر الذي يجعلنا لا نستبعد صحة أكثر الأقوال المتقدمة.

ثانياً: إن منزل المختار كان أبعد عن الشبهة، لأن المختار كان متزوجاً من عمرة بنت النعمان بن بشير(١). وكان أيضاً متزوجاً ببنت سمرة بن جندب(٢).

كما أن عبد الله بن عمر كان متزوجاً بأخت المختار(٣)، فحتى لو

---

(١) راجع: مروج الذهب (منشورات دار الهجرة ايران سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص٩٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٢٩٥ والأخبار الطوال ص٣٠٩ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٥٧٤ وتجارب الأمم ج٢ ص٢١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٥٨ والأعلام للزركلي ج٥ ص٧٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٣٠ وتاريخ الكوفة ص٣٥٩ وأعيان الشيعة ج٨ ص٣٧٦ وأنساب الأشراف ج٦ ص٤٤٣ والأغاني ج٩ ص١٥٦.

(٢) راجع: مروج الذهب ج٣ ص٩٩ وشجرة طوبى ج١ ص١٢١ وقاموس الرجال للتستري ج١٠ ص١٥ والأخبار الطوال ص٣٠٩ وتاريخ مدينة دمشق ج٦٩ ص٢٩٥ وأنساب الأشراف ج٦ ص٤٤٠ و ٤٤٣ والأغاني ج٩ ص١٥٦ والمعارف لابن قتيبة ص٤٠١ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٥٣٦ و ٥٦٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٢٠٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٦٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٥٨ والبداية والنهاية ج٨ ص٣١٨ وتاريخ الكوفة ص٣٥٨.

(٣) قاموس الرجال ج١٠ ص١٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١ ص٣٢٦ وعمدة القاري ج٧ ص١٣٦ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٨ ص٤٧٢

حامت الشبهة حول بيت المختار، فإن أحداً سوف لا يقدم على مهاجمته، وهو زوج بنت الوالي، وزوج بنت سمرة بن جندب، وأخ زوجة ابن عمر. لنفوذ كلمة هؤلاء لدى يزيد، وغيره من الحكام.

فإذا أضفنا إلى ذلك: أن النعمان بن بشير جبان وضعيف في نفسه، لا يملك من الجرأة ما يجعله يقدم على أمر خطير كهذا، ولاسيما إذا كان يعرف ويرى التأييد الواسع الذي يدل على مدى تعاطف أهل الكوفة مع الإمام الحسين «عليه السلام»، وجميع من يأتيهم من قبله.

صعوبة انكشاف أمر مسلم:

والسياسة التي انتهجها مسلم بأمر من الإمام الحسين «عليه السلام» كانت حكيمة، وكان مسلم دقيقاً في تطبيقها، حتى إن ابن زياد

ومعرفة الثقات ج٢ ص٤٥٤ والثقات لابن حبان ج٤ ص٣٨٦ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٢٩٧ وأسد الغابة ج٤ ص٣٣٦ وتهذيب الكمال ج٣٥ ص٢١٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٥٤٤ وتهذيب التهذيب ج١٢ ص٣٨١ وأنساب الأشراف ج٥ ص٦٠٢ وج٦ ص٣٧٧ وج٩ ص٤٥٠ وج١٠ ص٣٩٥ والمعارف لابن قتيبة ص١٨٦ وعيون الأخبار ج٤ ص٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٤٤٢ والكامل في التاريخ ج٢ ص٥٢٦ وج٤ ص١٦٩ وج٥ ص١٢٦ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص٦١ والوافي بالوفيات ج١٦ ص١٨٩ والبداية والنهاية ج٦ ص٢٦٥ وج٧ ص٨٥.

حين قدم الكوفة لم يستطع اكتشاف مكان مسلم بسهولة، حتى توسل لذلك بحيلة خبيثة حين دس رجلاً اسمه معقل، تظاهر بأنه من الشيعة في قصة سيأتي تفصيلها في موضعها الطبيعي إن شاء الله.

دخول مسلم دار شريك:

ما تقدم من أن مسلم بن عقيل قد نزل على شريك بن الأعور الحارثي موضع ريب، لأن هذا الرجل كان من رؤساء الأخماس في البصرة، وكان هو على خمس العالية، وهو إنما قدم الكوفة مع ابن زياد، فمرض، فنزل دار هاني بن عروة أياماً، وقد عاده ابن زياد فيها، وستأتي قصة محاولة دفع مسلم لقتل ابن زياد في بيت هاني، وامتناع مسلم من ذلك، وقوله: الإسلام قيد الفتك.

وقد مات شريك بعد وصوله إلى الكوفة بعد عيادة عبيد الله بن زياد له بثلاثة أيام(١).. فلو كان لشريك دار في الكوفة، فلماذا نزل في دار هاني؟!

غير أن ابن كثير يقول: إن عبيد الله بن زياد عاد شريك بن الأعور في دار شريك، فأرسل شريك إلى هاني أن يبعث إليه مسلماً

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٤٢ ـ ٤٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١ و ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٧٠ و ٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ و ٢٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٢ و ٣٣ والأخبار الطوال ص٢٣٤ و ٢٣٥ وأنساب الأشراف ج٢ ص٧٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٨ و ٤٣٩.

ليقتل عبيد الله(١).

ولا نعلم من أين أخذ ابن كثير روايته هذه، غير أنا نقول:

إن نزول مسلم في دار صاحبها غائب عنها، يبقى غير مألوف، أو غير مستساغ في كثير من الأحيان.

لا تكفي البيعة:

وذكر النص المتقدم ما قاله عابس بن أبي شبيب الشاكري، وما قاله حبيب بن مظاهر، وسعيد الحنفي في تأييده.

ثم ما قاله محمد بن بشير في جواب الحجاج بن علي.

ونحب أن نسجل على هذا وذاك ما يلي:

أولاً: يبدو: أن عابس بن شبيب قد رأى بكاء الناس كلما قرأ عليهم مسلم كتاب الحسين «عليه السلام» إليهم، وكان في الكتاب: أن مطلوب الإمام «عليه السلام» هو أن يعرف مسلم له حقيقة أمرهم، ويكتب به إليه.. فخشي أن يؤثر هذا المشهد العاطفي في مسلم، ويعتبره دليلاً على اتساق الأمور، واستعداد النفوس للتضحية والفداء، وتلبية لكل ما يطلب منهم، فسارع عابس إلى تحذير مسلم من التسرع في اتخاذ القرار، ولفت نظره إلى أن عليه أن لا يصدر حكماً عاماً يشمل جميع الناس، استناداً إلى هذا الهيجان العاطفي الذي يراه.. وأن

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤ و ١٦٥.

لا يكتفي بما يراه ممن حضر في الاستدلال على حال من غاب، ولأجل ذلك قال: «لا أخبرك عن الناس».

ثانياً: ثم ترقى عابس في البيان ليقول له: إن ما يراه من فورة عاطفية لدى الحاضرين لا يمكن الاعتماد عليه في استكشاف أحوالهم ونواياهم أنفسهم، ولذلك قال: «ولا أعلم ما في أنفسهم». وكأنه يلمح إلى أن فيهم المخلص، الصادق، وغير الصادق..

ثالثاً: ثم تقدم خطوة أخرى ليقول: إنه حتى بالنسبة لصادقي النية من هؤلاء ومن غيرهم، لا يمكن ضمان استمرارهم على هذه الحال.. فلعلهم إذا عضتهم الحرب بأنيابها وواجهتهم بشدائدها، يجبنون، ويتراجعون، وقد تحلو الدنيا في أعينهم أكثر، فينكثون ويغدرون، ويبيعون، ويشترون.

ولأجل ذلك قال عابس: «وما أغرك منهم».

ولعل منهم من كان يظن أن دوره ينتهي بالبيعة التي يعطيها. فإذا بايع يكون قد أدى قسطه للعلى.

رابعاً: أنه قد لفت النظر إلى أن المطلوب من مسلم هو أن لا يصدر حكماً عاماً، بل عليه أن يختبر أحوال الأفراد عن قرب، وأن يُحْكِمَ الأمور معهم، ويأخذ العهود والمواثيق منهم بصورة مباشرة، ولأجل ذلك بادر هو إلى الإعراب عن نفسه، وأفصح عن نيته، وقدم تعهداته.

خامساً: ولعل عابساً أراد أيضاً أن يشير إلى أنه يعرف، أو

يحتمل أن يكون من بين هؤلاء الذين يبكون من له طمع بالدنيا. وهو يسعى للحصول على بعض حطامها، ولعله لأجل ذلك ختم كلامه بقوله معرِّضاً بهؤلاء: «لا أريد بذلك إلا ما عند الله».

وقد صدقت الأحداث اللاحقة في الكوفة ما قاله عابس «رضوان الله تعالى عليه». ومن جملة شواهد ذلك ما تقدم، من أن محمد بن بشير قد صرح في هذا الموقف بما يدل على صحة كلام عابس، حين قال: «إن كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت لأحب أن أقتل، وكرهت أن أكذب».

وكأنه يرى أن النصر يتحقق بالبيعة أو بالبكاء من دون أن يكلفه شيئاً!

بذلوا الأموال فلم يقبلها مسلم:

وتقدم: أن أهل الكوفة بذلوا الأموال لمسلم، فلم يقبل منها شيئاً.

ولعله «عليه السلام»: أراد أن يفهمهم بهذا الرفض أنه لا يريد منهم أموالاً، بل يريد منهم إخلاصاً وصدقاً في النوايا، وجهاداً في سبيل الله، وإعزازاً للدين، ودفاعاً عن المستضعفين.

وماذا يصنع مسلم بالأموال؟! هل يريدها لشراء ضمائر الرجال؟! أو يريدها لاستئجار مقاتلين يقاتلون عن غير عقيدة وامتناع؟! إنه لا يمكن أن يفعل هذا ولا ذاك، فهو لا يريد مقاتلين، بل يريد مجاهدين في سبيل الله، أتقياء أبراراً، ومخلصين أحراراً.

المختار في خدمة القضية:

قال التستري: «وكان مسلم بن عقيل نزل أولاً في وروده الكوفة عليه (أي على المختار)، فدعا الناس إلى بيعته، وخرج إلى القرى لأخذ البيعة؛ وجعل مسلم بينه وبين المختار ميعاداً لخروجه، وإنما خرج مسلم قبل ميعاده لأخذ ابن زياد هانياً وحبسه؛ فرجع المختار في ميعاده وقد كان مسلم قتل، فأخذه ابن زياد وحبسه»(١).

ويقول الطبري: «فقال له ابن زياد: أنت المقبل في الجموع لتنصر ابن عقيل؟!

فقال: لم أفعل، ولكني أقبلت ونزلت تحت راية عمرو بن حريث، وبت معه، وأصبحت.

فقال عمرو بن حريث: صدق.

فرفع عبيد الله القضيب فاعترض به وجه المختار فخبط به عينه فشترها وقال: أولى لك! أما والله! لولا شهادة عمرو لك لضربت عنقك. إنطلقوا به إلى السجن.

فلم يزل في السجن حتى قتل الحسين»(٢).

ونقول:

(١) قاموس الرجال ج١٠ ص١١ .

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٧٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٤١ و ٤٤٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٧٠.

١ ـ إذا كان مسلم بن عقيل قد نزل في دار المختار بأمر من الإمام، فهي شهادة منه «عليه السلام» للمختار بالأوثقية بين أهل الكوفة.

وإن كان مسلم هو الذي اختار النزول في داره، فهذا تطبيق منه «رحمه الله» لقول الإمام «عليه السلام»: فإذا دخلتها، فانزل عند أوثق أهلها(١). وهذه شهادة من مسلم للمختار بذلك أيضاً. فإذا كان الحسين «عليه السلام» قد اعتمد على تشخيص الأوثق من بين أهل الكوفة، فهي شهادة منه «عليه السلام» بصوابية تشخيص مسلم أيضاً. وكلاهما في صالح المختار.

٢ ـ يبدو لنا: أن الإمام «عليه السلام» قد حدد لمسلم إسم هاني بن عروة، للنزول عنده، ليكون هذا المنزل موضع خلوته واختفائه، ومبيته السري في أكثر الأحيان. لاسيما بملاحظة ما سيأتي، من أنهم يقولون: إن مسلماً حين لجأ إلى هاني، بعد مجيء ابن زياد أدخله دار نسائه، وأفرد له ناحية منها(٢).

ثم أمره «عليه السلام» أن يختار منزل أوثق أهل الكوفة ليكون موضع لقائه بالناس، وأخذ البيعة منهم.

فاختار مسلم أولاً دار المختار، للأسباب التي ذكرناها، وبعد ذلك

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٦.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٣٣ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩١.

صار يتواجد في بيوت مختلفة، ويعطي مواعيد اللقاء فيها، ليعمي الأخبار على السلطة.

٤ ـ أظهر النص المتقدم: أن اختيار بيت المختار كان في غاية الأهمية فقد رأينا:

أولاً: أن المختار قد بادر إلى دعوة الناس إلى بيعة مسلم في الكوفة.

ثانياً: إنه «رحمه الله» قد تولى دعوة أهل الأرياف، وأخذ البيعة منهم.

ثالثاً: إن مسلماً قد حدد موعد الخروج، واتفق مع المختار عليه، ولكن حبس ابن زياد لهاني بن عروة حتَّم على مسلم التحرك قبل الموعد الذي حدده للمختار، فاستشهد مسلم، وجاء المختار على الموعد، فوقع في فخ ابن زياد كما تقدم.

رابعاً: إن المختار قد رجع في الموعد، ومعه جموع من الأنصار الراغبين بالمشاركة، ونصرة مسلم.

خامساً: إن نفس الإتيان بهذه الجموع في هذا الظرف الحساس الذي كان فيه ابن زياد يتوقع وصول الحسين «عليه السلام» إلى الكوفة، كان مثار تساؤل وموجباً للريب بالنسبة لابن زياد.

وما تذرع به المختار لم يستطع أن يدفع هذا الريب، بل هو قد استبطن إقراراً من المختار بجمعه الجموع، ولكنه يدعي أنها ليست جموعاً مناوئة لابن زياد، بل هي موالية له، والشاهد على ذلك أنه

نزل بجموعه تلك تحت راية ابن حريث، وبات معه حتى أصبح..

والظاهر: أن ابن زياد كان يجمع المقاتلين، وقد عقد الرايات للقادة ومنهم ابن حريث، فكأن المختار ادَّعى لابن زياد أنه جمع الجموع ليقاتل معهم، لا مع مسلم أو الحسين «عليهما السلام».

سادساً: إن ابن زياد وإن كان لم يقتنع بما قاله المختار.. لكن شهادة ابن حريث أحرجته وضايقته، وأصبح عاجزاً عن الفتك بالمختار، ولاسيما إذا تدخل ابن عمر لدى يزيد، فأراد أن ينفس عن حقده بأن بادر إلى اعتراض وجه المختار بالقضيب، فشتر عينه.

سابعاً: ثم احتاط ابن زياد للأمر، بأن أودع المختار السجن، فبقي فيه إلى أن استشهد الحسين «عليه السلام»، فأمره يزيد بإطلاقه لوساطة زوج أخته، عبد الله بن عمر، كما تقدم.

عدد المبايعين لمسلم:

اختلفت الروايات في عدد من بايع مسلماً «رحمه الله» من أهل الكوفة، وذلك كما يلي:

١ ـ بايعه إثنا عشر ألفاً(١).

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦٠ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ و

٢ ـ ثمانية عشر ألفاً(١).

٤٢٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ و (ط دار الفكر سنة ١٤٠٤هـ) ج٢ ص٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ والإصابة ج٢ ص٦٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٠ و ٤١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٩٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٧٠ وينابيع المودة ج٣ ص٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ والصواعق المحرقة ص١٩٦ وتاريخ الكوفة ص٢٩٢ وعن تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤١ وعن الأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ وعن الحدائق الوردية ج١ ص١١٥ ومروج الذهب ج٣ ص٦٤ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص٥٤.

(١) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ والملهوف ص١٠٨ و (أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ص٢٥ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٧ ومروج الذهب ج٣ ص٦٤ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص٥٤ بلفظ قيل. وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٥ و ٢٨١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٣٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٣ وإمتاع الأسماع ج٥ ص٣٦٣ و ٣٦٤ ومثير الأحزان ص٣٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢١ وعمدة الطالب ص١٩١ و ١٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص٤١ و ٥١ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٩ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ والأخبار الطوال ص٤٣ وروضة الواعظين ص١٩١ و ١٩٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٣ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ والدر النظيم ص٥٤٢ وسير أعلام النبلاء

٣ ـ نيف وعشرون ألفاً(١).

٤ ـ خمسة وعشرون ألفاً(٢).

٥ ـ أكثر من ثلاثين ألفاً(٣).

٦ ـ إنهم أربعون ألفاً(٤).

ونقول:

ج٣ ص٢٩٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٥ و ٣٣٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٥ وقاموس الرجال ج١٠ ص٦٧ وموسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص٥٨.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٠ و ٤٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠٠ فما بعدها.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٣.

(٣) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٤ و (ط٢ بمصر سنة ١٣٤٦هـ) ج٢ ص١٣٤ والمحاسن والمساوئ ص٦٠ والمحن ص١٤٤ وجواهر المطالب ج٢ ص٢٦٥ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٥ .

(٤) عن الشهيد مسلم للسيد عبد الرزاق المقرم ص١٠٥. والظاهر: أنه أخذه من قول الناس لابن زياد حين دخل الكوفة، وظنوا أنه الحسين: «إنَّا معك أكثر من أربعين ألفاً». راجع: مثير الأحزان لابن نما ص٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠.

لاحظ ما يلي:

أولاً: ذكر القول الأخير: رقم أربعين ألفاً، لكننا نقول: إن النص الذي يذكر هذا الرقم لا يدل إلا على أنهم معه، ولا يدل على بيعتهم لمسلم(١).

ثانياً: إن مسلم بن عقيل قد صرح في الكتاب الذي أرسله من الكوفة إلى الإمام الحسين «عليه السلام»: بأن الذين بايعوه كانوا ثمانية عشر ألفاً..

ولكن هذا لا يعني أن تكون سائر الأرقام المشار إليها في الأقوال المتقدمة أعلاه مكذوبة، فلعل الذين بايعوه في بداية الأمر كانوا إثني عشر ألفاً، وذلك قبل الانتقال من دار المختار إلى دار هاني بن عروة، ثم زاد عددهم حتى بلغوا ثمانية عشر ألفاً، فكتب إلى الإمام «عليه السلام» بذلك. ولعل عددهم قد زاد بعد تلك الرسالة إلى نيف وعشرين، أو خمس وعشرين، ثم إلى أكثر من ثلاثين ألفاً.

ثالثاً: بالنسبة للقولين الثالث والرابع: أن عدد المبايعين لمسلم كان نيفاً وعشرين ألفاً، أو خمسة وعشرين ألفاً نقول:

قالوا في معنى النيف: إن كل ما زاد على العقد فهو نيف إلى أن يبلغ العقد الثاني(٢). فيحتمل على هذا أن يكون القولان الثالث والرابع

---

(١) راجع الهامش السابق.

(٢) راجع: أقرب الموارد ج٢ ص١٣٦٠ والصحاح للجوهري ج٤ ص١٤٣٧ ولسان العرب ج٩ ص٣٤٢ ومختار الصحاح ص٣٥١ والرياض النضرة

قولاً واحداً.

وقال أبو العباس: ما حصلنا من أقوال حذاق البصريين والكوفيين: أن النيف من واحد إلى ثلاثة، والبضع من أربع إلى تسع. ولا يقال نيف إلا بعد عقد، يقال: عشرة ونيف، ومائة ونيف، وألف ونيف(١).

فعلى هذا القول في معنى كلمة «نيف» يكون القولان الثالث والرابع قولين مختلفين.

ثالثاً: احتمل بعضهم: أن يكون القول بالإثني عشر ألفاً، والقول بالثمانية عشر ألفاً هما القولان اللذان يمكن اعتمادهما. دون غيرهما من الأقوال، فإنها قد تكون جاءت على سبيل التقريب والتخمين، نظراً إلى أن مصادرها قليلة(٢).

ونقول:

إن من المعلوم: أن قلة المصادر وكثرتها ليست معياراً لكون القول واقعياً، أو تخمينياً تقريبياً.. ولاسيما مع التصريح: بأن الناس

ج٣ ص٤٥ وعمدة القاري ج١٧ ص٨٢ وحاشية رد المحتار ج١ ص٩٦ والحدائق الناضرة ج١٢ ص٨٥ .

(١) أقرب الموارد ج٢ ص١٣٦٠ والمصباح المنير للفيومي ج٢ ص٦٣١ وشرح أدب الكاتب للجواليقي ص١٦٣ ومجمع البحرين ج٥ ص١٢٧ والحدائق الناضرة ج١٢ ص٨٥ .

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦٦.

استمروا على التردد على مسلم في بيت هاني بن عروة، والبيعة للحسين «عليه السلام». ومع قولهم: إن كتاب مسلم إلى الحسين «عليه السلام» كان قبل أن يقتل لسبع وعشرين ليلة[(١)]، وهي مدة طويلة تكفي لزيادة العدد عن الثمانية عشر ألفاً إلى أكثر من ثلاثين ألفاً.

رابعاً: ذكرت بعض المصادر: أن أهل الكوفة كتبوا للحسين «عليه السلام»: «إن لك ها هنا مئة ألف سيف فلا تتأخر»[(٢)].

قال بعض الإخوة: «هذا الكلام لا يدل على أن جميع هؤلاء قد بايعوه بعد وصول مسلم إلى الكوفة. بل من الممكن أن يشير إلى المقاتلين المتواجدين في الكوفة. أو أنه مبالغة في تعبير المحبين

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٠ والإرشاد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ ولواعج الأشجان ص٧٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٣ والمجالس الفاخرة ص٢١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٣٥ عن مصادر كثيرة.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ ولواعج الأشجان ص٣٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ والمجالس الفاخرة ص٢١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧٠.

للإمام، لترغيبه في القدوم إلى الكوفة»[١].

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦٦.

الفصل الثالث:

استبدال والي الكوفة..

للتمهيد والبيان:

هناك نصوص كثيرة تتحدث عن عزل يزيد للنعمان بن بشير عن الكوفة، وتولية عبيد الله بن زياد «لعنه الله» عليها، بالإضافة إلى البصرة. ونحن هنا لن نفيض في عرض تلك النصوص، والمقارنة بينها، وذكر ما اختلفت فيه وما اتفقت عليه.. بل سنقتصر على ذكر ما هو ضروري منها، ومحاولة تلخيص سائرها..

ولكننا نلفت نظر القارئ الكريم إلى أن هذه النصوص حافلة بالدلائل القاطعة على ظلم وبغي الطغمة الحاكمة. وشدة انحرافها، وإمعانها في الصد عن الحق، وإيغالها في الضلال، وفي الحرب على الدين وأهل الدين. وأنه لا يصدهم شيء عن قتل الأولياء والأوصياء، وحتى الأنبياء، إذا وجدوا فيهم عائقاً لهم عن نيل شهواتهم.

غير أننا سنحاول التوقف عند بعض الأمور التي نرى ضرورة للتوقف عندها، وستكون وقفات تراعي مقدار الحاجة، فنقول:

النعمان بن بشير ونشاطات مسلم:

وقد ذكروا: أن النعمان بن بشير حين بلغه أمر مسلم، واجتماع الشيعة عليه خرج من قصر الإمارة مغضباً، ودخل المسجد الأعظم،

فنادى في الناس، فاجتمعوا إليه، فخطبهم(١).

لكن ابن كثير ادعى: أنه لما انتشر خبر مسلم، ومن بايعه خبَّره رجل بذلك، فجعل يضرب عن ذلك صفحاً، ولا يعبأ به(٢).

وكأنه يريد تأكيد ما زعمه أبو حنيفة الدينوري، من أنه «كان يحب العافية، ويغتنم السلامة»(٣).

بل إن ابن قتيبة زعم: أن النعمان لما علم بقدوم مسلم قال: لَابن بنت رسول الله أحب إلينا من ابن بحدل(٤).

وفي الطبري: أن النعمان «كان حليماً، ناسكاً، يحب العافية»(٥).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٤ و ٣٥ وراجع: مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٧ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٥ وقاموس الرجال ج١٠ ص٣٧٥ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٧١ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٧.

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٣.

(٣) الأخبار الطوال ص٢٣١.

(٤) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨.

(٥) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٦ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٧ شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٧١.

ونقول:

١ ـ يلاحظ: أن ثمة حرصاً على تبييض صفحة النعمان بن بشير قدر الإمكان. ولعله يشبه حرصهم على إبعاد يزيد عن محيط الجريمة قدر الإمكان، وإلقاء ثقل المسؤولية على عاتق عبيد الله بن زياد، والشمر، وعمر بن سعد بصورة أو بأخرى..

٢ ـ لعل السبب في محاولتهم تبرئة يزيد، أو صرف الأنظار عنه إلى غيره أنه هو الخليفة بنظرهم. وللخليفة حرمته ومقامه، وماء وجهه الذي يريدون أن يحفظوه له. وسيأتي الكلام حول هذه المحاولات في الموضع المناسب إن شاء الله تعالى..

٣ ـ أما بالنسبة للنعمان، فلعل سبب سعيهم لتبرئة ساحته، ولو بادعاء أنه ضعيف، أو يتضعف. أنه كان هو ومسلمة بن مخلد من صغار الصحابة، الذين كان معاوية يتجمل بهما، مقابل مئات الصحابة الأبرار والأخيار، والعبَّاد، والعلماء الكبار الذين كانوا مع أمير المؤمنين «عليه السلام» في حروب الجمل، وصفين، والنهروان.

وقد استشهدت ثلة كبيرة منهم في هذه الحروب، على يد الناكثين، والقاسطين، والمارقين.

ولأن الحسين هو أقدس البشر في زمانه، فإن قتله «عليه السلام» بتلك الصورة المفجعة لم يكن قابلاً للاحتمال لدى مختلف فئات الأمة. فكانت مشاركة النعمان بن بشير في قتله، أو مشاركته في قتل من هو مثل مسلم بن عقيل في غاية البشاعة، فاحتاجوا إلى تلطيف حال

النعمان، وحفظ بعض ماء الوجه له بالادعاءات المذكورة آنفاً.

لماذا أحجم النعمان عن المواجهة؟!:

بقي أن نشير إلى سبب إحجام النعمان بن بشير عن مواجهة مسلم، فنقول: لعل سببها:

أولاً: الجبن عن المواجهة، لأنه يعلم أن تعاطف الكوفيين مع الحسين «عليه السلام» كان كبيراً جداً. وشاهد ذلك: بيعة عشرات الألوف لمسلم في فترة وجيزة جداً، بل إن مسلماً قد كتب للحسين «عليه السلام»: «إن الناس كلهم معك»(١)، أو فإن جميع الناس معك(٢).

ولم يكن النعمان ليجرؤ على مواجهة جميع أهل الكوفة.

ثانياً: إن النعمان كان يرى في يزيد طيشاً ونزقاً، ورعونة، وأن أباه معاوية كان أبعد منه نظراً، وأمضى حيلة، وألطف مكيدة..

وكان يعرف أن سياسة معاوية هي أن يتحاشى الصدام المعلن مع الحسن والحسين «عليهما السلام»، لأنه يعلم أنهما أقدس البشر عند

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨١ ومثير الأحزان لابن نما ص٣٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥١ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٦٢ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤١.

(٢) الأخبار الطوال ص٢٤٣.

الناس. فكان يسعى لإرضائهما في الظاهر، ويبغي لهما الغوائل في الباطن. فإذا أمكنته الفرصة، وأمن الرقباء، فإنه يورد ضربته، ويبادر إلى ارتكاب جريمته.

وعملاً بهذه السياسة قبل بكل الشروط التي فرضها عليه الحسن «عليه السلام» في ما يسمى بالصلح..

وقد ذكر النعمان هذا الأمر ليزيد نفسه، حين سأله يزيد «لعنه الله»: كيف رأيت ما فعل عبيد الله بن زياد؟!

فقال النعمان: الحرب دول.

فقال يزيد: الحمد لله الذي قتله.

قال النعمان: قد كان أمير المؤمنين ـ يعني معاوية ـ يكره قتله(١).

فالنعمان إذن.. لم يكن حليماً ولا ناسكاً، بل كان جباناً ماكراً..

والنعمان هذا قد حارب علياً «عليه السلام» في الجمل وصفين، وقد نفذ بعض الغارات على أطراف علي «عليه السلام» في العراق. وهو الذي أخذ أصابع نائلة التي قطعت، ونائلة هي زوجة عثمان، وأخذ أيضاً قميص عثمان، وهرب إلى معاوية في الشام..

وقد ولاه معاوية على حمص، ثم الكوفة، وتولى الكوفة أيضاً ليزيد «لعنه الله»، ثم صار زبيرياً في عهد مروان، ومن يتولى ليزيد، ولمعاوية، ويحارب وصي النبي «صلى الله عليه وآله» كيف يكون

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٥٩ و ٦٠.

ناسكاً؟!.

عيون يزيد يكتبون إليه:

وكتب عبد الله (أو عبيد الله) بن مسلم بن شعبة الحضرمي ليزيد يخبره بالحال، ويطلب منه أن يولي الكوفة رجلاً ينفذ أمره، ويعمل مثل عمله في عدوه. وهو أول من كتب إليه، ثم كتب إليه عمارة بن عقبة، ثم كتب إليه عمر بن سعد بمثل ذلك(١).

وأضاف البلاذري إلى عمر بن سعد محمد بن الأشعث الكندي(٢).

وعند الدينوري: كتب إلى يزيد مسلم بن سعيد الحضرمي،

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٦٩ و ٧٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٦ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٤ و ٢٦٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٢ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٥ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٨ والأخبار الطوال ص٢٣١ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٣ والإرشاد للمفيد ٢٠٤ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٤١ و ٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ والدر النظيم ص٥٤٢ والمجالس الفاخرة ص١٩٢ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢.

(٢) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٥ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٧.

وعمارة بن الوليد بن عقبة(١).

وعند ابن طاووس: كتب إليه عبد الله بن مسلم الباهلي، وعمارة بن الوليد، وعمر بن سعد(٢). ولا يهمنا تحقيق ذلك.. فلعل الجميع كتب إليه، وقد ذكر كل واحد ما بلغه.

مشورة سرجون النصراني:

وكان لمعاوية مولى نصراني إسمه سرجون، وكان كاتبه، وعاملاً له على الأموال، ونديماً ليزيد على شرب الخمر..

فلما اجتمعت الكتب عند يزيد دعا سرجون هذا، وسأله عن رأيه في من يستعمله على الكوفة، فأشار عليه بتولية عبيد الله بن زياد على الكوفة، كما هو عامله على البصرة(٣).

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣١ وراجع: شرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٤٩.

(٢) الملهوف ص١٠٩ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ص٢٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٦ و ٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٥ و ٢٥٨ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ والإرشاد ج٢ ص٤٢ وروضة الواعظين ص١٩٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٣ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٢ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٦ والإصابة ج٢ ص٧٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩٠ والحدائق الوردية

ويقال: إنه أخرج إليه عهداً زعم له أنه من أبيه معاوية، كتبه لعبيد الله بن زياد على الكوفة، وأن معاوية مات وقد أمر بهذا الكتاب، وكان ختمه عليه.

بل إن بعض هذه النصوص يقول: إنه استشار أهل الشام، فأشاروا عليه بابن زياد وأظهروا له عهد معاوية بتوليته(١). فأخذ بهذا الرأي، وكتب إليه بعهده على الكوفة، بالإضافة إلى البصرة.

كتاب يزيد إلى ابن زياد:

وقالوا: كتب يزيد إلى عبيد الله بن زياد أن يقتل مسلماً إن وجده، مشدداً عليه في ذلك(٢).

ج١ ص١١٥ عن الإمام السجاد «عليه السلام»، والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٦ وقاموس الرجال ج١١ ص١١٤ وأنساب الأشراف ج٥ ص٣٧٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٤١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢ و ٢٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٢ والدر النظيم ص٥٤٢ و ٥٤٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٨ وإبصار العين ص٨٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨.

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ وجواهر المطالب ج٢ ص٢٦٥ عن القاسم بن سلام، والمحن ص١٤٤ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٦ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٥ والمحاسن والمساوي ص٥٩ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٨ وتهذيب

وفي بعض النصوص: أمره بقتله، أو بعثه إليه[١].

وفي نص آخر: أمر بنفيه إذا ظفر به، أو قتله، وأن يتيقظ في أمر الحسين[٢].

وثمة نص يقول: إنه كتب إليه: «سر حين تقرأ كتابي هذا، حتى تأتي أهل الكوفة، فتطلب ابن عقيل كطلب الخرزة حتى تثقفه، فتوثقه، أو تقتله، أو تنفيه»[٣].

الكمال ج٦ ص٤٢٣ وتجارب الأمم ج٢ ص٤١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ والملهوف ص١٠٩ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٢.

(١) الثقات لابن حبان ج٢ ص٣٠٧ وشرح الأخبار ج٣ ص١٤٧ وراجع: تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٣ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦١٤ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣٠٢ ومختصر تاريخ دمشق ج٧ ص١٤٥.

(٢) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٥ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٨ وراجع المختصر لأبي الفداء ج١ ص١٨٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٣ والأخبار الطوال ص٢٣١.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٧ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٥ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٧٤ عنه، والإرشاد ص٢٠٦ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٤٢ و ٤٣ وروضة الواعظين ص١٩٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٦

لكن الخوارزمي يقول: إنه كتب إليه: «فإذا ظفرت به فخذ بيعته، أو اقتله إن لم يبايع»(١).

لكن ابن سعد يقول: إن يزيد إنما كتب لعبيد الله بن زياد، لأنه خاف أن لا يقدم النعمان على الحسين «عليه السلام»(٢).

ابن زياد والي الكوفة:

فلما وصل الكتاب إلى ابن زياد أمر بالجهاز، للمسير إلى الكوفة من الغد، ثم استخلف على البصرة أخاه عثمان بن زياد، وأقبل إلى الكوفة، ومعه مسلم بن عمرو الباهلي.

[وعند ابن أعثم: والمنذر بن الجارود] وشريك بن الأعور الحارثي، وحشمه وأهل بيته، فلما قاربها نزل حتى أمسى، فدخلها ليلاً وهو معتجر بعمامة سوداء [غبراء]، وهو متلثم.

وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٧ والأخبار الطوال ص٢٣١ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٣ ولواعج الأشجان ص٣٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠ وتاريخ الكوفة ص٣٢٦ .

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٨.

(٢) ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩.

وأخذ بيده قضيباً، وتقلد سيفه، وتوشح قوسه، وتكنن كنانته، واستوى على بغلته الشهباء، فأخذ لا يمر بجماعة إلا ظنوا أنه الحسين «عليه السلام»، فيسلم عليهم، فيقولون: عليك السلام يا ابن بنت رسول الله، فساءه ذلك، وامتلأ غضباً وغيظاً، فسار حتى دخل القصر(١).

وفي نص آخر: أنه دخل الكوفة من جهة البادية في زي أهل الحجاز، وأنه أوهم الناس أنه الحسين، فصاروا يرحبون به ويخاطبونه على أنه الحسين، وكشف أحوالهم وهو ساكت(٢).

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٦ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٨ ص١٦٤ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٣ وروضة الواعظين ص١٩٢ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٤ وراجع: الملهوف ص١١٤ و (ط أنوار الهدى سنة ١٤١٧هـ) ٢٩ ومثير الأحزان لابن نما ص٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٠ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٦ وإبصار العين ص٨٠.

(٢) مطالب السؤول ص٧٤ و (تحقيق ماجد ابن أحمد العطية) ص٣٩٥ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩٠ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٣ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢٥٤ ولواعج الأشجان ص٤٣.

ويقولون أيضاً: لما وصل قصر الإمارة وجد النعمان قد أغلقه، وتحصن فيه هو وأصحابه، ظناً منهم أيضاً أنه الحسين «عليه السلام»، فصاح بهم ابن زياد، فعرفوا صوته، ففتحوا له(١).

ودخل الكوفة مما يلي النجف(٢)، وذلك في ليلة مقمرة(٣).

وعن أبي جعفر الباقر «عليه السلام» أن عبيد الله قدم في وجوه أهل البصرة(٤).

---

(١) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩١ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٣ و ٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٠ وحياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٣٥٨ وإبصار العين ص٨٠ ولواعج الأشجان ص٤٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤.

(٢) مثير الأحزان ص٣٠ و (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٦٩هـ) ص١٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ ومقتل الحسين للمقرم ص١٦٥ ولواعج الأشجان ص٤٣ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٨ و ٣٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٩.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٨٢ عنه، وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ والإصابة

لكن ابن سعد يقول: إن الذين ظنوا أن عبيد الله بن زياد هو الحسين «عليه السلام» هم السفلة وأهل السوق، وأنهم جعلوا يقبلون يده، ورجله. وأنه مضى حتى دخل المسجد فصلى ركعتين(١).

وذكر المسعودي: أنه لما وصل إلى القصر أشرف عليه النعمان بن بشير، وقال: يا ابن رسول الله ما لي ولك، وما حملك على قصد بلدي من بين البلدان.

فلما كلّمه عبيد الله، وَحَسَرَ اللّثام عن وجهه، عرفه النعمان، ففتح له، فحَصَبَه الناس بالحصباء، ففاتهم ودخل القصر(٢).

وقيل: إن الذين جاؤوا معه من البصرة كانوا خمس مئة، وأنه لما وصل إلى القصر كان معه الخلق يصيحون، فلما عرفوه تفرقوا عنه(٣).

ج٢ ص٧٠ وتذكرة الخواص ص٢٤١ والأمالي لابن الشجري ج١ ص١٩٠ والحدائق الوردية ج١ ص١١٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٤١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨.

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٥٩ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٨٣.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٦٦.

(٣) الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٩ و ٣٩٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٨ و ٣٥٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٧

لكن هناك نص آخر يقول: وإنما معه بضعة عشر رجلاً[١].

ونقول:

إننا نسجل على النصوص المتقدمة ملاحظات يسيرة، هي التالية:

دهاء معاوية:

إشتهر معاوية بالدهاء، فيظن بعض الناس أن دهاءه ينم عن بعد نظر، وعن تخطيط عميق، وعن استشراف للأمور، وما إلى ذلك..

ولكننا نرى: أنه لم يكن بالمستوى الذي يظن فيه، بل هو مجرد رجل يغدر ويمكر، ويقدم ويتراجع، ويتملص ويتخلص، ويغتنم الفرص، ويعالج الحالات التي تواجهه بما يتناسب مع إمكاناته وقدراته الفعلية. وبما يلبي حاجاته الحاضرة، ويحفظ له ما في يديه، فإذا أمن العواقب، ووجد القدرة يبطش بالضعيف، وإذا خاف تظاهر بالحلم والأناة، واتجه نحو الخديعة، والمكر والغدر، ولأنه لا يملك روادع دينية أو وجدانية، فإن مكره وغدره يكون فاحشاً وموحشاً..

و ٢٦٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٨ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٣ و ٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ و ٣٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ص١٩٠ ولواعج الأشجان ص٤٤.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٧ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤.

وقد قال أمير المؤمنين «عليه السلام» مشيراً إلى عدم كون الغادر، واللئيم الماكر فهيماً، وبعيد النظر: «إن الوفاء توأم الصدق، ولا أعلم جنة أوقى منه. ولا يغدر من علم كيف المرجع.

ولقد أصبحنا في زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيساً، ونسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيلة.

ما لهم قاتلهم الله!! قد يرى الحول القلب وجه الحيلة، ودونه مانع من أمر الله ونهيه، فيدعها رأي عين، بعد القدرة عليها، وينتهز فرصتها من لا حريجة له في الدين»(١).

ولأن شيمة معاوية المكر والغدر، يصبح واضحاً مسار سياساته، ومآل ممارساته، وهو يفسر لنا قتله الأبرار من صحابة الرسول «صلى الله عليه وآله»، بما فيهم عمار بن ياسر في صفين، ثم قتل عمرو بن الحمق، وحجر بن عدي، وأصحابه صبراً وغدراً، وقتل غيرهم بالغدر، أو بدس السم إليهم، كما فعل بالأشتر، وآخرين..

وهو حين خاف من المساس المعلن بالإمام الحسن «عليه السلام»

---

(١) راجع: نهج البلاغة (بشرح عبده) ج١ ص١٨٨ و (نشر دار الذخائر سنة ١٤١٢هـ) ج١ ص٩٢ وخصائص الأئمة ص٩٨ ومستدرك الوسائل ج١١ ص٤٧ وشرح نهج البلاغة لابن ميثم ج٢ ص١٠٤ وبحار الأنوار ج٣٤ ص١٠٢ وج٧٢ ص٩٧ وج٧٤ ص٣٣٥ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٢ ص٣١٢ ومطالب السؤول ص٢٩٠ و ٢٩١ والتذكرة الحمدونية ج٣ ص١٠ وربيع الأبرار ج٥ ص٣٠٠.

لمعرفته بعواقب ذلك، انصاع لكل شروط الإمام الحسن «عليه السلام» بالرغم من شدة حساسيتها، معتمداً على سياسة المكابرة، ونكث العهود، ونقض الشروط والغدر العملي، ثم دس السم إلى الإمام الحسن «عليه السلام» حين أمكنته الفرصة.

وكان يتابع نفس هذه السياسة مع الإمام الحسين «عليه السلام»، فقد آثر أن يتجنب الصدام المعلن معه، لعلمه بعواقب ذلك عليه.. كما تقدم أن النعمان بن بشير قال ليزيد عن معاوية: «قد كان أمير المؤمنين يكره قتله»(١). ولكنه قد وقع في التناقض المرير والخطير حين مهد السبيل لولده يزيد ليتولى هو قتل الحسين «عليه السلام»، فقد قال للإمام الحسين «عليه السلام»:

«ولكنني ظننت ـ يا ابن أخي ـ أن في رأسك نزوة. وبودي أن يكون ذلك في زماني، فأعرف لك قدرك، وأتجاوز عن ذلك. ولكنني ـ والله ـ أتخوف من أن تبلى بمن لا ينظرك فواق ناقة»(٢).

ويبدو: أن معاوية يريد بكلامه هذا أن يجعل منها توطئة وتمهيداً

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ج٢ ص٥٩ و ٦٠.

(٢) شرح نهج البلاغة ج١٨ ص٤٠٩ والفوائد الرجالية ج٤ ص٤٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٦٦ عن الوثائق السياسية والإدارية للعصر الأموي (ط مؤسسة الرسالة) ص١٥٣ وراجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٤١٤ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٠٧ ووفيات الأعيان ج٦ ص٣٥٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٥ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٥٤ و ٥٥.

لولده يزيد، حيث إنه بكلامه هذا إنما يعلم الناس: أن ما سيجري على الحسين من يزيد سببه الإمام الحسين نفسه.

وها نحن نرى أنه في حين يقول في وصيته ليزيد: ولن يتركه أهل العراق حتى يخرجوه، فإن خرج وظفرت به فاصفح عنه، فإن له رحماً ماسة، وحقاً عظيماً، وقرابة من محمد(١).

نعم، إنه في حين يعلن أنه لا يرغب في الصدام العلني مع الإمام الحسين «عليه السلام» ويوصي ابنه بذلك، فإنه يدبر في الخفاء لهذا الصدام، ويحدد الشخص الذي يتولاه، ويكتب له عهده على الكوفة حين تحين ساعة التنفيذ.

وربما يكون قد أوهم نفسه بأن تولي ابن زياد لهذا الأمر سوف يبقى يزيد في منأى عن المؤاخذة، أو يخفف من حدة ردَّة الفعل ضده.

وهذا نوع من السذاجة في فهم الأمور، والتدبير للأحداث، ومن القصور في فهم عواقبها، وما ينشأ عنها، ومحدودية القدرة على استشراف المستقبل.

كما أن توليته ولده يزيد الذي قتل أقدس الناس، وضربه الكعبة بالمنجنيق، وفتكه بأهل المدينة، وإباحتها لجيشه ثلاثة أيام من أوضح

---

(١) الكامل في التاريخ ج٤ ص٦ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٦٦ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص١٨٨ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٣٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٣٧ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٠ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٢٣.

الشواهد على ما ذكرناه.

ومعاوية أعرف الناس برعونة ولده، وبخصائصه الإجرامية. فكانت توليته له هي السبب في انحسار الهيمنة والنفوذ السفياني، ثم المرواني، وسقوط حكومة الأمويين نهائياً بعد ذلك.

قدم في وجوه أهل البصرة:

تقدم عن الطبري: أن عبيد الله بن زياد قدم الكوفة «وإنما معه بضعة عشر رجلاً..».

ونحن لا نميل إلى قبول هذه الرواية، فإن ابن زياد هو ابن رجل ظلم أهل الكوفة وآذاهم بما لا مزيد عليه حين تولى بلدهم، والكوفة بلد كبير، كان يسعى للتخلص من الحكم الأموي، الذي أذاق الكوفيين الأمرَّين، دونما ذنب اقترفوه، سوى ميل أكثرهم إلى علي بن أبي طالب، وأهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة..

وقد وجد أهل هذا البلد الفرصة سانحة الآن، وانتعش لديهم الأمل بأن يتولى الإمام الحسين «عليه السلام» الأمور، ويخلصهم من أولئك الجبابرة الطغاة..

وقد شرعوا في الإعداد والاستعداد لهذا الحدث الكبير والخطير. بعد قدوم مسلم بن عقيل بلدهم، لاستطلاع الأمور، وتهيئة الأسباب، وفقاً لما يظهر له..

وقد أعطى عشرات الألوف بيعتهم لمسلم «رحمه الله»، وهم يعيشون في أجواء مفعمة بالعاطفة، جياشة بالأحاسيس، زاخرة

بالحركة والحيوية في كل اتجاه.

وبملاحظة ذلك كله.. فإن ابن زياد إنما يقدم على بلد معادٍ له، وقد صدقت ذلك الوقائع التي عاينها من أهل الكوفة حين دخل بلدهم. فقد حصبوه بالحصى، على باب القصر، ولكنه أفلت منهم. ورأى وسمع منهم ما كرهه وأثار غضبه، وغيظه..

وعلى ذلك، فإن دخوله الكوفة، ومعه بضعة عشر رجلاً سيكون مغامرة.. ولاسيما إذا كانت هناك خشية من تدبير احترازي من قبل شيعة الكوفة، لا مبرر لها، ورصد لتحركات عدوهم، وبث للعيون ظاهرة أو خفية لمراقبة الوافدين إلى الكوفة، والظاعنين عنها.

وعلينا أن لا نستسلم للوهم الذي يقول: إن الطغاة والجبابرة لديهم من الشجاعة ما لا تستبعد معه أمثال هذه التصرفات، لأننا نعرف أن ظلم الظالمين، وطغيان الجبارين دليل ضعفهم في أنفسهم، وضعفهم هذا هو الذي يدفعهم إلى توظيف ما توفر لديهم من قدرات وإمكانات في تدمير قدرات الطرف الآخر الذي يخافون صولته. فهم يستفيدون من قدرات مكتسبة، لا من قدرات أو شجاعة ذاتية. وقد روي قول الإمام «عليه السلام»: وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف. وسيأتي أيضاً: أن الحسن البصري يصف ابن زياد بأنه جبان.

وبذلك يظهر: أن طبيعة الأمور تقضي بأن يكون ابن زياد قد اتخذ كل الإحتياطات والإجراءات التي تضمن سلامة وصوله إلى موضع أمنه في الكوفة.

وبذلك تكون الرواية التي تقول: إن ابن زياد قد اصطحب معه خمس مئة رجل من أهل البصرة هي الأرجح، والأولى بالقبول.. لاسيما بملاحظة الرواية التي عن الإمام الباقر «عليه السلام»، وفيها: أنه قدم مع ابن زياد وجوه أهل البصرة.

ولعلهم هم الذين عنتهم رواية الطبري المصرحة بأنهم كانوا بضعة عشر رجلاً..

ومن المعلوم: أن الوجيه والرئيس إذا أراد السفر، ولاسيما إلى مناطق بعيدة لا يسافر وحده، بل يصطحب معه أشخاصاً كثيرين لكي يعينوه في مأكله ومشربه، وحله وترحاله، ويحفظوا له الدواب التي يستفيد منها، ويحرسونه إذا نام، ليدفعوا عنه إذا واجه عدواً، أو أي شيء يخيفه، وما إلى ذلك.

فإذا كان الرؤساء والوجهاء مع ابن زياد، وكانوا بضعة عشر رجلاً، فهم يحتاجون إلى عشرات آخرين يساعدونهم، وإلى مقاتلين متمرسين يحرسونهم، ويدافعون عنهم إذا واجههم عدو قد كمن لهم.

الأمر الذي أصدره يزيد تجاه مسلم:

يلاحظ: أن ثمة اضطراباً في نص الكتاب الذي أرسله يزيد لابن زياد بخصوص تعامله مع مسلم، فهل أمره بقتله فقط؟!

أو خيره بين أن يقتله، أو يبعثه إليه؟!

أو خيره بين قتله ونفيه؟!

أو خيره بين أن يوثقه أو يقتله، أو ينفيه؟!

أو خيره بين أن يأخذ بيعته، أو يقتله إن لم يبايع؟!

ولا علاج لهذا الاضطراب إلا باتهام المؤرخين والرواة بأنهم: إما لم يطلعوا على النص، وهذا بعيد.. أو أنهم عرفوا المضمون، ولكنهم أرادوا التلاعب به. بهدف إلقاء معظم المسؤولية على ابن زياد، باعتبار أن يزيد لم يحتم قتل مسلم، بل ترك الأمر إلى ابن زياد ليفعل ما يفرضه واقع الحال عنده. فالتبعة في قتل مسلم تقع على ابن زياد بالدرجة الأولى.. ولعل هذا الاحتمال هو الأرجح.

السفلة، وأهل السوق:

تقدم: أن ابن سعد يدعي: أن الذين ظنوا أن ابن زياد هو الإمام الحسين «عليه السلام» هم السفلة، وأهل السوق.

وهذا كلام غير ظاهر الوجه، فقد تقدم: أن ابن زياد قد تنكر وتزيَّا بزي أهل الحجاز، وأنه أوهم الناس أنه الحسين «عليه السلام»، وقد أكد ذلك أنه دخل الكوفة من جهة النجف المطلة على البادية، وأن هدفه من ذلك هو أن يكشف حال الناس، وقد انخدع بهذا المظهر حتى النعمان بن بشير ومن معه في القصر، وإنما عرفوه من صوته حين كلمهم، ورأوه حين حسر اللثام عن وجهه.

فما بال هؤلاء يصفون شيعة علي بالكوفة بالأوصاف المنفرة، ككونهم سفلة، وما إلى ذلك.. هل كان ذنبهم عند هؤلاء المؤرخين هو تشيعهم، وحبهم للحسين وأهل البيت «عليهم السلام»، حتى إنهم

صاروا يقبلون يد ابن زياد ورجله لظنهم أنه الحسين؟!

أو أنهم استحقوا التوصيف بالسفلة، لأنهم لما عرفوه حصبوه بالحصى فأفلت منهم ودخل القصر؟!

تساقطوا في الطريق:

وقالوا:

إنه لَمّا جاءَ كِتابُ يَزيدَ إلى عُبَيدِ اللهِ بن زيادٍ انتَخَبَ مِن أهلِ البَصرَةِ خَمسَمِئَةٍ، فيهم عَبدُ اللهِ بنُ الحارِثِ بنُ نَوفَلٍ، وشَريكُ بنُ الأعوَرِ ـ وكانَ شيعَةً لِعَلِيٍّ ـ فَكانَ أوَّلَ مَن سَقَطَ بِالنّاسِ شَريكٌ، فَيُقالُ: إنَّهُ تَساقَطَ غَمرَةً(١)، ومَعَهُ ناسٌ.

ثُمَّ سَقَطَ عَبدُ اللهِ بنُ الحارِثِ وسَقَطَ مَعَهُ ناسٌ، ورَجَوا أن يَلوِيَ(٢) عَلَيهم عُبَيدُ اللهِ، ويَسبِقَهُ الحُسَينُ «عليه السلام» إلى الكوفَةِ، فَجَعَلَ لا يَلتَفِتُ إلى مَن سَقَطَ، ويَمضي، حَتّى وَرَدَ القادِسِيَّةَ.

وسَقَطَ مِهرانُ مَولاهُ. فَقالَ: أيا مِهرانُ! عَلى هذِهِ الحالِ، إن أمسَكتُ عَنكَ حَتّى تَنظُرَ إلَى القَصرِ فَلَكَ مِئَةُ ألفٍ.

قالَ: لا وَاللهِ ما أستَطيعُ!

---

(١) الغَمرَة: الشدّة، وغمرةُ كلّ شيءٍ: منهمكه وشدّته، كغمرة الهمّ والموت ونحوهما (لسان العرب: ج٥ ص٢٩ «غمر»).

(٢) لوى عليه: إذا عطف وعرج (النهاية: ج٤ ص٢٧٩ «لوا»).

فَنَزَلَ عُبَيدُ اللهِ، فَأَخرجَ ثِياباً مُقَطَّعَةً مِن مُقطَّعاتِ(١) اليَمَنِ، ثُمَّ اعتَجَرَ(٢) بِمِعجَرَةٍ يَمانِيَّةٍ، فَرَكِبَ بَغلَتَهُ ثُمَّ انحَدَرَ راجِلاً وَحدَهُ، فَجَعَلَ يَمُرُّ بِالمَحارِس، فَكُلَّما نَظَروا إلَيهِ لَم يَشُكّوا أنَّهُ الحُسَينُ «عليه السلام»، فَيَقولونَ: مَرحَباً بِكَ يَا بنَ رَسولِ اللهِ، وجَعَلَ لا يُكَلِّمُهُم.

وخَرَجَ إلَيهِ النّاسُ مِن دورِهِم وبُيوتِهِم.

وسَمِعَ بِهِمُ النّعمانُ بنُ بَشيرٍ، فَغَلَّقَ عَلَيهِ وعَلى خاصَّتِهِ، وَانتَهى إلَيهِ عُبَيدُ اللهِ وهُوَ لا يَشُكُّ أنَّهُ الحُسَينُ عليه السلام، ومَعَهُ الخَلقُ يَضُجّونَ، فَكَلَّمَهُ النُّعمانُ، فَقالَ: أنشُدُكَ اللهَ إلّا تَنَحَّيتَ عَنّي، ما أنَا بِمُسَلِّمٍ إلَيكَ أمانَتي، وما لي في قَتلِكَ مِن إربٍ(٣)، فَجَعَلَ لا يُكَلِّمُهُ.

ثُمَّ إنَّهُ دَنا، وتَدَلَّى الآخَرُ بَينَ شُرفَتَينِ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُهُ، فَقالَ: اِفتَح لا فَتَحتَ! فَقَد طالَ لَيلُكَ.

فَسَمِعَها إنسانٌ خَلفَهُ، فَتَكَفّى إلَى القَومِ، فَقالَ: أي قَومُ، ابنُ مَرجانَة وَالَّذي لا إلهَ غَيرُهُ!

فَقالوا: وَيحَكَ! إنَّما هُوَ الحُسَينُ «عليه السلام».

فَفَتَحَ لَهُ النُّعمانُ فَدَخَلَ، وضَرَبُوا البابَ في وُجوهِ النّاسِ فَانفَضّوا،

---

(١) مُقَطَّعاتٌ: أي ثيابٌ قِصار؛ لأنّها قُطِعت عن بُلوغ التمام. وقيل: المُقَطَّعُ من الثياب: كلّ ما يُفصّل ويُخاط من قميص وغيره (النهاية: ج٤ ص٨١ «قطع»).

(٢) الاعتجار: لَفُّ العمامة (القاموس المحيط ج٥ ص٨٥ «عجر»).

(٣) الإرب: الحاجة (لسان العرب: ج١ ص٢٠٨ «أرب»).

وأصبَحَ فَجَلَسَ عَلَى المِنبَرِ. فَقالَ: أيُّهَا النّاسُ! إنّي لَأَعلَمُ أنَّهُ قَد سارَ مَعي، وأظهَرَ الطّاعَةَ لي مَن هُوَ عَدُوٌّ لِلحُسَينِ، حينَ ظَنَّ أنَّ الحُسَينَ قَد دَخَلَ البَلَدَ، وغَلَبَ عَلَيهِ. وَاللهِ ما عَرَفتُ مِنكُم أحَداً، ثُمَّ نَزَلَ(١).

ونقول:

لا مجال للأخذ بهذا النص، غير أننا نقول ما يلي:

هل هذا ضعف؟!:

ذكر هذا النص: أن شريك بن الأعور ـ وكان من شيعة علي «عليه السلام» ـ قد تساقط في الطريق ومعه ناس. وتساقط أيضاً عبد الله بن الحارث، وسقط معه ناس، وزعموا: أن هدفهم من هذا التساقط هو التسبب بإبطاء حركة ابن زياد نحو الكوفة، ليسبقه الإمام الحسين «عليه السلام» إليها.

غير أننا لا نرى أن هذا هو السبب في تساقط هؤلاء، إذ لا شيء يدل على معرفتهم بتاريخ حركة الحسين «عليه السلام» من مكة.. بل من الثابت أنه كان لا يزال في مكة، وإنما تحرك منها نحو الكوفة يوم

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٨٠ و ٨١ عن: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٨ والإرشاد ج٢ ص٤٣ نحوه، وليس فيه صدره إلى «النعمان بن بشير»، وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٩.

التروية. أي بعد وصول ابن زياد إلى الكوفة بمدة طويلة تقارب الشهر، وتزيد عليه. ومن المعلوم: أن مسلماً قتل بعد يوم أو يومين من تحرك الحسين من مكة. وقيل: يوم رحيل الحسين «عليه السلام» من مكة.. كما عليه أكثر المؤرخين.

ولا تستقيم دعوى سعي شريك وغيره لتأخير زمان ورود ابن زياد الكوفة، لكي يكون الحسين هو الذي يردها قبله، ويمسك بزمام الأمور فيها، إلا إذا كان شريك، ومن معه يعلمون بأن الحسين «عليه السلام» قريب من الكوفة، كقرب ابن زياد منها.

نعود فنقول:

إن مسيره «عليه السلام» من مكة قد بدأ يوم التروية. أي في الثامن من ذي الحجة، بعد وصول ابن زياد إلى الكوفة بحوالي شهر، لأنه إنما وصلها ابن زياد في العاشر من شهر ذي القعدة. أي قبل أن يقتل مسلم بحوالي شهر كما يفهم من بعض النصوص[1].

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٤ و ٣٩٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٣٥ عنه، وعن: أنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٧ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨١ والإرشاد ج٢ ص٧٠ ومثير الأحزان ص٤٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٩ وراجع: تذكرة الخواصّ ص٢٤٥ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٥ وروضة الواعظين ص١٩٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٦ والعوالم، الإمام

فهل يستطيع ابن زياد أن يتأخر عن دخول الكوفة، ويبقى في الطريق منتظراً راحة أصحابه مدة شهرين؟!

وهل يحتاج أصحابه المتساقطون لعودة النشاط إليهم إلى كل هذا الزمان الطويل؟!.

ولاسيما مع حرص ابن زياد على الوصول إلى الكوفة، ولو على جناح طائر، ولأجل هذا كان مسير ابن زياد بمن معه عنيفاً، ولم يتمكنوا من مجاراته فيه، فلم يلتفت إليهم، ولم يهتم بأمرهم.

هل دخل ابن زياد الكوفة وحده؟!

وزعمت الرواية: أن ابن زياد، ركب بغلته، ثم انحدر راجلاً وحده، فجعل يمر بالمحارس، فيقولون: مرحباً بك يا ابن رسول الله.

ونقول:

أولاً: إن الحديث عن دخول ابن زياد الكوفة وحده ضرب من الخيال.. كيف! وهي بلد عرف بكثرة الموالين فيه للحسين «عليه السلام»، وقد بايع عشرات الألوف من أهلها له على يد مسلم بن عقيل، لاسيما مع كون أبيه زياد قد سامهم في أيام ولايته لهم الخسف،

الحسين ج١٧ ص٢٢٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٢ وينابيع المودة ج٣ ص٦١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٢ وإبصار العين ص١١٣ والمجالس الفاخرة ص٢١٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٠٤ وج٢٧ ص١٥٨ و ١٦٠ و ١٦٣.

ولم يرقب فيهم إلًّا ولا ذمة، إلا إن كان الرواة يريدون أن يمنحوا هذا المجرم أوسمة شجاعة كاذبة، بدافع من مشاعر الغضب لديهم، ولغير ذلك من أسباب.

مع أن هذه الأوسمة سوف يفتضح أمرها حين تقرأ قول الحسن البصري فيه: إنه كان جباناً(١).

ثانياً: إذا كان ابن زياد وحده، وقد خرج إليه أهل الكوفة من دورهم وبيوتهم، وجاء معه الخلق وهم يضجون، كما تصرح به الرواية نفسها، فما بالهم لم يبطشوا به حين عرفوه؟! وكيف لم يتعلقوا به قبل أن يدخل القصر، وليس معه أحد يدفعهم عنه، ويساعده على الإفلات؟!

ثالثاً: إذا كان ابن زياد قد دخل الكوفة وحده، كيف لا يتساءل الناس عن مرافقيه في سفره؟! وهل يعقل أن يأتي إنسان من مكة (ولو كان الحسين)، أو من البصرة إن كان ابن زياد، ـ هل يمكن أن يأتي وحده؟! وكيف أمن من أخطار هذا السفر؟! وأين هي رواحله، التي تحمل له زاده؟! وأين هم أعوانه؟!

تدلى بين شرفتين:

ونشير أيضاً إلى ما يلي:

١ ـ إننا لم نعرف السبب في إقدام النعمان بن بشير على التدلي

---

(١) الآحاد والمثاني ج٢ ص٣٢٧ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٧ ص٤٤٦.

بين شرفتين ليسمع ما يقوله ابن زياد، وكان يمكنه أن يطلب من بعض أتباعه أن يتدلى عوضاً عنه، ويسمع كلام ابن زياد، ويرجع إليه، ويخبره به؟!

٢ ـ ومع غض النظر عن ذلك، إذا كان الخلق قد اجتمعوا على ابن زياد، وجاؤوا معه إلى باب القصر، كيف لم يسمع كلمته التي قالها للنعمان سوى رجل واحد من جميع هذا الخلق؟! أم يعقل أن يكونوا قد تركوه يتقدم وحده ليكلم النعمان ويكون هذا الرجل قد تسلل خلفه بغير علم منه ومنهم؟!

٣ ـ وإذا كان الأمر كذلك، فلماذا سمع ذلك الرجل ـ فقط ـ ما قاله ابن زياد، ولم يسمعه الذين كانوا معه وفي موازاته؟!

٤ ـ والأهم من ذلك كله: أن هذه الرواية تقول: إن الإنسان الذي سمع كلام ابن زياد للنعمان قد انكفأ إلى الخلف، وقال: «أي قَومُ، ابنُ مَرجانَةَ وَالَّذي لا إلهَ غَيرُهُ!». فمن أين علم أنه ابن مرجانة، فإن كلمة ابن زياد: «اِفتَح لا فَتَحتَ! فَقدَ طالَ لَيلُكَ». لا تدل على ابن مرجانة ولا غيره. فلعله شخص آخر ذو نفوذ، أو صداقة، مرسل في مهمة إلى النعمان بن بشير.

متى تولى ابن زياد الكوفة؟!:

قال سبط ابن الجوزي: «كان يزيد أبغض الناس في عبيد الله بن زياد، وإنما احتاج إليه، فكتب إليه: قد عزلت النعمان، ووليتك الكوفة والبصرة. وبلغني أن الحسين قد سار إلى الكوفة، فاحذر منه، وأن

مسلم بن عقيل في الكوفة فاقتله»(١).

ونقول:

تقدم: أن ابن زياد قد وصل إلى الكوفة والياً عليها من قبل يزيد قبل خروج الإمام الحسين «عليه السلام» من مكة إلى العراق بحوالي شهر أو ربما أكثر، فكيف يكون يزيد قد كتب إليه بولاية الكوفة بعد مسير الحسين إليها؟!

إلا أن يقال: إن الحسين «عليه السلام» من حين خروجه إلى المدينة إلى مكة كان يقصد العراق، لا اليمن ولا أي بلد آخر، وقد يكون مستند يزيد في ذلك هو ما تقدم من تصريحات صدرت من الإمام «عليه السلام» لأم سلمة ولغيرها..

ولكننا قلنا: إن الظاهر: أن هذه التصريحات كانت محصورة في نطاق ضيق، فكيف اطلع عليها يزيد؟!

---

(١) تذكرة الخواص ج٢ ص١٤١.

الفصل الرابع:

هذه هي سياساتهم..

تدابير وإجراءات وسياسات:

وفور وصول ابن زياد إلى الكوفة ارتحل النعمان بن بشير نحو وطنه بالشام(١)، وكأنه لا يريد أن يجاور ابن زياد، ولا أن يعينه في أمره، لاسيما وأن أول كلام سمعه منه لم يكن فيه أي احترام، فقد قال له وهو على باب القصر: افتح لا فتحت(٢).

وفي نص آخر: أن ابن زياد قال لهم: افتحوا لا بارك الله فيكم، ولا كثر أمثالكم(٣).

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣٢.

(٢) الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٨ و ٣٥٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٨ والإرشاد ج٢ ص٤٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٠ ولواعج الأشجان ص٤٤ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٠ وإبصار العين ص٨٠ وراجع أيضاً: البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٥.

(٣) الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩١.

أو قال للنعمان: لقد طال نومك يا نعيم(١).

ولا شك في أن هذا يزعج المتنافسين على الدنيا..

فلا مجال لتوهم أن يكون انصراف النعمان لأجل أن لا يشارك في قتل الحسين، ولا لأنه كان ناسكاً كما يدَّعون.

ثم بادر ابن زياد إلى العمل في عدة اتجاهات، نجملها أولاً، ثم نحاول إلقاء الضوء عليها، وذلك على النحو التالي:

ابن زياد: إغراءات وتهديدات:

ولَمّا أصبَحَ ابنُ زِيادٍ نادى الصَّلاةَ جامِعَةً، وخرج إلَى المَسجِدِ، وخطب الناس، ووعدهم ومناهم إن كانوا مطيعين، وتهدد من يخالفه بالويل والثبور، وعظائم الأمور، ونص خطبته هذه مذكورة في العديد من المصادر، فلتراجع(٢).

---

(١) مروج الذهب ج٣ ص٦٦ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص٥٧ .

(٢) راجع على سبيل المثال: موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٨٨ ـ ٩٠ عن: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٧ وأنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٦ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤ ومقاتل الطالبيّين ص١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٣ و ٦٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠٠ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ والإرشاد ج٢ ص٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٠ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ و ٣٤٠ والملهوف ص١١٤

وفي بعض المصادر: أنه أضاف في آخر خطبته هذه قوله: «فَأَبلِغوا هذا الرَّجُلَ الهاشِمِيَّ مَقالَتي، لِيَتَّقِيَ غَضَبي»(١).

خطبهم أيضاً في اليوم الثاني، وتوعدهم قائلاً: «..وأن آخُذَ مِنكُمُ البَريءَ بِالسَّقيمِ، وَالشّاهِدَ بِالغائِبِ، وَالوَلِيَّ بِالوَلِيِّ.

قالَ: فَقامَ إلَيهِ رَجُلٌ مِن أهلِ الكوفَةِ، يُقالُ لَهُ: أسَدُ بنُ عَبدِ اللهِ المُرِّيُّ، فَقالَ: أيُّهَا الأَميرُ! إنَّ اللهَ تَبارَكَ وتَعالى يَقولُ: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى)**(٢)، وإنَّمَا المَرءُ بِجَدِّهِ، وَالسَّيفُ بِحَدِّهِ، وَالفَرَسُ بِشَدِّهِ، وعَلَيكَ أن تَقولَ، وعَلَينا أن نَسمَعَ، فَلا تُقَدِّم فينَا السَّيِّئَةَ قَبلَ الحَسَنَةِ.

قالَ: فَسَكَتَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ، ونَزَلَ عَنِ المِنبَرِ، فَدَخَلَ قَصرَ الإِمارَةِ(٣).

ونقول:

والأخبار الطوال ص٢٣٢ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٩ ومثير الأحزان ص٣٠ ولواعج الأشجان ص٤٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٧ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٠ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٧١ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٨.

(١) مثير الأحزان لابن نما ص٣٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٠ ولواعج الأشجان ص٤٤.

(٢) الآية ١٨ من سورة فاطر.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٠.

ما يعنينا من كلام ابن زياد: أنه مجرم يتباهى بجريمته، ولا يخجل من التنويه بها على رؤوس الأشهاد. بالرغم من أن ما يعلنه مناقض لصريح القرآن والسنة، ومخالف لكل القيم والأعراف، لا يمت للمشاعر الإنسانية، والأخلاق الفاضلة بصلة..

وكأنه يعتبر الرذيلة هي الفضيلة، واقتراف الجريمة صك براءة وطهارة منها، وهذا إن دل على شيء، فإنما يدل على انقلاب المفاهيم لدى هذا النوع من الناس، وعلى تبدل أخلاقهم، وحدوث مسخ في أرواحهم، وفي شخصياتهم، فأصبحوا مخلوقات أخرى، لا تشبه الإنسان السوي إلا في الشكل الظاهري. ولأجل ذلك يتوعد ابن زياد الناس بلا خجل بأن يأخذ البريء بالسقيم، والشاهد بالغائب، والولي بالولي.

وقد تنبه أسد بن عبد الله المري إلى هذه المخالفة الصريحة لنص القرآن، واعترض على ابن زياد فيها، فلم يجد ابن زياد له جواباً سوى أنه نزل عن المنبر ودخل القصر.

على أن هذا الرجل لا يدرك أنه قد ناقض نفسه، فهو إذا كان كما يدعي يريد أن يغيث مظلومهم، ويحسن إلى سامعهم ومطيعهم كيف يقول لهم: إنه يأخذ البريء بالسقيم؟! أليس البريء سيكون مظلوماً إذا أخذ بالسقيم. وخصوصاً إذا كان هذا البريء سامعاً مطيعاً، فقد التزم بأن يحسن إليه، فكيف يقول: إنه سوف يأخذه بذنب المجرم؟! وإذا كان الشاهد سامعاً مطيعاً فكيف يأخذ بذنب الغائب؟!

يزيد لم يأمر بهذا:

وزعم ابن زياد في خطبته في مسجد الكوفة: أن يزيد أمره بقسم فيئهم فيهم، وإنصاف مظلومهم، وأخذ الحق من قويهم لضعيفهم وغير ذلك. مع أن مراجعة رسالة يزيد إليه ـ على اختلاف نصوصها ـ ليس فيها شيء من ذلك، فهو يفتري على يزيد في ذلك كله، وإنما أمره بقتل مسلم، وإرسال رأسه إليه، أو نحو ذلك كما قدمنا.

وفي بعض المؤلفات: أنه كتب لابن زياد: «بلغني أنّ أهل الكوفة قد اجتمعوا علي البيعة للحسين، وقد كتبت إليك كتاباً، فاعمل عليه، فإني لا أجد سهماً أرمي به عدوّي أجرأ منك.

فإذا قرأت كتابي هذا فارتحل من وقتك وساعتك، وإيّاك والإبطاء والتواني، واجتهد ولا تبق من نسل عليّ بن أبي طالب أحداً، واطلب مسلم بن عقيل، وابعث إليَّ برأسه»(١).

المسح السكاني:

ثم بدأ ابن زياد باتخاذ إجراءات عملية صارمة، في اتجاهات مختلفة، وكان منها إجراء مسح سكاني شامل ودقيق، يمكّنه من الوصول إلى كل من يريد الوصول إليه من المخالفين والموافقين، فقد قالوا:

---

(١) مقتل الإمام الحسين «عليه السلام» للشيخ محمد رضا الطبسي (مخطوط) ص١٣٧ عن ناسخ التواريخ.

أَخَذَ [ابنُ زيادٍ] العُرَفاءَ وَالنّاسَ أخذاً شَديداً، فَقالَ: اُكتُبوا إلَيَّ الغُرَباءَ، ومَن فيكُم مِن طِلبَةِ أميرِ المُؤمِنينَ، ومَن فيكُم مِنَ الحَرورِيَّةِ وأهلِ الرَّيبِ، الَّذينَ رَأيُهُمُ الخِلافُ وَالشِّقاقُ.

فَمَن كَتَبَهُم لَنا فَبَريءٌ، ومَن لَم يَكتُب لَنا أحَداً فَيَضمَنُ لَنا ما في عَرافَتِهِ ألّا يُخالِفَنا مِنهُم مُخالِفٌ، ولا يَبغي عَلَينا مِنهُم باغٍ، فَمَن لَم يَفعَل بَرِئَت مِنهُ الذِّمَّةُ، وحَلالٌ لَنا مالُهُ وسَفكُ دَمِهِ.

وأيُّما عَريفٍ(١) وُجِدَ في عَرافَتِهِ مِن بُغيَةِ أميرِ المُؤمِنينَ أحَدٌ لَم يَرفَعهُ إلَينا، صُلِبَ عَلى بابِ دارِهِ، واُلقِيَت تِلكَ العَرافَةُ مِنَ العَطاءِ، وسُيِّرَ إلى مَوضِعٍ بِعُمانَ الزّارَةِ(٢).

ونقول:

---

(١) العَريفُ: هو القَيِّم بأمور القبيلة أو الجماعة من الناس. يَلي أُمورهم، ويتعرّف الأمير منه أحوالهم. (النهاية: ج٣ ص٢١٧ «عرف»).

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٤ و ٢٥ والإرشاد ج٢ ص٤٤ و ٤٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩١ ولواعج الأشجان ص٤٥ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٧١ و ٦٧٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٧ وراجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٥٤ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٠ و ٩١ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١.

العرافة والعرفاء:

قد ذكرنا بعض ما يرتبط بالعرافة والعرفاء في كتابنا: الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» ج٢٥ ص٢٠١. وكان النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي يعين العرفاء. والعريف ربما كان للقبيلة، وربما كان للأفراد، شرط أن يكونوا عشرة فما فوق.

وكان في الكوفة مئة عريف.

وكان للناس نقباء وأمناء، وعرفاء، وكفلاء، وحملاء ومن وظائفهم توزيع العطاء على من يكون في دائرة مسؤولياتهم. ويخبرون النبي «صلى الله عليه وآله» بأحوالهم، ويأتونه بآرائهم وبأخبار من يمرض، ومن يموت، ويخبرونه بحضورهم وغيابهم. وربما كلف علي «عليه السلام» العريف بتنفيذ عقوبة قررها في حق بعض من هم في دائرة مسؤوليته، فقد كلف بعضهم بهدم بيت من فر إلى معاوية.

ويلاحظ على النص المتقدم التصريح: بأن ابن زياد:

١ ـ قد أخذ الناس وعرفاءهم أخذاً شديداً.

٢ ـ طلب منهم أن يكتبوا له الغرباء في الكوفة.

٣ ـ طلب منهم أن يكتبوا أسماء المخالفين لحكومة يزيد.

٤ ـ أن يكتبوا له أسماء الخوارج (وهم الحرورية) نسبة إلى موضع قرب الكوفة، يقال له: حروراء.

٥ ـ أن يكتبوا له من يشك في ولائه ليزيد وبني أمية.

٦ ـ قرر ابن زياد أن يكون العريف الذي لم يكتب له بما طلب

ضامناً كل من يكون في نطاق عمله أن لا يكون مخالفاً لهم، ولا يبغي لهم سوءاً.

٧ ـ قرر أن تكون عقوبة من لم يمتثل هذه الأوامر براءة الذمة منه، ويحل لهم ماله، وسفك دمه.

٨ ـ وكل عريف وجد في دائرة عمله من يخالف حكم يزيد، ولم يكن العريف قد دل عليه، وسجل لهم إسمه، فإن جزاء هذا العريف:

ألف: أن يصلب على باب داره.

ب: أن تلغى عرافته من العطاء.

ج: أن ينفى إلى موضع بعمان الزارة. وهي موضع معروف قرب عمان على ساحل الخليج، شديد الحرارة يصعب العيش فيه(١).

وضع العيون، ودس الرجال والكيد:

ثم إن ابن زياد قد وضع العيون لمراقبة تحركات الأشخاص، ودس الرجال، لاستخراج الخفايا، والحصول على معلومات وافية ودقيقة. وبعد أن تمكن من قتل مسلم بن عقيل، وهاني بن عروة كتب إلى يزيد يخبره ويقول:

«أَخبرُ أميرَ المُؤمِنينَ: أنَّ مُسلِمَ بنَ عَقيلٍ لَجَأَ إلى دارِ هانِئِ بنِ عُروَةَ المُرادِيِّ، وأنّي جَعَلتُ عَلَيهِمَا العُيونَ، ودَسَستُ إلَيهِمَا الرِّجالَ،

(١) معجم البلدان ج٤ ص١٥٠.

وكِدتُهُما حَتَّى استَخرَجتُهُما»(١).

ولعله قصد بقوله «كِدتُهُما»: أنه تمكن من استدراج هاني بن عروة بواسطة عمرو بن الحجاج، وآخرين ليأتي إليه، فلما جاءه، واجهه بقصة معقل، وبطش به، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى..

القتل والتنكيل والإحتيال:

وكان القتل والتنكيل سياسة انتهجها ابن زياد منذ اليوم الأول الذي كان فيه في الكوفة، فقد قالوا عنه إنه:

«لما دخل قصر الإمارة، وأصبح، جمع الناس، فصال وجال وقال [فطال] ورعد، وأبرق» ومسك جماعة من أهل الكوفة، فقتلهم في الساعة. [وعند ابن طلحة، والأربلي: وقتل وفتك، وسفك، وانتهك]. ثم إنه تحيَّل عليهم حتى ظفر بمسلم بن عقيل، فمسكه، وقتله»(٢).

ونقول:

قد أشرنا فيما سبق إلى سياسة التهديد والوعيد، وقد أضاف هذا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٥ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج١٨ ص٣٠٦ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥٩ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٢ ص٦٢.

(٢) راجع: الفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩١ و ٧٩٢ ومطالب السؤول ص٧٤ و (بتحقيق ماجد ابن أحمد العطية) ص٣٩٥ وكشف الغمة ج٢ ص٢٥٣.

النص أموراً أخرى هي:

١ ـ المسارعة لارتكاب المجازر وقتل الناس، لبث الرعب في الناس. وسيأتي بعض ما يدل على ذلك.

٢ ـ الفتك بالآمنين، وقتلهم غيلة وغدراً.

٣ ـ انتهاك حرمات الناس وإيذاؤهم بمختلف أنواع الأذى. وما فعله عبيد الله بالمختار، من شتمه، واستعراض وجهه بالقضيب، فشتر عينه، وكذا ما فعله بهاني بن عروة ـ كما سيأتي ـ شاهد صدق على ذلك.

٤ ـ استعمال أساليب المكر والحيلة.

وما جرى لمسلم «عليه السلام».

قد اشتمل على جميع هذه الأمور: القتل والغدر، والفتك، والاحتيال، وهتك الحرمات.

الرشاوى للأشراف:

عن عقبة بن أبي العيزار: قالَ لَهُمُ الحُسَينُ «عليه السلام» حين التقوه وهو في الطريق إلى العراق: أخبروني خَبَرَ النّاسِ وَراءَكُم.

فَقالَ لَهُ مُجَمِّعُ بنُ عَبدِ اللهِ العائِذِيُّ ـ وهُوَ أحَدُ النَّفَرِ الأَربَعَةِ الَّذينَ جاؤوهُ [مِنَ الكوفَةِ] ـ: أمّا أشرافُ النّاسِ فَقَد أُعظِمَت رِشوَتُهُم،

ومُلِئَت غَرائِرُهُم(١)، يُستَمالُ وُدُّهُم، ويُستَخلَصُ بِهِ نَصيحَتُهُم، فَهُم إلبٌ(٢) واحِدٌ عَلَيكَ.

وأمّا سائِرُ النّاس بَعدُ، فَإِنَّ أفئِدَتَهُم تَهوي إلَيكَ، وسُيوفَهُم غَداً مَشهورَةٌ عَلَيكَ(٣).

تنوع مصادر المعلومات:

ونقول:

رأينا في هذا النص: أن الإمام الحسين «عليه السلام» كان مهتماً بمعرفة ما يجري في مجتمع الكوفة، والاطلاع على أحوال الناس، وميولهم وآرائهم.

---

(١) الغِرارة: وعاء يوضع فيه القمح ونحوه، والجمع غرائر (المعجم الوسيط ج٢ ص٦٤٨ «غرّ»).

(٢) إلبٌ واحدٌ: أي جمع واحد ـ بكسر الهمزة، والفتح لغة ـ (المصباح المنير ص١٨ «ألب»).

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٦ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٢١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٨٨ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٢ و (ط دار التعارف سنة ١٣٩٧هـ) ج٣ ص١٧٢ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤٩ والبداية والنهاية ج٨ ص١٧٣ (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨٨ وفيهما «مجمع بن عبد الله العامري» وراجع: مثير الأحزان ص٤٤ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٠ و ٩١ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٥ .

ولم يكن يكتفي بما يكتبه له مبعوثه مسلم بن عقيل. بل كان يريد أن يحصل على ما يريد معرفته من جهات مختلفة، فإن الناس يتفاوتون في درجة اطلاعهم، وقد يختلفون في تفسير الأحداث، وفي الزوايا التي يلاحظها كل مراقب عن الزوايا التي تلفت نظر غيره من المراقبين.

بل ربما اطلع الناس العاديون، من خلال صداقاتهم وحركتهم الإجتماعية على ما لم يطلع عليه الكبار والأعيان..

فلا يصح للقائد أن يقتصر على قناة واحدة، ذات اتجاه واحد، ولا يمكنها التحرك في خارج محيطها بحرية وفعالية..

وإذا كان النبي والإمام في غنى عما عند الناس، ولكنه لا بد أن يقدم الأمثولة والقدوة، والأسوة الحسنة للقيادات غير المعصومة، ويعطي التطبيق العملي الصحيح، والجامع لكل شروط النجاح والفلاح.

المجتمع القبلي:

ومن جهة أخرى، فإن المجتمع الكوفي كان مجتمعاً عشائرياً يتحكم رئيس العشيرة بقرارات عشيرته، ويتحكم فيها، ويفرض رأيه عليها.

فإن كان هذا الرئيس رقيق الدين باع واشترى، حسب أهوائه ومصالحه. ويبقى سائر أفراد القبيلة مرتهنين في مواقفهم له، مسلوبي القرار، والاختيار أيضاً.

ولذلك قال مجمع العائذي للإمام «عليه السلام»: إن من عدا الأشراف من القبائل حتى لو كانت قلوبهم معه، فإن سيوفهم مرهونة بما يقرره رؤساؤهم، فإن أراد الرئيس أن تفتك تلك السيوف به «عليه السلام»، بل وبالأنبياء والأوصياء، فسيكون له ما أراد..

الحصار الخانق:

وكان من أساليب ابن زياد فرض حصار شامل في اتجاهين:

أحدهما: حصار الكوفة نفسها، ووضع الحرس على أفواه الطرق، والسكك والأزقة، ثم تفتيش البيوت. فقد قالوا:

إنه لما فعل عبيد الله بن زياد بهاني بن عروة ما فعل جمع مؤيديه في المسجد وخطبهم، فكان مما قال:

«يا حُصَينَ بنَ نُمَيْر (تَميمٍ)، ثَكِلَتكَ أمُّكَ إن ضاع (صاحَ) بابُ سِكَّةٍ مِن سِكَكِ الكوفَةِ، أو خَرَجَ هذَا الرَّجُلُ ـ يعني مسلم بن عقيل ـ ولَم تأتِني بِهِ، وقَد سَلَّطتُكَ عَلى دورِ أهلِ الكوفَةِ، فَابعَث بِرَاصِدِ على (مُراصِدَةً عَلى أفواهِ) السِّكَكِ، وأصبِح غَداً فَاستَبرِئ (وَاستَبرِ) الدّورَ وجُسَّ خِلالَها، حَتّى تَأتِيَني بِهذَا الرَّجُلِ»[١].

---

(١) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٥٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٥١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٠١ ولواعج الأشجان ص٥٨ والأخبار الطوال ص٢٤٠ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٥٢ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤٧ و ٤٨ ومقاتل الطالبيين

ومن الأساليب التي اتبعها ابن زياد أسلوب الحصار الشامل، ليس فقط للكوفة، بل لسائر المناطق، من خلال قطع الطرق والمسالك التي بين العراق، والحجاز والشام، والبصرة أيضاً، فقد قالوا ما يلي:

١ ـ قال الطبري: «لما بلغ عبيد الله بن زياد إقبال الحسين «عليه السلام» من مكة إلى الكوفة بعث الحصين بن تميم ـ صاحب شرطته ـ [وفي إعلام الورى وروضة الواعظين وعند الدينوري: نمير] حتى نزل القادسية، ونظم الخيل ما بين القادسية إلى خفان(١)، وما بين القادسية إلى القطقطانة(٢)، وإلى لعلع(٣)»(٤).

ص٦٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٥٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٢ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤٠.

(١) خفان: موضع قرب الكوفة يسلكه الحجاج أحياناً. وقيل: فوق القادسية.

(٢) القطقطانة: موضع قرب الكوفة من جهة البرية.

(٣) لعلع: منزل بين البصرة والكوفة، ومنها إلى القادسية ستة أميال.

(٤) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٢ والإرشاد ج٢ ص٦٩ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١٩ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٩ وروضة الواعظين ص١٩٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٧ والمجالس الفاخرة ص٢١٥ و ٢١٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٤ ولواعج الأشجان ص٧٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف الأزدي ص٧١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٢.

وعند أبي حنيفة الدينوري: أن الحصين كان معه في هذه المهمة أربعة آلاف فارس، وأمره أن يقيم بالقادسية إلى القطقطانه، فيمنع من أراد النفوذ من ناحية الكوفة إلى الحجاز، إلا من كان حاجاً أو معتمراً، ومن لا يهتم بممالأة الحسين «عليه السلام»(١).

وعند المفيد: «أمَرَ فَأُخِذَ ما بَينَ واقِصَةَ إلى طَريقِ الشّامِ، إلى طَريقِ البَصرَةِ، فَلا يَدَعونَ أحَداً يَلِجُ ولا أحَداً يَخرُجُ.

وأقبَلَ الحُسَينُ «عليه السلام» لا يَشعُرُ بِشَيءٍ، حَتّى لَقِيَ الأعرابَ فَسَأَلَهُم، فَقالوا: لا وَاللهِ ما نَدري، غَيرَ أنّا لا نَستَطيعُ أن نَلِجَ أو نَخرُجَ! فَسارَ تِلقاءَ وَجهِهِ»(٢).

المراصد والمصابيح:

وقال ابن أعثم: «وعُبيدُ اللهِ بنُ زيادٍ قَد وَضَعَ المَراصِدَ

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٤٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥٠ و ٦٥١.

(٢) الإرشاد للمفيد ج٢ ص٧٢ وروضة الواعظين ص١٩٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧١ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢١ ولواعج الأشجان ص٨١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٤ والمجالس الفاخرة ص٢١٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٢.

وَالمَصابيحَ عَلَى الطُرُق، فَلَيسَ أَحَدٌ يَقدِرُ أن يَجوزَ إلّا قُتِّلَ»(١).

الحبس، والتجويع ووضع الأغلال:

وذكروا أيضاً: أن من الوسائل القمعية التي مارسها ابن زياد: الحبس، والتجويع، وتقييد المحبوسين، ووضع الأغلال في أيديهم وأعناقهم.

فقد قالوا: إن ابن زياد حين قدم الكوفة حبس أربعة آلاف وخمس مئة رجل، ومنهم أبطال وشجعان. وبذلك منعهم من نصر الحسين «عليه السلام»، ومنهم: سليمان بن صرد الخزاعي، وإبراهيم بن مالك الأشتر، وابن صفوان، ويحيى بن عوف، وصعصعة العبدي، وغيرهم. وكانوا مقيدين مغلولين، وكانوا يوماً يطعمون، ويوماً لا يطعمون(٢).

بل قيل: إن ابن زياد اعتقل اثني عشر ألفاً من أهل الكوفة(٣)، ومنهم: سليمان بن صرد، والمختار، وأربع مئة من الوجوه

---

(١) الفتوح لابن اعثم ج٥ ص٨٢.

(٢) الملهوف (أنوار الهدى ـ قم سنة ١٤١٧هـ) ص١٥٣ وتنقيح المقال ج٢ ص٦٣ وراجع: قاموس الرجال ج٥ ص٢٨٠.

(٣) راجع: حياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٤١٦ عن كتاب المختار ومرآة العصر الأموي ص٧٤ و ٧٥.

والأعيان(١).

ونقول:

يبدو لنا: أن أكثر هؤلاء قد سجنوا بعد استشهاد مسلم، وبعد استشهاد الإمام الحسين «عليه السلام».

ويدلنا على ذلك: أن سليمان بن صرد مثلاً كان من التوابيين الذين ندموا على تخلفهم عن نصرة الإمام الحسين «عليه السلام»(٢).

---

(١) راجع: حياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٤١٦ عن الدر المسلوك في أحوال الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك ج١ ص١٠٩.

(٢) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٦٥٠ والطبقات الكبرى لابن سعد ج٤ ص٢٩٢ وج٦ ص٢٥ وتاريخ بغداد ج١ ص٢١٥ و ٢١٦ وأسد الغابة ج٢ ص٣٥١ وتهذيب الكمال ج١١ ص٤٥٦ والأعلام للزركلي ج٣ ص٢٠٢ وج٥ ص٢٧٦ وج٧ ص٢٢٦ والمنتخب من ذيل المذيل ص٢٦ و ٧٣ وقاموس الرجال ج٥ ص٢٨٠ و ٢٨١ وبحار الأنوار ج٤٥ ص٣٥٥ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٥٨٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٤٥١ والكامل في التاريخ ج٤ ص١٥٨ و ١٧٥ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٨٠ و ٢٨١ و ٢٨٦ و ٣١٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص١٧٢ وج٤ ص٢ وتاريخ الكوفة ص٣٤١ والتنبيه والإشراف ص٢٦٩ وتجارب الأمم ج٢ ص١٠٧ و ١٠٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٣٥ و ٤٦ والملهوف ص١٥٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٥٢٧ و ٥٢٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٩٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٣٣ ص٦٥١ وجمهرة خطب العرب ج٢

وهذا يعني: أنه قد تخلف عن نصرته «عليه السلام» مختاراً، وأن حبسه كان بعد استشهاده «عليه السلام».

ويشير إلى ذلك أيضاً قولهم: إن ابن زياد حبس جماعة من الوجوه استيحاشاً منهم، وفيهم: الأصبغ بن نباتة، والحارث الأعور الهمداني(١).

ويبدو لنا أيضاً: أن سجن كثير من الأعيان كان احتياطياً، وكان من بينهم سليمان بن صرد، والمختار وأربع مئة من الوجوه والأعيان(٢).

المكافآت لمن دل على المعارضين:

وذكرت بعض المصادر: أن ابن زياد قد جعل جعلاً للقبض على المختار، وعلى عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، فأتي بهما، فحبسا(٣).

ص٥٨.

(١) مقتل الحسين للمقرم ص١٥٧ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٥٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٩ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٨ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤٣.

(٢) راجع: حياة الإمام الحسين للقرشي ج٢ ص٤١٦ عن الدر المسلوك في أحوال الأنبياء والأوصياء والخلفاء والملوك ص٧٤ و ٧٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٦ ومقتل

وسيأتي: أنه جعل أيضاً جُعلاً للقبض على مسلم «عليه السلام».

صرف الجيوش إلى حرب الحسين ×:

يضاف إلى ما تقدم: أنهم صاروا يجمعون الجيوش من كل جهة، ويجبرون الناس على الالتحاق بالعساكر القاصدين لحرب الحسين «عليه السلام»، وكان ابن زياد إذا وجه الرجل إلى قتال الحسين في الجمع الكثير، يصلون إلى كربلاء، ولم يبق منهم إلا القليل، كانوا يكرهون قتال الحسين، فيرتدعون(١).

وكان هناك أربعة آلاف مقاتل «يريدون الديلم، فصرفهم عبيد الله إلى حسين»(٢).

الأشراف من أدوات التخذيل:

يقول الطبري:

إنه حين حاصر مسلم ابن زياد وأعوانه في القصر: «بَعَثَ عُبَيدُ

الحسين لأبي مخنف ص٦١.

(١) راجع: الأخبار الطوال ص٢٥٤.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ج١٤ ص٢١٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٥ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦١٥ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٥ ص١١ وترجمة الإمام الحسين لابن عساكر ص٣٠٥ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٩ ولواعج الأشجان ص١٠٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٨.

اللهِ إلَى الأشرافِ، فَجَمَعَهُم إلَيهِ، ثُمَّ قالَ: أشرِفوا عَلَى النّاسِ، فَمَنّوا أهلَ الطّاعَةِ الزِّيادَةَ وَالكَرامَةَ، وخَوِّفوا أهلَ المَعصِيَةِ الحِرمانَ وَالعُقوبَةَ، وأعلِموهُم فُصولَ الجُنودِ مِنَ الشّامِ إلَيهِم».

إلى أن قال: قال عَبدِ اللهِ بن خازِم: «أشرَفَ عَلَينَا الأشرافُ، فَتَكَلَّمَ كَثيرُ بنُ شِهابٍ أوَّلَ النّاسِ حَتّى كادَتِ الشَّمسُ أن تَجِبَ، فَقالَ: أيُّهَا النّاسُ! اِلحَقوا بِأهاليكُم (ثم ذكر كلامه الحافل بالتهديد والوعيد، ثم قال:) «وتَكَلَّمَ الأشرافُ بِنَحوٍ مِن كَلامِ هذا، فَلَمّا سَمِعَ مَقالَتَهُمُ النّاسُ أخَذوا يَتَفَرَّقونَ، وأخَذوا يَنصَرِفونَ»(١).

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٠ و ٣٧١ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٩ والعوالم، الإمام الحسين ص١٩٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤٤ و ٤٥ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٩ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٥٣ ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص٧١ ولواعج الأشجان ص٥٤ وراجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٥٠.

الفصل الخامس:

إلى بيت هاني..

مسلم في بيت هاني بن عروة:

١ ـ قال ابن قتيبة: بَلَغَ مُسلِمَ بنَ عَقيلٍ قُدومُ عُبَيدِ اللهِ بن زِيادٍ، وَانصرافِ النُّعمانِ، وما كانَ مِن خُطبَةِ ابنِ زِيادٍ ووَعيدِهِ، فَخافَ عَلى نَفسِهِ. فَخَرَجَ مِنَ الدّارِ الَّتي كانَ فيها بَعدَ عَتَمَةٍ، حَتّى أتى دارَ هانِئِ بنِ وَرَقَة المَذحِجِيِّ، وكانَ مِن أشرافِ أهلِ الكوفَةِ، فَدَخَلَ دارَهُ الخارِجَة، فَأرسَلَ إلَيهِ ـ وكانَ في دارِ نِسائِهِ ـ يَسأَلُهُ الخُروجَ إلَيهِ.

فَخَرَجَ إلَيهِ. وقامَ مُسلِمٌ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ، وقالَ: إنّي أتَيتُكَ لِتُجيرَني وتُضَيِّفَني.

فَقالَ لَهُ هانِئٌ: لَقَد كَلَّفتَني شَطَطاً بِهذَا الأَمرِ، ولَولا دُخولُكَ مَنزِلي لَأَحبَبتُ أن تَنصَرِفَ عَنّي، غَيرَ أنَّهُ قَد لَزِمَني ذِمامٌ لِذلِكَ. فَأَدخَلَهُ دارَ نِسائِهِ، وأفرَدَ لَهُ ناحِيَةً مِنها. وجَعَلَتِ الشّيعَةُ تَختَلِفُ إلَيهِ في دارِ هانِئٍ(١).

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣٣ وراجع حول لجوء مسلم إلى دار هاني: تاريخ الإمم والملوك ج٥ ص٣٦١ و ٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٠ وأنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٦ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٥ ومقاتل الطالبيين ص١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية)

٢ ـ يقول ابن أعثم: إنَ مُسلِم بنُ عَقيلٍ، سَمِعَ بِقُدومِ عُبَيدِ اللهِ بن زِيادٍ وكَلامِهِ [في الطبري: وما أخذ به العرفاء والناس]، فَكَأَنَّهُ اتَّقى عَلى نَفسِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدّارِ الَّتي هُوَ فيها [في الطبري: خرج من دار المختار ـ وقد عُلِمَ به] في جَوفِ اللَّيلِ، حَتّى أتى دارَ هانِئ بن عُروَةَ المَذحِجِيِّ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ فَدَخَلَ عَلَيهِ.

فَلَمّا رَآهُ هانِئٌ قامَ إلَيهِ، وقالَ: ما وَراءَكَ؟ جُعِلتُ فِداكَ!

فَقالَ مُسلِمٌ: وَرائي ما عَلِمتَ، هذا عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ الفاسِقُ ابنُ الفاسِقِ، قَد قَدِمَ الكوفَةَ، فَاتَّقَيتُهُ عَلى نَفسي، وقَد أقبَلتُ إلَيكَ لِتُجيرَني وتُؤوِيَني، حَتّى أنظُرَ إلى ما يَكونُ.

فَقالَ لَهُ هانِئُ بنُ عُروَةَ: جُعِلتُ فِداكَ! وَاللهِ لَقَد كَلَّفتَني شَطَطاً، ولَولا دُخولُكَ داري لَأَحبَبتُ أن تَنصَرِفَ، غَيرَ أنّي أرى ذلِكَ عاراً عَلَيَّ، أن يَكونَ رَجُلٌ أتاني مُستَجيراً، فَانزِل عَلى بَرَكَةِ اللهِ.

ص٦٤ وعن المحبر ص٤٨٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٣ عنهم، وعن: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤١ و ٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٤ والإصابة ج٢ ص٧٠ ومروج الذهب ج٣ ص٦٧ والأمالي لابن الشجري ج١ ص١٩١ والحدائق الوردية ج١ ص١١٥ وعن تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤٢ والملهوف ص١١٤ ومثير الأحزان لابن نما ص٣١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٧ وراجع: قاموس الرجال ج١٠ ص٤٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣١ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩١.

قالَ: فَنَزَلَ مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ في دارِ هانِئٍ المَذحِجِيِّ، وجَعَلَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ يَسأَلُ عَنهُ، فَلَم يَجِد مَن يُرشِدُهُ عَلَيهِ.

وجَعَلَتِ الشّيعَةُ تَختَلِفُ إلى مُسلِمٍ ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في دارِ هانِئٍ، ويُبايِعونَ لِلحُسَينِ «عليه السلام» سِرّاً، ومُسلِمُ بنُ عَقيلٍ يَكتُبُ أسماءَهُم، ويَأخُذُ عَلَيهِمُ العُهودَ وَالمَواثيقَ: لا يَركَنونَ ولا يُعَذِّرونَ.

حَتّى بايَعَ مُسلِمَ بنَ عَقيلٍ نَيِّفٌ وعِشرونَ ألفاً.

قالَ: وهَمَّ مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ أن يَثِبَ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ، فَيَمنَعُهُ هانِئٌ مِن ذلِكَ ويَقولُ: لا تَعجَل! فَإِنَّ العَجَلَةَ لا خَيرَ فيها(١).

٣ ـ وعن أبي عبيد القاسم بن سلام:

بايَعَ مُسلِمَ بنَ عَقيلٍ أكثَرُ مِن ثَلاثينَ ألفاً مِن أهلِ الكوفَةِ، وخَرَجوا مَعَهُ يُريدونَ عُبَيدَ اللهِ بنَ زِيادٍ، فَجَعَلوا كُلَّما انتَهَوا إلى زُقاقٍ انسَلَّ مِنهُم ناسٌ، حَتّى بَقِيَ في شِرذِمَةٍ قَليلَةٍ.

قالَ: فَجَعَلَ النّاسُ يَرمونَهُ بِالآجُرِّ مِن فَوقِ البُيوتِ، فَلَمّا رَأى ذلِكَ دَخَلَ دارَ هانِئِ بنِ عُروَةَ المُرادِيِّ، وكانَ لَهُ شَرَفٌ ورَأيٌ(٢).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٠ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠٠ وراجع المصادر في الهامش السابق.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٦٤ عن المحاسن والمساوئ ص٦٠ عن أبي معشر، والإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ وعن المحن ص١٤٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٦٥ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٥.

ونقول:

قبل متابعة الحديث نود الإشارة إلى بعض الأمور، وذلك كما يلي:

عدد المبايعين:

تقدم: أن مسلماً كتب إلى الحسين «عليه السلام»: إنه قد بايعه ثمانية عشر ألف إنسان، وفي المصادر المتقدمة: أنه بايعه ثلاثون ألفاً، أو نيف وعشرون ألفاً، أو خمسة وعشرون ألفاً، أو ثمانية وعشرون ألفاً، أو اثنا عشر ألفاً.

وقد قلنا: إنه لا مانع من صحة هذه الأرقام كلها، فيكون الذين بايعوه حين كان في دار المختار اثني عشر ألفاً، ثم زاد عددهم في بيت هاني إلى ثمانية عشر ألفاً، فكتب مسلم إلى الحسين «عليه السلام» بالقدوم، ثم زاد عددهم بعد ذلك إلى نيف وعشرين، أو خمس وعشرين، أو ثمان وعشرين، أو ثلاثين ألفاً، أو أكثر.

بل عن الشعبي: بايع الحسين أربعون ألفاً من أهل الكوفة(١).

بل لقد كتب مسلم بن عقيل للحسين «عليه السلام»: فإن الناس كلهم معك، ليس لهم في آل معاوية رأي، ولا هوى(٢).

---

(١) مثير الأحزان لابن نما ص٢٦ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٦ و ١٨٧ ولواعج الأشجان ص٣٨.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨١ ومثير

هاني يكره إجارة مسلم:

ذُكِرَ في النصوص المتقدمة: أن هاني بن عروة كره إجارة مسلم أولاً، ثم رضي بها على مضض، انسياقاً مع الحمية، لأن الأعراف العربية تقبِّح رد المستجير، وتلزم برعاية حق الضيف.

ونحن نشك في صحة هذا الزعم، وذلك لما يلي:

أولاً: تقدم: أن بعض النصوص تقول: إن الإمام الحسين «عليه السلام» حين بعث مسلماً إلى الكوفة أمره أن ينزل عند هاني بن عروة. فلو لم يكن «عليه السلام» واثقاً من رضى هاني بذلك لما أوصى به مسلم بن عقيل.

إلا أن يقال: إن هانياً قد خيب ظن الحسين به.

وهذا كلام غير سديد، مع اعتقادنا بعصمة الإمام الحسين «عليه السلام» عن أي خطأ كان.

ثانياً: ذكرت الرواية المتقدمة: أن هانياً قال لمسلم: لقد كلفتني شططاً. والإمام الحسين «عليه السلام»، وكذلك مسلم لا يقدمان على أمر فيه إحراج للناس، ويكون فيه شطط، وتجاوز لما هو مطلوب..

ولو فرض أن مسلماً تصرف من عند نفسه، وقد غفل عن هذا

الأحزان لابن نما ص٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥١ وإبصار العين ص١٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٦٢ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤١.

الأمر، فكان يجب عليه أن يتلافى هذا الخطأ، وينسحب، ويبحث عن منزل آخر لا يكون في نزوله فيه شطط على أهله، ولا كراهة منهم لنزوله عليهم.

ثالثاً: إن هانياً قد ساعد مسلم بن عقيل في المهمة التي جاء من أجلها، ولم يكتف بمجرد قبوله ضيفاً، ولم يعامله معاملة المجير للمستجير، بل تجاوز ذلك، حيث أخفى موضعه، وأفرد له موضعاً في ناحية من بيت نسائه، وتكتم على شؤونه، حتى لم يستطع عبيد الله كشف موضعه..

كما أنه قد جمع له الرجال والسلاح في الدور حوله..

ولو كانت القضية مجرد التزام بالأعراف العربية في حفظ الضيف، وحماية المستجير، فإن كل ذلك لا يطلب من المجير، والمضيف، بل هو يعلن أن فلاناً في جواره، ثم يلزم ضيفه ومن استجار به بأن يلتزم حدوداً معينة لا يتعداها.

رابعاً: قول هاني لعبيد الله بن زياد: «والله لو كانت رجلي على طفل من أطفال آل محمد (أهل البيت) ما رفعتها حتى تقطع»(١). يدل على أن حبه لأهل البيت «عليهم السلام» هو الذي يدعوه لمواجهة العذاب، والضرب والإهانة والحبس، ثم القتل صبراً في سوق

(١) ينابيع المودة ج٣ ص٥٧ والفوائد الرجالية للسيد بحر العلوم ج٤ ص٣٩.

الغنم(١).

بل إنه قد أعلن عن اعتقاده الصحيح بالإمامة حين قال لابن زياد: «إِنَّهُ جاءَ حَقٌّ، مَنْ هُوَ أحَقُّ مِن حَقِّكَ، وحَقِّ صَاحِبِكَ»(٢).

وحتى لو صح أنه أجار مسلماً في البداية حياءً أو حمية، فإن خاتمته إذا كانت على هذا النحو تكون سعيدة كخاتمة الحر بن يزيد الرياحي الذي جعجع بالإمام الحسين «عليه السلام» في البداية، ثم تاب وأناب، فنال شرف الشهادة في كربلاء.

خامساً: لما بلغ الإمام خبر استشهاد مسلم، وهاني، قال: «إنَّا للهِ وإنَّا إليه رَاجِعون، رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمَا، فرَدَدَ ذلك مِرَاراً»(٣).

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٨ و ٣٧٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٤ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٦٣ و ٦٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٥٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٢ و ٤٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٠٧ و ٢٠٨ والفوائد الرجالية ج٣ ص٢٧ ولواعج الأشجان ص٦٦ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٩ وتاريخ الكوفة ص٣٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥٦ و ٥٧ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦١ وتجارب الأمم ج٢ ص٥٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ والملهوف ص٣٦.

(٢) مروج الذهب ج٣ ص٥٧ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩١ والفوائد الرجالية ج٤ ص٤٢ وراجع: ترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٦.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٧ و ٣٩٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٩

سادساً: قال ابن أعثم: إنهم لما أحضروا هانياً للقتل قال: «إلَى اللهِ المَعادُ والمنقلب، اللّهُمَّ إلى رَحمَتِكَ ورضوانِكَ، اللّهُمَّ اجعَل هذا اليَومَ كَفّارَةً لِذُنوبي، فَإِنّي إنَّما غَضِبْتُ [تَعَصَّبتُ] لابنِ [بِنتِ] نَبيِّكَ مُحَمَّدٍ «صلى الله عليه وآله»..»(١).

سابعاً: إذا كان مسلم قد فهم من كلام هاني كراهته لاستضافته، فإن عزة النفس والإباء يفرضان على مسلم أن لا يكون ضيفاً مكروهاً، ولا ثقيلاً، فإن الله لا يرضى للمؤمن أن يهين نفسه.

ثامناً: إذا كان نزول مسلم على هاني يحمل معه احتمالات خطر كبيرة على حياة هاني وذويه، وعلم مسلم بأن هاني يكره دخوله إلى منزله كضيف، وإنما رضي بذلك انصياعاً للحمية وللأعراف العربية، وليس تقرباً إلى الله. فإذا تعرضت حياة هاني للخطر في هذه الحالة، وقتل، فإنه لا يكون شهيداً. بل يكون قتيلاً.

وليس من الوفاء ولا الإنصاف التسبب بالقتل لمن لا يريده لنفسه.

ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٦.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦١ وراجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٦٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٥٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٠٨ ولواعج الأشجان ص٦٦ والفوائد الرجالية ج٤ ص٢٧ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٤ وتاريخ الكوفة ص٣٣٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٤ وإبصار العين ص١٤٢ والمجالس الفاخرة ص٢٠٦.

كما أن الجهاد لا يمكن فرضه على الناس، بل هو عمل طوعي اختياري، واندفاع وطاعة لله، فإن فقدت هذه المعاني فقد معنى الشهادة أيضاً.

هاني بن ورقة:

وفي النص الذي تقدم نقله عن الأخبار الطوال، قال عن هاني: إنه ابن ورقة المذحجي. ولعله تصحيف من الناسخ، فإن سائر المصادر تقول: إنه ابن عروة.. لا ورقة. علماً بأنني قد نقلت النص عن الأخبار الطوال بواسطة موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام». والله أعلم.

اختلاف النصوص:

وقد ذكرنا في ما سبق ثلاثة نصوص، لم تأت على نسق واحد، بل ظهرت الإختلافات بينها، كما يعلم بالمراجعة والمقارنة. ولكنها اختلافات لا توجب الحكم على أصل الواقعة بالكذب، والوضع.. إذ ليس ثمة ما يدعو إلى الاختلاق في مثل هذا الأمر. ولأن أصل القصة قد توافقت النصوص عليه.

يضاف إلى ذلك: أن بعض هذا الاختلاف إنما هو في زيادات توضيحية، أو في اختصار تعمده الراوي، أو المصنف لأسباب تعنيه. أو لأن الناقل يتحدث عن مرحلة معينة كما هو الحال في الاختلاف في عدد المبايعين كما أوضحناه.

شدة التكتم على مكان مسلم:

وإنه لأمر يستحق الاهتمام والاعتزاز والتقدير: أن يعجز الحاكم، عن معرفة مكان مسلم، بالرغم من كل من معه وما معه من وسائل، وما اتخذه من تدابير وإجراءات، ومع وجود هذا الرصد الدقيق، والمسح السكاني الشامل، وأخذ السكك، وأبواب الدور من قبل جلاوزة الحاكم الغاشم.

مع ملاحظة: أن بيعة أهل الكوفة للحسين «عليه السلام» بواسطة مسلم قد تواصلت بعد مجيء ابن زياد بأعداد كبيرة، تبلغ الألوف، ومن الصعوبة بمكان التكتم على أمر من هذا القبيل، وحركة بهذا الحجم، وهو على أفواه جميع الناس من أهل تلك المدينة الكبيرة.

العجلة لا خير فيها:

وذكرت النصوص المتقدمة وغيرها: أن مسلم بن عقيل همَّ أن يثب إلى عبيد الله بن زياد، لكن هاني بن عروة كان يمنعه من ذلك، ويقول: لا تعجل، فإن العجلة لا خير فيها..

فإن صح هذا، فذلك يعني: أن هاني بن عروة كان يتريث في الأمر، ربما لأنه لم يكن يثق بوفاء أهل الكوفة لمسلم «عليه السلام». ولعله لأجل هذا كان يرجح أن يكون التحرك بعد حضور الإمام الحسين «عليه السلام» نفسه، لأن الناس ينقادون له أكثر مما ينقادون أو يثقون بمسلم، وبحسن تدبيره وتقديره للأمور. كما أن للحسين عظمة وتقديساً خاصاً في النفوس. لا يصل إليه أحد في الأمة في تلك

الفترة.

حديث القاسم بن سلام:

ونشير أخيراً إلى أننا لا نستطيع تأييد صحة ما قاله أبو عبيد القاسم بن سلام، من أن مسلماً خرج في ثلاثين ألفاً، قاصداً ابن زياد، فكان كلما وصل إلى زقاق انسل عنه منهم ناس. حتى بقي في شرذمة قليلة، فصار الناس يرمونه بالآجر من فوق البيوت، فحينئذٍ دخل دار هاني.

فإن دخوله إلى دار هاني كان في أول مجيء عبيد الله بن زياد إلى الكوفة، بل تقدم وسيأتي: أنه كان قبل هذا قد عجز ابن زياد عن تحديد مكانه، حتى احتال على هاني، فقبض عليه، ونكل به، فحينئذٍ خرج مسلم، وحاصر القصر، ثم تفرق عنه جنده، فلجأ إلى بيت طوعة، ثم استشهد في اليوم التالي.

مسلم يكتب للحسين ×:

وبعد انتقال مسلم إلى بيت هاني تواصلت الوفود إليه لأجل البيعة، فلما بلغوا ثمانية عشر ألفاً كتب إلى الإمام الحسين «عليه السلام» يخبره بأنه قد مهد الأمور، وهذا نص رسالته التي أرسلها إليه «عليه السلام» مع عابس بن أبي شبيب الشاكري:

أمّا بَعدُ، فَإنَّ الرّائِدَ لا يَكذِبُ أهلَهُ، وقَد بايَعَني مِن أهلِ الكوفَةِ ثَمانِيَة عَشَرَ ألفاً، فَعَجِّلِ الإقبالَ حينَ يَأتيكَ كِتابي؛ فَإنَّ النّاسَ كُلَّهُم

مَعَكَ، لَيسَ لَهُم في آلِ مُعاوِيَة رَأيٌ ولا هَوىً، وَالسَّلامُ(١).

وكان كتاب مسلم إلى الحسين «عليه السلام» قبل قتل مسلم بسبع وعشرين يوماً(٢).

---

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٦ و ٩٧ و ٣٣٥ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٥ و ٣٩٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨١ ومثير الأحزان ص٣٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢١ والطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج٢ ص٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ والأخبار الطوال ص٢٤٣ والإرشاد ج٢ ص٤١ وروضة الواعظين ج٦ ص٤٢٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ ومروج الذهب ج٣ ص٦٤ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ والحدائق الوردية ج١ ص١١٥ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٢ وراجع: مقتل الحسين لأبي مخنف ص٥١ وإبصار العين ص١٢٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٦٢ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤١ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٤٣.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٤ و ٣٩٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ وأنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٠ والإرشاد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ ولواعج الأشجان ص٧٩ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٣ والمجالس الفاخرة ص٢١٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٣٣٥ عن مصادر كثيرة.

لفت نظر:

إن بعض من أشار إلى رسالة مسلم هذه قد ذكر أنها تضمنت: أن الذين بايعوه كانوا اثني عشر ألفاً(١).

ولعل هذا كان من تصرفات الناقلين، اعتماداً على مرتكز ذهني بسبب سبق هذا الرقم إلى أذهانهم، فظنوا أن الراوي صحَّفه برقم الثمانية عشر، فتبرعوا بتصحيحه.

---

(١) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٨ و ٢٥٩ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٧ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٣ و ٤٢٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ و (ط دار الفكر سنة ١٤٠٤هـ) ج٢ ص٣٠٢ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٦ والإصابة ج٢ ص٦٩ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٠ و ٤١ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٥ والتحفة اللطيفة ج١ ص٢٩٥ والسيرة الحلبية (ط دار المعرفة) ج١ ص٢٧٠ وينابيع المودة ج٣ ص٥٦ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٨ والصواعق المحرقة ص١٩٦ وتاريخ الكوفة ص٢٩٢ وعن تذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤١ وعن الأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ وعن الحدائق الوردية ج١ ص١١٥ ومروج الذهب ج٣ ص٦٤ و (منشورات دار الهجرة سنة ١٤٠٤هـ) ج٣ ص٥٤.

الفصل السادس :

الزائـر المشؤوم..

وتذكر هنا قصة عيادة عبيد الله بن زياد مريضاً كان في المنزل الذي حلَّ فيه مسلم بن عقيل. وقد اختلفت نصوص هذه القصة، ونحن نختار النصوص، ثم نحاول أن نقول فيها بعض ما يتيسر لنا، فنقول:

النصوص على اختلافها:

تحدثت بعض الروايات: أن هاني بن عروة مرض أو تمارض. وبعضها يذكر: أن الذي مرض هو شريك بن الأعور. وفي بعضها جمع بين الإثنين، فعاده عبيد الله بن زياد، وبذلت محاولة مع مسلم ليقتل ابن زياد في هذه المناسبة، فلم يفعل.

وبين روايات هذه القصة اختلاف كما يظهر من ملاحظة النصوص في المصادر، فمثلاً فيما يرتبط بـ:

روايات مرض أو تمارض هاني:

قال ابن قتيبة: إن هاني قال لمسلم: «إنَّ لي مِنِ ابنِ زيادٍ مَكاناً، سَوفَ أتَمارَضُ لَهُ، فَإذا جاءَ يَعودُني، فَاضرِب عُنُقَهُ.

قالَ: فَقيلَ لِابنِ زيادٍ: إنَّ هانِئَ بنَ عُروَةَ شاكٍ يَقيءُ الدَّمَ. قالَ: وشَرِبَ المَغرَةَ (وهو طين أحمر، تصبغ به الثياب) فَجَعَلَ يَقيؤُها. قالَ: فَجاءَ ابنُ

زِيادٍ يَعودُهُ.

وقالَ لَهُم هانِئٌ: إذا قُلتُ لَكُم «اِسقوني» فَاخرُج إلَيهِ فَاضرِب عُنُقَهُ الخ..»[١].

وقال ابن واضح: قَدِمَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زِيادٍ الكوفَةَ، وبِها مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ قَد نَزَلَ عَلى هانِئِ بنِ عُروَةَ، وهانِئٌ شَديدُ العِلَّةِ، وكانَ صَديقاً لِابنِ زِيادٍ. فَلَمّا قَدِمَ ابنُ زِيادٍ الكوفَةَ أُخبِرَ بِعِلَّةِ هانِئٍ، فَأَتاهُ لِيَعودَهُ، فَقالَ هانِئٌ لِمُسلِمِ بنِ عَقيلٍ وأَصحابِهِ ـ وهُم جَماعَةٌ ـ [وعند الذهبي وغيره: أنهم كانوا ثلاثين رجلاً، ولكنه قال: إن المريض هو شريك، وكان في بيت هاني[٢]]:

إذا جَلَسَ ابنُ زِيادٍ عِندي وتَمَكَّنَ، فَإِنّي سَأَقولُ: «اِسقوني»، فَاخرُجوا فَاقتُلوهُ. الخ..

---

(١) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٠٦ عن المحاسن والمساوئ ص٦٠ عن أبي معشر، وعن المحن ص١٤٤ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٤ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٦٥ كلاهما عن القاسم بن سلام، والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٦.

(٢) سير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ والطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥.

ثم ذكر: أن عبيد الله فهم ذلك، فوثب وخرج»(١).

زاد ابن سعد قوله: «ودَعا مَولىً لِهانِئِ بنِ عُروَةَ ـ كانَ فِي الشُّرطَةِ ـ فَسَألَهُ، فَأَخبَرَهُ الخَبَرَ. فَقالَ: أو لا (لعل الصحيح: أولى لهم). ثُمَّ مَضى حَتّى دَخَلَ القَصرَ»(٢).

روايات مرض شريك:

وهناك روايات تقول: إن الذي مرض، وعاده ابن زياد هو شريك [بن عبد الله] بن الأعور الحارثي الهمداني، وقد أحجم مسلم بن عقيل عن قتل ابن زياد.

وبعض هذه الروايات تذكر: أنه مرض في منزل هاني بن عروة، وأخبره ابن زياد بأنه سيزوره، فطلب من مسلم أن يكمن له في خزانة هناك ويقتل ابن زياد.

وهمَّ مسلم أن يفعل ذلك، فمنعه هاني، وقال له: «جُعِلتُ فِداكَ، في داري صِبيَةٌ وإماءٌ، وأنَا لا آمَنُ الحَدَثانَ (أي حوادث الدهر).

وقد شك ابن زياد في الأمر، فخرج من ساعته.

فسأل شريك مسلماً عن سبب إحجامه عن قتله، فقال: مَنَعَني مِن ذلِكَ حَديثٌ سَمِعتُهُ مِن عَمّي عَلِيٍّ بنِ أبي طالِبٍ «عليه السلام»: أنَّهُ

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٦.

قالَ: «الإيمانُ قَيَّدَ الفَتكَ»، فَلَم أُحِبَّ أن أقتُلَ عُبَيدَ اللهِ بنَ زِيادٍ في مَنزِلِ هذَا الرَّجُلِ.

قالَ: ثُمَّ لَم يَلبَث شَرِيكُ بنُ عَبدِ اللهِ إلّا ثَلاثَةَ أيّامٍ حَتّى ماتَ «رحمه الله»..»(١).

لكن ابن نما يقول: إن مسلماً قال لشريك: «لَمّا هَمَمتُ بِالخُروجِ تَعَلَّقَت بِيَ امرَأَةٌ، قالَت: ناشَدتُكَ اللهَ إن قَتَلتَ ابنَ زِيادٍ في دارِنا، وبَكَت في وَجهي. فَرَمَيتُ السَّيفَ وجَلَستُ.

قالَ هاني: يا وَيلَها، قَتَلَتني وقَتَلَت نَفسَها، وَالَّذي فَرَرتُ مِنهُ وَقَعتُ فيهِ»(٢).

وبعض الروايات ذكرت: أن شريكاً كان في منزله، لا في منزل هاني ـ وكان مسلم في منزل شريك في حجلة (وهي بيت مزين بالثياب، والأسرّة والستور)، ومعه السيف.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١ وراجع: مثير الأحزان لابن نما ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠ و ٢١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ و ٢٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢.

(٢) راجع: مثير الأحزان لابن نما ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ و ٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٥ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٤ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ولواعج الأشجان ص٤٦.

فطلب منه شريك أن يقتل ابن زياد حين يأتي لعيادته. (فلم يجبه مسلم بسلب ولا إيجاب) فجاء ابن زياد، ورجع، ولم يصنع مسلم شيئاً. وتحول مسلم إلى بيت هاني، وبلغ عبيد الله الخبر، فقال: «وَاللهِ لَولا أن تَكونَ سُبَّةً، لَسَبَبتُ شَريكاً»(١).

لكن ابن كثير يذكر: أن شريكاً كان مريضاً في منزله هو [وفي الطبري: في بيت هاني(٢)]، فلما أراد ابن زياد عيادته بَعَثَ إلى هانِئٍ يَقولُ لَهُ: اِبعَث مُسلِمَ بنَ عَقيلٍ حَتّى يَكونَ في داري لِيَقتُلَ عُبَيدَ اللهِ إذا جاءَ يَعودُني.

فَبَعَثَهُ إلَيهِ، فَقالَ لَهُ شَريكٌ: كُن أنتَ فِي الخِباءِ، فَإِذا جَلَسَ عُبَيدُ اللهِ، فَإِنّي أطلُبُ الماءَ ـ وهِيَ إشارَتي إلَيكَ ـ فَاخرُج فَاقتُلهُ.

فَلَمّا جاءَ عُبَيدُ اللهِ جَلَسَ عَلى فِراشِ شَريكٍ، وعِندَهُ هانِئُ بنُ عُروَةَ، وقامَ مِن بَينِ يَدَيهِ غُلامٌ يُقالُ لَهُ: مِهرانُ، فَتَحَدَّثَ عِندَهُ ساعَةً، ثُمَّ قالَ شَريكٌ: اِسقوني، فَتَجَبَّنَ مُسلِمٌ عَن قَتلِهِ، وخَرَجَت جارِيَةٌ بِكوزٍ مِن ماءٍ، فَوَجَدَت مُسلِماً فِي الخِباءِ، فَاستَحيَت ورَجَعَت بِالماءِ ثَلاثاً.

ثُمَّ قالَ: اِسقوني ولَو كانَ فيهِ ذَهابُ نَفسي، أتَحمونَني مِنَ الماءِ؟

فَفَهِمَ مِهرانُ الغَدرَ، فَغَمَزَ مَولاهُ، فَنَهَضَ سَريعاً وخَرَجَ.

فَقالَ شَريكٌ: أيُّهَا الأَميرُ! إنّي أُريدُ أن أُوصِيَ إلَيكَ.

---

(١) الأمالي الشجرية ج١ ص١٦٧.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٦٠.

فَقالَ: سأَعودُ! فَخَرَجَ بِهِ مَولاهُ فَأَركَبَهُ وطَرَّدَ بِهِ ـ أي ساقَ بِهِ ـ وجَعَلَ يَقولُ لَهُ مَولاهُ: إنَّ القَومَ أرادوا قَتلَكَ.

فَقالَ: وَيحَكَ، إنّي بِهِم لَرَفيقٌ، فَما بالُهُم؟! [وفي الطبري: قال: وكَيفَ؟ مَعَ إكرامي شَريكاً وفي بَيتِ هانِئٍ، ويَدُ أبي عِندَهُ يَدٌ! فَرَجَعَ(١)]

وقالَ شَريكٌ لِمُسلِمٍ: ما مَنَعَكَ أن تَخرُجَ فَتَقتُلَهُ؟

قالَ: حَديثٌ بَلَغَني عَن رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله» أنَّهُ قالَ: الإيمانُ ضِدُّ الفَتكِ، لا يَفتِكُ مُؤمِنٌ، وكَرِهتُ أن أقتُلَهُ في بَيتِكَ.

فَقالَ: أما لَو قَتَلتَهُ لَجَلَستَ فِي القَصرِ، لَم يَستَعِدَّ مِنهُ أحَدٌ، ولَيُكفَيَنَّكَ أمرُ البَصرَةِ، ولَو قَتَلتَهُ لَقَتَلتَ ظالِماً فاجِراً. وماتَ شَريكٌ بَعدَ ثَلاثٍ(٢).

شريك، وهاني يمرضان:

وقد جمعت بعض النصوص بين شريك وهاني في المرض، فقد قالت:

مَرِضَ هانِئُ بنُ عُروَةَ، فَجاءَ عُبَيدُ اللهِ عائِداً لَهُ. فَقالَ لَهُ عُمارَةُ بنُ عُبَيدٍ السَّلولِيُّ: إنَّما جَماعَتُنا وكَيدُنا قَتلَ هذَا الطّاغِيَةِ، فَقَد أمكَنَكَ اللهُ مِنهُ فَاقتُلهُ.

قالَ هانِئٌ: ما أُحِبُّ أن يُقتَلَ في داري. فَخَرَجَ.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠.

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤.

فَما مَكَثَ إلّا جُمعَةً حَتّى مَرِضَ شَريكُ بنُ الأعوَرِ، وكانَ كَريماً عَلَى ابنِ زيادٍ، وعَلى غَيرِهِ مِنَ الأُمَراءِ، وكانَ شَديدَ التَّشَيُّعِ، فَأَرسَلَ إلَيهِ عُبَيدُ اللهِ: إنّي رائِحٌ إلَيكَ العَشِيَّةَ.

فَقالَ لِمُسلِمٍ: إنَّ هذَا الفاجِرَ عائِدِي العَشِيَّةَ، فَإِذا جَلَسَ فَاخرُج إلَيهِ فَاقتُلهُ، ثُمَّ اقعُد فِي القَصرِ لَيسَ أحَدٌ يَحولُ بَينَكَ وبَينَهُ، فَإِن بَرِئتُ مِن وَجَعي هذا أيّامي هذِهِ، سِرتُ إلَى البَصرَةِ وكَفَيتُكَ أمرَها.

فَلَمّا كانَ مِنَ العَشِيِّ أقبَلَ عُبَيدُ اللهِ لِعِيادَةِ شَريكٍ، فَقامَ مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ لِيَدخُلَ، وقالَ لَهُ شَريكٌ: لا يَفوتَنَّكَ إذا جَلَسَ.

فَقامَ هانِئُ بنُ عُروَةَ إلَيهِ، فَقالَ: إنّي لا اُحِبُّ أن يُقتَلَ في داري. كَأَنَّهُ استَقبَحَ ذلِكَ.

فَجاءَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زيادٍ، فَدَخَلَ فَجَلَسَ، فَسَأَلَ شَريكاً عَن وَجَعِهِ، وقالَ: مَا الَّذي تَجِدُ، ومَتَى اشكيتَ؟ فَلَمّا طالَ سُؤالُهُ إيّاهُ، ورَأى أنَّ الآخَرَ لا يَخرُجُ، خَشِيَ أن يَفوتَهُ، فَأَخَذَ يَقولُ:

ما تَنظُرونَ بِسَلمى أن تُحَيّوها(١)

اِسقِنيها وإن كانَت فيها نَفسي، فَقالَ ذلِكَ مَرَّتَينِ أو ثَلاثاً.

---

(١) في المصدر: «ما تنتظرون...»، وهو تصحيف ظاهر، فالوزن لا يستقيم. وجاء في مقاتل الطالبيّين هكذا:

مَـا الإنتظـار بسَـلمى أن تُحيّوهـا   حَيّـوا سُـليمي وحَيّـوا مـن يُحيّيهـا

كأس المَنيّةِ بالتعجيل فاسقوها

فَقالَ عُبَيدُ اللهِ ـ ولا يَفطُنُ ـ: ما شَأنُهُ؟! أتَرَونَهُ يَهجُرُ؟(١).

فَقالَ لَهُ هانِئٌ: نَعَم أصلَحَكَ اللهُ! ما زالَ هذا دَيدَنُهُ قُبَيلَ عَمايَةِ الصُّبحِ حَتّى ساعَتِهِ هذِهِ.

ثُمَّ إنَّهُ قامَ فَانصَرَفَ. فَخَرَجَ مُسلِمٌ، فَقالَ لَهُ شَريكٌ: ما مَنَعَكَ مِن قَتلِهِ؟

فَقالَ: خَصلَتانِ..

أمّا إحداهُما، فَكَراهَةُ هانِئٍ أن يُقتَلَ في دارِهِ.

وأمَّا الأُخرى، فَحَديثٌ حَدَّثَهُ النّاسُ [وعند ابن الأثير: حدثه علي «عليه السلام»] عَنِ النَّبِيِّ «صلى الله عليه وآله»: إنَّ الإيمانَ قَيَّدَ الفَتكَ(٢)، ولا يَفتِكُ مُؤمِنٌ(٣).

فَقالَ هانِئٌ: أمَا وَاللهِ لَو قَتَلتَهُ لَقَتَلتَ فاسِقاً فاجِراً كافِراً غادِراً، ولكن كَرِهتُ أن يُقتَلَ في داري، ولَبِثَ شَريكُ بنُ الأعوَرِ بَعدَ ذلِكَ ثَلاثاً ثُمَّ ماتَ.

فَخَرَجَ ابنُ زيادٍ فَصَلّى عَلَيهِ، وبَلَغ عُبَيدَ اللهِ بَعدَما قَتَلَ مُسلِماً وهانِئاً، أنَّ ذلِكَ الَّذي كُنتَ سَمِعتَ مِن شَريكٍ في مَرَضِهِ، إنَّما كانَ

(١) هَجَرَ يهجُر هَجراً: إذا خَلَط في كلامه، وإذا هذى (النهاية: ج٥ ص٢٤٥ «هجر»).

(٢) الفَتك، أن يأتي الرجل صاحبه وهو غارٌّ غافلٌ فيشُدّ عليه فيقتله (النهاية: ج٣ ص٤٠٩ «فتك»).

(٣) وزاد في الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧: «بمؤمن».

يُحَرِّضُ مُسلِماً ويَأمُرُهُ بِالخُروجِ إلَيكَ لِيَقتُلَكَ.

فَقالَ عُبَيدُ اللهِ: وَاللهِ لا أُصَلّي عَلى جَنازَةِ رَجُلٍ مِن أهلِ العِراقِ أبَداً، ووَاللهِ لَولا أنَّ قَبرَ زِيادٍ فيهِم لَنَبَشتُ شَريكاً(١).

زاد البلاذري قوله: فقال شريك: ما رَأَيتُ أحَداً أمكَنَتهُ فُرصَةٌ فَتَرَكَها إلّا أعقَبَتهُ نَدَما وحَسرَةً، وأنتَ أعلَمُ! وما عَلى هانِئٍ في هذا لَولا الحَصرُ!

وماتَ شَريكُ بنُ الأعوَرِ في دارِ هانِئٍ مِن مَرَضِهِ ذلِكَ.

واسمُ الأعوَرِ الحارِثُ(٢).

الرواية المقبولة والمعقولة:

إن النص الذي ذكره أبو حنيفة الدينوري نرى أنه هو الأقرب، وهو كما يلي:

كانَ هانِئُ بنُ عُروَةَ مُواصِلاً لِشَريكِ بنِ الأعوَرِ البَصريِّ الَّذي قامَ [لعل الصحيح: قَدِمَ] مَعَ ابنِ زِيادٍ، وكانَ ذا شَرَفٍ بِالبَصرَةِ وخَطَرٍ،

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٨ ـ ١٠٠ عن تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣ ومقاتل الطالبيّين ص١٠١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ وراجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧.

(٢) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧.

فَانطَلَقَ هانِئٌ إلَيهِ حَتّى أتى بِهِ مِنزِلَهُ، وأنزَلَهُ مَعَ مُسلِمِ بن عَقيلٍ فِي الحُجرَةِ الَّتي كانَ فيها.

وكانَ شَريكٌ مِن كِبارِ الشّيعَةِ بِالبَصرَةِ، فَكانَ يَحُثُّ هانِئاً عَلَى القِيامِ بِأمرِ مُسلِمٍ، وجَعَلَ مُسلِمٌ يُبايِعُ مَن أتاهُ من أهلِ الكوفَةِ، ويَأخُذُ عَلَيهِمُ العُهودَ وَالمَواثيقَ المُؤَكَّدَةَ بِالوَفاءِ.

ومَرِضَ شَريكُ بنُ الأعوَرِ في مَنزِلِ هانِئِ بن عُروَةَ مَرَضاً شَديداً، وبَلَغَ ذلِكَ عُبَيدَ اللهِ بنَ زيادٍ، فَأَرسَلَ إلَيهِ يُعلِمُهُ أنَّهُ يَأتيهِ عائِداً.

فَقالَ شَريكٌ لِمُسلِمِ بن عَقيلٍ: إنَّما غايَتُكَ وغايَةُ شيعَتِكَ هَلاكُ هذَا الطّاغِيَةِ، وقَد أمكَنَكَ اللهُ مِنهُ، هُوَ صائِرٌ إلَيَّ لِيعودَني، فَقُم فَادخُلِ الخِزانَةَ حَتّى إذَا اطمَأَنَّ عِندي، فَاخرُج إلَيهِ فَقاتِلهُ [الظاهر أن الصحيح: فاقتله]، ثُمَّ صِر إلى قَصرِ الإمارَةِ فَاجلِس فيهِ؛ فَإِنَّهُ لا يُنازِعُكَ فيه أحَدٌ مِنَ النّاسِ، وإن رَزَقَنِيَ اللهُ العافِيَةَ صِرتُ إلَى البَصرَةِ، فَكَفَيتُكَ أمرَها، وبايَعَ لَكَ أهلُها.

فَقالَ هانِئُ بنُ عُروَةَ: ما أُحِبُّ أن يُقتَلَ في داري ابنُ زيادٍ.

فَقالَ لَهُ شَريكٌ: ولِمَ، فَوَاللهِ إنَّ قَتلَهُ لَقُربانٌ إلَى اللهِ؟!

ثُمَّ قالَ شَريكٌ لِمُسلِمٍ: لا تُقَصِّر في ذلِكَ. فَبَينَما هُم عَلى ذلِكَ إذ قيلَ لَهُم: الأَميرُ بِالبابِ.

فَدَخَلَ مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ الخِزانَةَ، ودَخَلَ عُبَيدُ اللهِ بنُ زيادٍ عَلى شَريكٍ، فَسَلَّمَ عَلَيهِ، وقالَ: مَا الَّذي تَجِدُ وتَشكو؟

فَلَمّا طالَ سُؤالُهُ إيّاهُ استَبطَأَ شَريكٌ خُروجَ مُسلِمٍ، وجَعَلَ يَقولُ،

ويُسمِعُ مُسلِماً:

مـا تَنظُـرونَ بسَـلمى عِنـدَ فقـد وَفـى وُدُّهـا واستَوسَـقَ

وجَعَلَ يُرَدِّدُ ذلِكَ.

فَقالَ ابنُ زيادٍ لِهانِئٍ: أيهَجُرُ؟ - يَعني يَهذي -.

قالَ هانِئٌ: نَعَم، أصلَحَ اللهُ الأميرَ! لم يَزَل هكَذا مُنذُ أصبَحَ.

ثُمَّ قامَ عُبَيدُ اللهِ وخَرَجَ، فَخَرَجَ مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ مِنَ الخِزانَةِ.

فَقالَ شَريكٌ: مَا الَّذي مَنَعَكَ مِنهُ إلا الجُبنُ وَالفَشَلُ؟!

قالَ مُسلِمٌ: مَنَعَني مِنهُ خَلَّتانِ..

إحداهُما: كَراهِيَةُ هانِئٍ لِقَتلِهِ في مَنزِلِهِ.

وَالأُخرى: قَولُ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله»: إنَّ الإيمان قَيَّدَ الفَتكَ، لا يَفتِكُ مُؤمِنٌ.

فَقالَ شَريكٌ: أمَا وَاللهِ لَو قَتَلتَهُ لَاستَقامَ لَكَ أمرُكَ، وَاستَوسَقَ لَكَ سُلطانُكَ.

ولَم يَعِش شَريكٌ بَعدَ ذلِكَ إلا أيّاماً حَتّى تُوُفِّيَ، وشَيَّعَ ابنُ زيادٍ جَنازَتَهُ، وتَقَدَّمَ فَصَلّى عَلَيهِ.

ولَم يَزَل مُسلِمُ بنُ عَقيلٍ يَأخُذُ البَيعَةَ مِن أهلِ الكوفَةِ، حَتّى بايَعَهُ مِنهُم ثَمانِيَةَ عَشَرَ ألفَ رَجُلٍ في سِترٍ ورِفقٍ(١).

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣٣.

ونقول:

لا بأس بالنظر في الأمور التالية:

اختلاف الروايات المتقدمة:

إن من يقارن بين الروايات المتقدمة يجد: أنها تتفاوت من حيث ذكر بعض التفاصيل في بعضها، وإغفالها في البعض الآخر، وتختلف أيضاً في العديد من الأمور، التي يمكن ضم بعضها إلى بعض، فيكون متمماً له. وتختلف أيضاً في بضعة أمور تبدو متنافرة، ولا مجال للجمع بينها، بل لا بد من الالتزام ببعضها، واستبعاد البعض الآخر.

ويبدو لنا: أن الرواة لم يهتموا بحفظ أو بتسجيل تفاصيل هذه القصة، وسجل بعضهم مختصراً منها. وربما اجتهد بعضهم في تفسير بعض ما جرى، وربما وربما..

غير أن ذلك كله لا يفرض رفض القصة من أساسها.. فمن أراد أن يدّعي ذلك، فعليه أن يبحث عن مبررات، ودلائل أخرى.

وبذلك نعرف: أنه لا مجال لقبول ما يقوله بعض الإخوة: من أن هذه الاختلافات التي يصل بعضها إلى حد التناقض تشير إلى أن القصة منتحلة من قبل ابن زياد وأعوانه، لتبرير إقدامه الإجرامي الأرعن ضد مسلم، وزعماء القبائل الموالين له.

ابن زياد لا يدخل بيوت الشيعة:

وقد استدلوا على انتحال هذه القصة: بأن «مجيء ابن زياد إلى بيوت محبي مسلم، يعني وضع نفسه في موضع الخطر. وإذا أخذنا

بنظر الاعتبار الدهاء السياسي لابن زياد، وأوضاع الكوفة المتأزمة، فإنه لا يمكن تصديق وقوع هذا التصرف غير المحتاط من قبله. خاصة وأنه كان يعلم من خلال جاسوسه أن مسلماً مختبئ في دار هاني»(١).

ونجيب:

أولاً: بأن ابن زياد لم يكن على اطلاع تام بتفاصيل أحوال آحاد الناس في الكوفة، في حبهم وبغضهم، وولاءاتهم، وإن علم بشيء من ذلك، فهو انطباعات عامة، ولو فرض أنه يعرف بعض التفاصيل، فربما تكون هناك حيثيات أخرى تبدد مفاعيل ما عرفه، وتجعله في عداد الشائعات الموهونة أو المغرضة.

ويبدو: أن هذا هو ما حصل لابن زياد هنا، فقد ذكرت بعض روايات هذه القصة: أن ابن زياد كان يشعر بالأمن لسببين:

أحدهما: أنه في بيت هاني. ولعل هذا يفسر ما ورد في نص آخر، من أن هانياً قد منع مسلماً من هذا الأمر، كأنه استقبح ذلك(٢).

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٠.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٠٠ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ ومقاتل الطالبيين ص٩٨ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٤ و ٤٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧.

وهناك نص ثانٍ يقول: إن هانياً قال لمسلم: «في داري صبية وإماء، وأنا لا آمن الحدثان»(١).

الثاني: أن لزياد (أبي عبيد الله) يداً عظيمة عند هاني تجعله يتحرج هذا الفعل(٢).

ثانياً: صرحت الروايات: بأنه قد كان لهاني بن عروة مكان من ابن زياد(٣).

بل ذكر اليعقوبي: أنه كان صديقاً له(٤). وحين جاء ابن زياد إلى الكوفة كان هاني يزوره إلى أن انتقل مسلم إلى بيته، فانقطع عنه(٥).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٨ والكامل لابن الأثير ج٤ ص٢٦ و ٢٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ولواعج الأشجان ص٥١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٩.

(٣) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٦ وجواهر المطالب لابن الدمشقي ج٢ ص٢٦٥.

(٤) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

(٥) راجع: تنقيح المقال ج٣ ص٢٨٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٢ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٧ وراجع: مقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٤ والإرشاد ج٢ ص٤٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ص١٩٣ ولواعج الأشجان ص٤٧ والفوائد الرجالية ج٤ ص٢١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١ وإعلام

ثالثاً: فيما يرتبط بشريك بن الأعور نقول:

إنه لم يكن معلناً لتشيعه، فقد قال ابن أعثم: «كان من خيار الشيعة، غير أنه يكتم ذلك، إلا عمن يثق به من إخوانه»(١).

ويشهد لهذا: أن شريكاً إنما قدم الكوفة بصحبة عبيد الله بن زياد(٢)، فلو كان تشيعه ظاهراً معلوماً، لم يرض ابن زياد بمرافقته له.

رابعاً: من الذي قال: إن ابن زياد كان يعلم بأن مسلماً «رحمه

الورى ج١ ص٤٣٩.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١.

(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٨ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص١٩٩ وأنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٥ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٨٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٩ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٧ ومثير الأحزان ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠ والأخبار الطوال ص٢٣٢ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ وإبصار العين ص٢٧ والغارات للثقفي ج٢ ص٧٩٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٣ وروضة الواعظين ص١٧٤ ومقاتل الطالبيين (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٣ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ ولواعج الأشجان ص٤٢ ـ ٤٣ و ٤٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ والإصابة ج٦ ص٤٤٥ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٦.

الله» كان في بيت هاني، فإنه لا دليل على أن العيادة قد حصلت بعد تكليف معقل بمهمة البحث عن مسلم. بل في بعض النصوص المتقدمة ما يدل على أن معرفة ابن زياد بأن هانياً أو شريكاً قد اتفق مع مسلم على قتله، قد حصلت في وقت متأخر.

ويدل على ذلك، قولهم: إن ابن زياد هو الذي صلى على شريك حين مات بعد عيادته له بثلاثة أيام، فأخبروه بأنه كان قد اتفق مع مسلم على قتله، ففي الطبري:

«فخرج ابن زياد فصلى عليه، وبلغ عبيد الله بعدما قتل مسلماً وهانياً أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه إنما كان يحرض مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك.

فقال عبيد الله: والله، لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً. ووالله، لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً»(١).

إلا أن يقال: إنه قال هذه الكلمة قبل موت شريك، وتحدث عن النبش بعد موت شريك. وهذا يبقى مجرد احتمال لا شاهد له.

وفي نص آخر: لولا أن تكون سبة لسببت شريكاً(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣.

(٢) الأمالي الشجرية ج١ ص١٦٧.

ولعل في هذه العبارة تصحيفاً، بسبب تشابه رسم الكلمتين. والصحيح: لنبشت شريكاً.

ويقول ابن نما «رحمه الله» عن مسلم: «نزل دار هاني بن عروة، واختلف إليه الشيعة. وألح عبيد الله في طلبه، ولا يعلم أين هو، وكان شريك بن الأعور الهمداني قدم من البصرة مع عبيد الله بن زياد[١]. ثم ذكر مرض شريك وعيادة ابن زياد له.

ويقول ابن سعد: «فاشتكى شريك، فكان عبيد الله يعوده في منزل هاني، ومسلم بن عقيل هناك لا يعلم به»[٢].

بل صرحت رواية أبي الوداك: أن اكتشاف ابن زياد أن مسلماً التقى معقلاً في بيت هاني قد حصل بعد موت شريك بن الأعور[٣].

وفي نص آخر: أن مسلم بن عوسجة إنما تأخر في إيصال معقل إلى مسلم بن عقيل لاشتغاله بموت شريك[٤].

---

(١) مثير الأحزان ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠.

(٢) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ وأنساب الأشراف (ط الأعلمي) ج٢ ص٨٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٤ وإبصار العين ص١٠٨.

(٤) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١.

السرية ضرورية:

وسجلت ملاحظة أخرى على هذه القصة استدلوا بها على انتحال هذه القصة، والملاحظة هي: أن عنصر السرية شرط أساس لنجاح عمليات الاغتيال «وهذا المعنى يتنافى مع تواجد ثلاثين رجلاً، لا ضرورة لجلبهم لاغتيال شخص واحد»(١).

ونقول:

أولاً: إن ابن زياد لا يأتي إلى بيوت الآخرين بمفرده، بل يصطحب معه جماعة يعتمد عليهم في حراسته وحمايته، وإعادته إلى مقره سالماً. فلا مجال لقبول قولهم: لا ضرورة لجلب ثلاثين رجلاً لاغتيال شخص واحد، لأن ابن زياد لم يكن واحداً.

ثانياً: إن مبدأ السرية لا ينخرم بوجود الثلاثين شخصاً المذكورين، إذا كانوا قد اختيروا بعناية، وعن معرفة واطلاع على أحوالهم، وكانوا معروفين بالصدق والنصيحة، والولاء والدين.

والعادة قد جرت على اختيار أوثق الناس لمهمات خطيرة كهذه، ولا يكون هناك عشوائية ومغامرة وارتجال في أمور كهذه.

ثالثاً: إن اختيار الثلاثين رجلاً لهذه المهمة إنما ورد في الرواية التي ذكرها في الطبقات، وأخذها عنه الذهبي ـ فيما يبدو ـ وأودعها

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٠.

في سير أعلام النبلاء(١).

وفي رواية اليعقوبي: أنهم كانوا جماعة، ولم يحددهم بعدد، وقال: إن هانياً هو الذي طلب منهم قتل ابن زياد، وأنه أدخلهم البيت، وجلس هو في الرواق(٢). ولكن ليس في كلامه أنهم قد استجابوا لطلب هاني هذا، أو أنهم رفضوه.

رابعاً: لنفترض أن هذه الرواية باطلة، لكن ما الدليل على بطلان سائر الروايات التي حصرت الأمر بمسلم «رحمه الله»؟!

خامساً: لنفترض أنهم أخطأوا في عدم مراعاتهم لمبدأ السرية في عمليات الاغتيال، فإن هذا لا يصلح دليلاً على انتحال الرواية من أساسها. فإن حديثنا هو عن بشر عاديين يخطئون ويصيبون، ويفشلون وينجحون، ولا نتحدث عن معصومين.

لماذا ينفذ مسلم مخطط الاغتيال؟!:

ويستدلون أيضاً على رد هذه الرواية وانتحالها: بأنه «إذا كان مخطط اغتيال ابن زياد حقيقياً، فإن التدبير السياسي والأمني كان يقتضي أن يوكل تنفيذه إلى شخص غير مسلم، الذي كان يتولى قيادة

____

(١) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

ثورة الكوفة»[١].

ونلاحظ على هذا الدليل:

أولاً: بما ذكرناه آنفاً، من أننا لو سلمنا جدلاً بأن تصدي مسلم لهذا الأمر بنفسه كان خطأً، فإن ذلك لا ينتج قولهم: إن الرواية منتحلة من أساسها.

ثانياً: إذا كانت السرية المطلوبة تفرض أن لا يتصدى ثلاثون رجلاً لهذا الأمر، وتقتضي حصره بأصغر دائرة ممكنة. وإذا كان الإقدام على هذا الأمر يحتاج إلى الجرأة والشجاعة!!. وإذا كان ابن زياد رجلاً واحداً. ولا حاجة إلى الاستعانة عليه بأحد من الناس، وكان قتله سهلاً إلى هذا الحد، فما الفرق بين أن يتصدى لقتله زيد من الناس أو عمرو؟!

وأي فرق بين مسلم، وبين غيره. بل لعل تولي مسلم لهذا الأمر أولى، لأنه الرجل الشجاع الباسل، ولأنه لا ينبغي له أن يزج بالآخرين في أمر قد تكون له ارتدادات سلبية، وعواقب وخيمة عليهم، وعلى غيرهم من ذويهم وعشائرهم في صورة حدوث أية انتكاسة آنية أو مستقبلية.

فإن كان المطلوب هو إبعاد قائد ثورة الكوفة عن التعرض لخطر جسيم كهذا، فكيف يراد تعريض غيره لمثل هذا الخطر الذي قد لا

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٠.

ينحصر أمره بخصوص من يباشر هذا العمل، بل يتعداه إلى الأهل، والقبيلة، وحلفائها، وما إلى ذلك..

تبرير فعل السلطة بمسلم وزعماء القبائل:

بقي أن نشير إلى القول: بأن السلطة قد تكون هي التي افتعلت هذه القضية بهدف تبرير ما فعلته ضد مسلم، وزعماء القبائل الموالين له[١]، فنقول:

إن هذا الكلام بعيد عن منهج تلك السلطة التي لم تزل تبرر أعظم موبقاتها كقتل الإمام الحسين، وهو أقدس الناس، وأهل بيته وأصحابه: بأنهم قد خرجوا على السلطة، وأثاروا الفتنة.

ومن الواضح: أن أعظم ذنب لمسلم بنظر ابن زياد، ومن كان معه هو أنه أخذ البيعة من عشرات الألوف من الناس للإمام الحسين، ورفض حكومة يزيد.

في القصة إهانة لمسلم:

ويتابع هذا الأخ الكريم كلامه هنا، فيقول:

وإذا لم نأخذ بالتحليل المذكور، واعتبرنا المخطط المذكور حقيقياً، فإن الرواية الثانية والتي تفيد اكتشاف ابن زياد للمخطط عن طريق القرائن، أو الرواية الثالثة التي تصرح بأن امرأة حالت دون تنفيذه في دار هاني، أقرب إلى الصحة.

---

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١١.

وأما صحة الروايات الأخرى التي تفيد أن مسلماً «عليه السلام» انثنى عن عزمه على قتل ابن زياد عند تذكره لحديث «الفتك»، فإنها مستبعدة للغاية، بل يمكن القول: إنها إهانة لمسلم «عليه السلام». وهل يمكن القول: إن سفير الإمام «عليه السلام» لم يكن يعلم بحكم المخطط المذكور عند التصميم له، ثم ينثني عن عزمه عند تنفيذه لتذكره حديث «الفتك»؟!(١).

ونقول:

أولاً: لماذا رجح هذا المستدل رواية حيلولة المرأة بين مسلم، وبين تنفيذ ما أراد، وهي رواية ابن نما(٢) اليتيمة، وترك سائر الروايات التي ذكرت: أن الذي منعه من قتله هو كراهة هاني أن يقتل في داره(٣). بل يقول ابن أعثم: منعه صاحب المنزل وقال له: «في

(١) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١١.

(٢) مثير الأحزان ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢١.

(٣) راجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٥ ومقاتل الطالبيين ص٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ ولواعج الأشجان ص٤٦ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٣ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٢ والأخبار الطوال ص٢٣٥.

داري صبية وإماء، وأنا لا آمن الحدثان»(١).

ثانياً: إنه استبعد أن يكون سبب إحجام مسلم عن قتل ابن زياد هو تذكُّره حديث: «الإسلام قيد الفتك» حتى اعتبر أن في هذا القول إهانة لمسلم «رحمه الله»، إذ لا يمكن القول بأن سفير الإمام «عليه السلام» لم يكن يعلم بحكم هذه الخطة حين العزم عليها، ثم انثنى عن عزمه عند التنفيذ لتذكره حديث النهي عن الفتك.

ونحن نرى: أن حصول العزم والتصميم على تنفيذ الخطة غير ثابت، فإن النصوص ذكرت هذه الحادثة، والتي جمعها هذا المستدل نفسه ليست كلها على نسق واحد، فإن فيها ما هو ساكت عن رأي مسلم بن عقيل في هذا الأمر. فمثلاً ليس في رواية أبي الوداك التي ذكرها الطبري سوى أن شريكاً طلب من مسلم أن يفعل ذلك، وأن هانياً قام إليه، فقال: إني لا أحب أن يقتل في داري. كأنه استقبح ذلك.

[وعند أبي حنيفة الدينوري: فبينما هم على ذلك، إذ قيل لهم: الأمير بالباب.

فدخل مسلم بن عقيل الخزانة].

إلى أن تقول الرواية: فقال له شريك: ما منعك من قتله؟!

فقال: خصلتان:

أما إحداهما: فكراهة هاني أن يقتل في داره.

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١.

وأما الأخرى: فحديث حدثه الناس عن النبي «صلى الله عليه وآله»: إن الإيمان قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن(١).

كما أن رواية الطبري لم تذكر شيئاً عن رأي مسلم بن عقيل فيما عرضه عليه شريك(٢).

أما رواية ابن سعد والذهبي، فليس فيها إلا أن مسلماً كان في بيت هاني. وكان ابن زياد يعود شريكاً في ذلك البيت. ثم قال: فهيأوا لعبيد الله ثلاثين رجلاً، يقتلونه إذا دخل عليهم(٣). ولم يذكر من الذي هيأهم!

كما أن رواية البلاذري ليست صريحة في موافقة مسلم «رحمه الله» على ما طلب منه(٤).

وكذلك الحال بالنسبة لرواية ابن قتيبة(٥).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٦ و ٢٧ والأخبار الطوال ص٢٣٤ ومقاتل الطالبيين ص٦٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ وراجع: نهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩١ و ٣٩٢.

(٢) إعلام الورى ج١ ص٤٣٨.

(٣) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩.

(٤) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩.

(٥) الإمامة والسياسة (تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨.

ورواية اليعقوبي(١).

بل وكذا رواية ابن كثير(٢).

وابن الشجري(٣).

وبذلك يكون مسلم «رحمه الله» قد استدل بحديث «قيد الفتك» ابتداءً، لا أنه كان ناسياً له ثم تذكره.

ثالثاً: أية غضاضة في أن يذهل العالم عن حكم شرعي، أو عن حديث هو في غاية الوضوح عنده بسبب صوارف تستأثر باهتمامه، ولاسيما إذا كان هناك خوف، وإذا تلاحقت وتسارعت المفاجآت المثيرة، مثل حضور ابن زياد في نفس اللحظة التي طلب فيها من مسلم أن يقتل ذلك الطاغية، حتى اضطر مسلم إلى الإسراع في الدخول إلى الخزانة. كما ذكره الدينوري(٤).

الإسلام قيد الفتك:

ويبقى سؤال يقول: إذا كان ابن زياد عدواً محارباً، فلا يأثم مسلم في قتله، بل هو لو قتله لأراح الأمة منه، وربما تغير مسار الأحداث، فهل فهم مسلم حديث: «الإسلام قيد الفتك» بطريقة غير سليمة؟! أم

(١) تاريخ اليعقوبي ج٢ ص٢٤٣.

(٢) راجع: البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤ و ١٦٥.

(٣) الأمالي الشجرية ج١ ص١٦٧.

(٤) الأخبار الطوال ص٢٣٣.

ماذا؟!

ونجيب:

بأن عداوة ابن زياد بمجردها لا تبرر، ولا تكفي للفتك به، ما لم تعلن الحرب بين الفريقين، أو ما لم يعتد الفريق الضال على أهل الحق. ونستطيع بعد هذا أن نقول ما يلي:

أولاً: مع غض النظر عن مضمون حديث: الإسلام قيد الفتك. فإننا نقول: إنه لا مبرر لإقدام مسلم على قتل ابن زياد بهذه الطريقة، فقد ذكرنا فيما سبق: أن أكثر الروايات لم تذكر أن مسلماً قد وافق على قتل ابن زياد، بل في بعضها دلالة على أن حضور ابن زياد لعيادة المريض قد وافق الحديث عن قتله، ففاجأ ذلك الحاضرين. فلم يحصل تبادل للآراء، ولا اتفاق على شيء.

ومن الطبيعي أن أمراً كهذا يحتاج إلى حساب ردات الفعل، فلم يكن ابن زياد وحيداً في الكوفة، بل كان له أنصار، وجند، وكان هناك رؤساء قبائل يمالئونه، ويرون أن مصيرهم مرتبط بمصيره.

ثانياً: إن قتل ابن زياد بهذه الطريقة على يد مبعوث الإمام الحسين «عليه السلام» بالذات، سوف يعطي لمؤيدي الخط الآخر حجة قوية على أهل البيت وشيعتهم، وسيقولون لهم: لم تكن الحرب قد أعلنت بين الحسين وبين بني أمية، وإن كانت إرهاصاتها حاضرة، ولكن من الذي قال: إن الحرب سوف تقع حتماً، فقد تستجد ظروف وأحوال تبعد شبحها. فالإقدام على قتل ابن زياد في هذه الحال لا مبرر

له، وعلى هذا فيصح القول: إن كان بنو أمية يغدرون، ويقتلون الآمنين فأنتم مثلهم، فبأي شيء تمتازون عليهم؟! وهذا يلحق أعظم الضرر بالنهج والمسيرة الحسينية؟! لاسيما مع وصف الحسين لمسلم: بأنه أخوه، وثقته، والمبرز بالفضل من أهل بيته.

وخصوصاً إذا عرف الناس: أن ابن زياد قد جاء ليقوم بعمل إنساني، وهو عيادة مريض كان ولاؤه لخصومه في الرأي، ومخالفيه في الموقف.

ثالثاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» وعلياً وأهل البيت «عليهم السلام» كانوا لا يبدأون أحداً بقتال، ونهيهم مقاتليهم عن فعل ذلك لا يكاد يخفى على أحد.. وهم يجهدون في الوعظ والنصيحة لخصومهم، والاحتجاج عليهم، وبذل قصارى الوسع لثنيهم عن البغي، وإعادة الضال إلى الحق، وترك الحرب.

إذن، فكيف يطلب من مسلم أن يبادر لقتل ابن زياد، وهو لم يحتج عليه، ولم يبدأه ابن زياد بقتال؟!

رابعاً: إن الحسين «عليه السلام» قد أرسل مسلماً إلى الكوفة مستطلعاً آراء أهلها، وممهداً للأمور، وقد أمره بالكتمان. وهذا التصرف ـ أعني قتل ابن زياد ـ لا يتلاءم مع الكتمان، ولا هو في متن مهمة مسلم، فكيف يقدم مسلم على أمر بهذه الخطورة من عند نفسه؟!

خامساً: إذا كان قتل عبيد الله في بيت هاني قد يعرض حياة أهل ذلك البيت للخطر، فإن من حقهم أن يعترضوا على من يفعل ذلك،

فإذا فرض أن هانياً قد تنازل عن حقه، فإن اعتراض تلك المرأة على مسلم، وقسمها عليه بأن لا يفعل، بالإضافة إلى التماس، وتعلق بالأذيال، وبكاء ورجاء ـ إن ذلك ـ يجعل الإقدام على أمر كهذا غير سديد.

قتلتني وقتلت نفسها:

ولعلك تقول: فكيف نفسر إذن ما ذكرته الرواية، من قول هاني: إن تلك المرأة قد قتلته وقتلت نفسها؟!

ونجيب:

بأنه إنما توقع إقدام ابن زياد على الإنتقام والعدوان، ولكن هذا التوقع لا يبرر الإقدام على قتل ذلك الرجل، ما دام لم يصبح محارباً..

ولأجل ذلك لم يرض علي «عليه السلام» بقتل ابن ملجم، بالرغم من أنه «عليه السلام» كان يخبر عنه بأنه هو الذي سيقتله..

من مفاخر مسلم &:

إن امتناع مسلم عن الفتك بعبيد الله بن زياد هو من مفاخر مسلم، ومن إنجازاته الكبرى. وربما كان هذا بالإضافة إلى فاجعة كربلاء من أسباب يقظة ضمائر الكثيرين من الناس، فأعلنوا توبتهم وندمهم، ثم خرجوا ثائرين على الحكام الطاغين، وخاضوا معركة طاحنة في عين الوردة استشهد جلهم فيها. وهؤلاء هم الذين عرفوا بالتوابين.

ولعل من أسباب هذه اليقظة الوجدانية: أنهم رأوا كيف أن مسلماً

لا يقدم على الفتك بعبيد الله، بالرغم من قدرته على ذلك، ولكن عبيد الله وسائر زبانيته وأعوانه قد غدروا بمسلم، وقتلوه، وفعلوا به الأفاعيل..

كما أن مسلماً إنما جاء إلى الكوفة بالتماس من أهلها، لكي يهيئ الظروف لإنقاذهم من واقعهم المزري. وقد بايعوه، وعاقدوه، وعاهدوه على النصر والمؤازرة، والوفاء، وإذ بهم يغدرون به، وينكثون بيعته، ويسلمونه إلى عدوه. فصادف «رحمه الله» الغدر من أوليائه ومن أعدائه على حد سواء.

الفتك في اللغة:

إذا راجعنا كتب اللغة، فسنجد في طيات كلامهم ظلالاً قاتمة لمعنى الفتك، فهم يقولون مثلاً: فتك الرجل: ركب ما همَّ من الأمور، ودعت إليه النفس، وفتك بفلان: بطش به. وقيل: قتله على غفلة(١).

والفتك: القتل بعد الأمان غدراً كما قيل.

لكن الظاهر: أن قتل الغافل فتك، وإن لم يعطه أماناً قبل ذلك(٢).

ففي الفتك إذن انقياد لدواعي النفس، وفيه معنى الغدر، وفيه استغلال لغفلة الآخرين. وهي أمور لا يحب الله أن يراها في أهل الإيمان..

---

(١) أقرب الموارد (مادة فتك).

(٢) لسان العرب ج١٠ ص٤٧٢.

التحريف المشبوه:

المروي هو: أن الإسلام قيد الفتك، وزاد في بعض النصوص قوله: فلا يفتك مؤمن، لكن هناك من أضاف هنا كلمة واحدة. وهي كلمة «بمؤمن» فصارت العبارة هكذا: «فلا يفتك مؤمن بمؤمن»[١].

وهذه إضافة خبيثة، فإن الفتك ممنوع، سواء أكان بالمؤمن أو بغيره، فلا يجوز الفتك بالفاسقين والكافرين، إذا كانوا يعيشون الشعور بالأمن من جهتك. إذ لا يجوز البطش بأي كان من الناس، إذا كنت قد أمنته. أو إذا كان آمناً من ناحيتك.

ويبدو: أن سبب هذه الإضافة هي إثبات الإيمان لعبيد الله بن زياد من خلال مسلم بن عقيل، بزعم: أن مسلماً أحجم عن قتله لأنه مؤمن!!

في حين أن شريك بن الأعور، يقول لمسلم: إن ابن زياد فاسق فاجر منافق[٢].

أو قال: غادر فاجر كافر[٣].

أو قال: فاسق فاجر كافر غادر[٤].

---

(١) راجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧.
(٢) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١.
(٣) إعلام الورى ج١ ص٤٣٩.
(٤) الغارات للثقفي ج٢ ص٧٩٤ ومقاتل الطالبيين ص٦٥.

كما أن هاني بن عروة قد وصف ابن زياد: بأنه فاسق فاجر، كافر، غادر[١].

الفتك بإذن الإمام:

وفي رواية: أن الفتك لا يجوز إلا بأذن الإمام «عليه السلام». وقد حكم الإمام الصادق «عليه السلام» على من فتك بشاتمي أمير المؤمنين «عليه السلام» أن يذبح بمنى كبشاً بكل واحد منهم، ولو أنه قتلهم بإذن الإمام «عليه السلام» لم يكن عليه شيء[٢].

وفي رواية أخرى قال أبو الصباح الكناني: قلت لأبي عبد الله «عليه السلام»: إن لنا جاراً من همدان يقال له: الجعد بن عبد الله، وهو يجلس إلينا، فنذكر علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» وفضله، فيقع فيه، أفتأذن لي فيه؟!

فقال لي: يا أبا الصباح أفكنت فاعلاً؟!

فقلت: إي والله، لئن أذنت لي فيه لأرصدنه، فإذا صار فيها

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وأعيان الشيعة ج٧ ص٣٤٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٢.

(٢) تهذيب الأحكام ج١٠ ص٢١٣ و ٢١٤ والكافي ج٧ ص٣٧٦ وروضة المتقين ج١٠ ص٣١٠ و ٣١١ ووسائل الشيعة (آل البيت) ج٢٩ ص٢٧٢ و (الإسلامية) ج١٩ ص٢٠٤ و ٢٠٥ ومرآة العقول ج٢٤ ص٢١٤.

اقتحمت عليه بسيفي فخبطته حتى أقتله.

قال: فقال: يا أبا الصباح، هذا الفتك وقد نهى رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن الفتك. يا أبا الصباح، إن الاسلام قيد الفتك الخ..(١). أي أنه «عليه السلام» لم يأذن لأبي الصباح بما أراد.

كيف نقرأ كلمة «قيد»؟!:

وهنا سؤال يطرح عن أن كلمة «قيد» هل تقرأ بتشديد الياء، أو تقرأ بتسكينها، فإذا قرئت بتشديدها تكون فعلاً ماضياً، ويصير مفاد الكلام أن الفتك شامل لأكثر من نوع، وقد قيده الإسلام، فرضي ببعض أنواعه، كالفتك بالعدو المحارب.. ولم يرض ببعضها الآخر، وهو الفتك بالمؤمنين الذين هم في أمان من قبل إخوانهم، وهو الأمان الذي فرضه الله، وجعله حقاً لهم.

وإن قرئت بتسكين الياء ـ كما هو الأرجح، والأظهر ـ كان المعنى: أن الإسلام يمنع من الفتك بجميع أنواعه، ولا يجيزه في أي حال..

والشاهد على هذا ثلاثة أمور:

---

(١) الكافي ج٧ ص٣٧٥ وتهذيب الأحكام ج١٠ ص٢١٤ وروضة المتقين ج١٠ ص٣٠٩ والوافي ج١٥ ص٥٠٠ ومدينة المعاجز ج٦ ص١١ و ١٢ ومرآة العقول ج٢٤ ص٢١٣ وراجع: بحار الأنوار ج٤٧ ص١٣٧ ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٣٦٤.

الأول: أنه جعل القيد للفتك من حيث هو، وبملاحظة حقيقة معناه.

الثاني: إنه قال: فلا يفتك مؤمن.. فدل ذلك على انتفاء حقيقة الفتك عن كل مؤمن. أي أنهما ـ أعني صفة الإيمان، وصفة الفتك ـ صفتان متنافرتان. فالإيمان يمنع من الفتك بالآخرين أياً كان نوع هذا الفتك ومورده..

الثالث: إن هذا يدلنا على أن المراد بالفتك ليس هو قتل الغافل، لأن الغافل قد يكون عدواً محارباً، فلماذا يمنع المؤمن من قتله إذا كان لم يحترس لنفسه؟! فإذا جاز للمؤمن قتل المحارب، فإنه يتنافى مع قوله: فلا يفتك مؤمن.. فدلنا ذلك: على أن الفتك هو قتل خصوص من يكون من جهتك في عهد وأمان وفقاً لأحكام الدين، أو من خلال العقد الاجتماعي العام، الذي يبني الناس عليه حياتهم وعلاقاتهم.

فهذه الكلمة المباركة تدلنا بمجموعها على عدم صحة بعض ما ذكره اللغويون في معنى الفتك، فإن الفتك لا يكون فتكاً إلا إذا كان هناك عهد وأمان معطى، ولو من خلال الشرع أو التباني الاجتماعي العام.

وأما قتل العدو المحارب، فلا يعد فتكاً لكي يحتاج إلى استثناء.

عمن يروي مسلم حديث الفتك؟!

نلاحظ: أن رواية أبي الوداك تقول: إن مسلماً قال لشريك: إن الذي منعه من قتل عبيد الله حديث حدثه الناس عن النبي «صلى الله

عليه وآله»: إن الإسلام قيد الفتك، ولا يفتك مؤمن(١).

لكن ابن الأثير الذي يتقيد غالباً بنص الطبري. قد ذكر أن مسلماً قال: إن علياً أمير المؤمنين «عليه السلام» هو الذي حدث بهذا الحديث(٢).

فلماذا يتلاعب هؤلاء بالنصوص؟! وهل بغض علي وأهل البيت «عليهم السلام» يبيح لهم تشويه الحقائق والتدليس على الناس؟!

لم يكن مسلم جباناً:

وقد حاول ابن كثير وغيره الإيحاء للقارئ:

بأن الذي منع مسلماً من قتل ابن زياد هو الجبن(٣) وهو كلام باطل، فإن شجاعته «رحمه الله» لا توصف، كما أظهرته المعركة التي خاضها حين استشهد. وقد شهد له المؤرخون بذلك أيضاً(٤). فراجع.

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ ومقاتل الطالبيين ص٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٣.

(٢) راجع: الكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧.

(٣) راجع: الأخبار الطوال ص٢٣٤ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٥.

(٤) مثير الأحزان ص٣١ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠ والإمامة والسياسة

لا خلاف بين شريك وهاني:

وقد لفت نظرنا إصرار شريك على مسلم أن ينفذ ما طلبه منه، بالرغم من تصريح هاني بعدم رضاه بقتل ابن زياد في داره[1].

ولا نرى تفسيراً لهذا الإصرار إلا أنه يعني أن شريكاً «رحمه الله» كان يرى أن وحدة الحال بينه وبين هاني، والإندماج التام في المشروع الذي يهمهما معاً، ويعملان من أجله يخوله أن يتعامل مع هاني بهذه الطريقة.

ويشهد لذلك قولهم: كان هاني بن عروة مواصلاً لشريك. وحين قدم شريك من البصرة كان هاني هو الذي انطلق إليه حتى أتى به منزله، وأنزله مع مسلم بن عقيل في نفس الحجرة التي كان فيها،

(تحقيق الزيني) ج٢ ص٤ و (تحقيق الشيري) ج٢ ص٨ ولواعج الأشجان ص٤٦ والدر النظيم ص٥٤٢ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٠٦ عن مصادر أخرى.

(١) راجع: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٥ ومقاتل الطالبيين ص٩٩ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ ولواعج الأشجان ص٤٦ والفوائد الرجالية ج٤ ص٣٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٢ والأخبار الطوال ص٢٣٥.

وكان شريك يحث هانياً على القيام بأمر مسلم(١).

اختلافات في الأسماء:

تقدم: أننا إذا لاحظنا نصوص هذه القضية التي جمعت في بعض الموسوعات(٢)، فسنجد بعض موارد الاختلاف فيما بينها، ونريد أن نلفت النظر هنا إلى اختلاف في إسمين هما محور هذه القضية، وهما: شريك وهاني.

فأما بالنسبة لشريك ابن الأعور، فقد سمي: شريك بن عبد الله الأعور الهمداني(٣)، وفي الأخبار الطوال: البصري(٤). لكن البلاذري يقول: وإسم الأعور: الحارث(٥).

وأما بالنسبة لهاني بن عروة، فنقول:

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣٣.

(٢) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٩٨ ـ ١٠٨.

(٣) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١. ومناقب آل أبي طالب (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٠ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ ولواعج الأشجان ص٤٥.

(٤) الأخبار الطوال ص٢٣٣ وراجع: مقتل الحسين للسيد المقرم ص ١٥١.

(٥) أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩. وراجع: فتوح البلدان ج٢ ص٤٨٣ واللباب في تهذيب الأنساب ج١ ص٥٢١.

لقد سماه ابن كثير: بهاني بن حميد بن عروة المرادي(١).

بينما سائر المصادر سمته بهاني بن عروة.

كما أن كون هاني من مراد لا ينافي كونه من مذحج، فإن القبائل الكبيرة تتفرغ منها فروع عديدة، فينسب الشخص تارة إلى القبيلة الأم، وأخرى إلى التي تفرعت عنها.

في بيت شريك أم في بيت هاني؟!:

كما أن ابن كثير يقول: إن مسلماً قد اعتذر لشريك بحديث: «الإيمان قيد الفتك»، لا يفتك مؤمن، وكرهت أن أقتله في بيتك(٢).

وهذا معناه: أن شريكاً كان في بيته، لا في بيت هاني بن عروة. كما أن مسلماً «عليه السلام» هو الذي كره قتله في بيت شريك، ولم يكن الكاره هاني، ولا تلك المرأة التي يقال: إنها هي أقسمت عليه ألا يفعل.

متى علم ابن زياد بما دبروه له؟!:

تذكر بعض الروايات أو يستظهر منها: أن ابن زياد قد عرف حين عيادته لهاني أو لشريك أن أمراً ما قد دبر له. أو وقع في قلبه أمر من الأمور، كما يقول ابن أعثم.

وفي بعض الروايات: أن بعض أعوانه، أو بعض رجال شرطته

---

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤.

(٢) البداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤.

أخبره بأنه نجا من القتل، وهي ليست صريحة في أنه قد عرف ذلك فور خروجه من بيت هاني، أو من منزل شريك..

في حين أننا نجد في رواية أبي الوداك تصريحاً: بأنه علم بالأمر بعد قتل هاني ومسلم «رحمهما الله». فهي تقول: «وبلغ عبيد الله بعد ما قتل مسلماً وهانئاً: أن ذلك الذي كنت سمعت من شريك في مرضه، إنما كان يحرض مسلماً، ويأمره بالخروج إليك ليقتلك.

فقال عبيد الله: والله، لا أصلي على جنازة رجل من أهل العراق أبداً. ووالله، لولا أن قبر زياد فيهم لنبشت شريكاً»(١).

محاولة لاغتيال ابن زياد:

وآخر ما نقوله هنا: إن ثمة محاولة أخرى لقتل ابن زياد بذلها عمار بن أبي سلامة الدالاني، وذلك في عسكره بالنخيلة، فلم يمكنه ذلك، فلطف حتى لحق بالحسين «عليه السلام» فقتل معه(٢).

ولكننا لا نملك الكثير من تفاصيل هذه المحاولة التي تبدو لنا جريئة وقوية، من حيث إنه رجل واحد استطاع أن ينجو من كل زبانية ابن زياد وجنده وأعوانه الذين كانوا في المعسكر. ولا شك في أنهم أعداد كبيرة. فلولا أن هذا الرجل كان بارعاً وشجاعاً، فإن نجاته

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧١.

(٢) أنساب الأشراف ج٣ ص٣٨٨ و (ط دار التعارف) ج٣ ص١٨٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٣.

في ظرف كهذا، ومن بين هذه الأعداد الكبيرة تكاد تلحق بالكرامة له «رضوان الله تعالى عليه».

ومما يؤكد ذلك: أن هذا الرجل الباسل حين هرب من المعسكر واجه على جسر الصراة خمسمائة فارس بقيادة زجر بن قيس الجعفي يمنعون من يريد الخروج إلى الحسين «عليه السلام»، فمر بهم عامر، فقال زجر: قد عرفت حيث تريد، فارجع.

فحمل عليه وعلى أصحابه فهزمهم، ومضى وليس أحد منهم يطمع في الدنو منه(١).

وهذه شجاعة نادرة تجعلنا نصدق الكثير مما قد يعتبره بعض القاصرين أنه من المبالغات أو الخيالات.

---

(١) مقتل الحسين للمقرم ص١٩٩ عن كتاب الإكليل للهمداني ج١٠ ص٨٧ و ١٠١.

الفصل السابع:

إستدراج هاني إلى القصر..

حديث معقل:

وبعد موت شريك بن عبد الله استطاع ابن زياد أن يعرف مكان نزول مسلم بن عقيل من خلال جاسوس من أهل الشام يقال له: معقل، وهو تميمي.

ونُلخص ما جرى كما يلي:

إن ابن زياد أعطى مولى يقال له: معقل ثلاثة آلاف درهم، ليجعلها وسيلته للوصول إلى مسلم بن عقيل وأصحابه، ويعطيهم إياها ليستعينوا بها على حرب عدوهم، وأمره بأن يواصل تردده عليهم، لأن انقطاعه عنهم يوجب شكهم في أمره، ويدفعهم إلى الانتقال إلى منزل آخر سيكون من الصعب على ابن زياد أن يظفر به.

فلقى مسلم بن عوسجة في المسجد الأعظم، وهو يصلي، وسمع الناس يقولون: إن هذا يبايع للحسين «عليه السلام».

وفي الأخبار الطوال: إن معقلاً نظر إلى رجل يكثر الصلاة إلى سارية من سواري المسجد، فقال في نفسه: إن هؤلاء الشيعة يكثرون الصلاة، وأحسب هذا منهم. فانتظره حتى إذا انفتل من صلاته تقدم إليه وادعى له: أنه يحب أهل البيت. وطلب منه لقاء مسلم، ليعطيه المال، ويبايعه.

فأخذ مسلم بن عوسجة بيعته، والمواثيق المغلظة على المناصحة والكتمان.

ثم طلب منه: أن يختلف إليه أياماً في منزله، إلى أن يستأذن له بالدخول على مسلم بن عقيل، فمات شريك بن الأعور، فشغلهم ذلك، ثم أدخله عليه بعد موت شريك واعتذر لمعقل.

فأخذ ابن عقيل بيعته، وأمر أبا ثمامة الصائدي، فقبض منه المال ـ وأبو ثمامة هو الذي كان يقبض الأموال، ويشتري لهم السلاح.

وصار معقل يختلف إليهم، فيكون أول داخل، وآخر خارج، يسمع أخبارهم، ويعلم أسرارهم، وينقلها إلى ابن زياد(١).

---

(١) راجع هذه القصة باختصار تارة وتطويل أخرى في موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص١١٢ ـ ١١٦ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و ٣٦٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٩ و ٢٧٠ ومقاتل الطالبين ص١٠٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٦٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ و ٢٨ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٤٥ و ٤٦ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٩ وأنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٦ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٧٩ ومروج الذهب ج٣ ص٧ والبداية والنهاية ج٨ ص١٥٣ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٦٤ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٢ و ٣٤٣ والأخبار الطوال ص٣٣٥ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠١ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٧ والإصابة ج٢ ص٧٠ وتذكرة الخواص (ط النجف) ص٢٤١ والحدائق الوردية ج١ ص١١٥

وقبل أن نتابع الحديث عن الحوادث التالية، نشير إلى أمرين:

أحدهما: تقدم: أننا لا نحتاج إلى رصد الاختلافات بين النصوص في المصادر المختلفة، لأن الأمر سيكون قليل الفائدة، فإن غالبها اختلافات لا تضر في أصل الموضوع.

الثاني: إن النص المتقدم يؤكد على أن من سمات شيعة أهل البيت «عليهم السلام» الاهتمام بالعبادة، وكثرة الصلاة، وظهور الصلاح، وأن عليهم سيماء الخير.

وقد ذكرنا في أواخر غزوة بدر في كتاب الصحيح من سيرة النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» تحت عنوان: «خصائص الشيعة» موارد كثيرة من خصال الخير، إشتهر بها شيعة أهل البيت «عليهم السلام»، فلا بأس بمراجعته.

لا ضعف في الإحتياطات الأمنية:

وقد يحاول بعض الإخوة الأكارم تسجيل تحفظ على العاملين مع مسلم بن عقيل، فإنهم لم يتخذوا التدابير الكافية لمنع أمثال معقل من

ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٢ ومثير الأحزان ص٣٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٢١ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩٠ وراجع: روضة الواعظين ص١٧٤ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣١ ولواعج الأشجان ص٤٦ و ٤٧ والفوائد الرجالية ج٤ ص١٩ و ٢٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١.

النفوذ إلى أعماق حركة مسلم، والحصول على أسرارها، وأخبارها، والتعرف على رموزها والفاعلين فيها..

ويتأكد لزوم الإحتياط بإخباره إياهم بأنه من بلاد الشام، من حمص؛ فإنه كما يمكن أن يكون صديقاً وصادقاً فيما يدعيه، يمكن أن يكون عدواً يتربص بهم الدوائر..

لاسيما مع ظهور سعي ابن زياد لدس الرجال إليهم، وبث العيون عليهم(١).

غير أننا نقول:

إن مسلماً ومن معه كانوا يبذلون غاية الجهد في التكتم والتعمية على أعدائهم، بدليل أنهم بالرغم من أنهم استطاعوا الاتصال بعشرات الألوف، وأخذوا منهم بيعتهم للحسين «عليه السلام»، وهيأوا لفريق منهم يبلغ نحو أربعة آلاف رجل، دوراً ينزلون فيها، ويكونون على أهبة الاستعداد لأي طارئ..

فإن ابن زياد، وأعوانه لم يتمكنوا من أن يعرفوا شيئاً عنهم، وعن مكان وجودهم، وكيفية نشاطهم..

وهذا يدل على حسن تدبير لا نظير له، وعلى دقة، وسلامة مسيرهم.

بل ذلك هو الغاية في دقة وسلامة الإجراءات التي يتخذونها.

---

(١) حياة الإمام الحسن للقرشي ج٢ ص٣٦٩.

وحصول اختراق في مورد واحد، وهو مورد معقل لا يقلل من قيمة تلك الإجراءات، ولا يفقدهم صفة الدقة، والتدبير، والسياسة في أعلى مراتبها، فإن من الطبيعي أن تقتحم حريم هذه التدابير، وتفرض عليها درجة من العجز والعقم، والخواء حالات تأتي من خارج محيطها.

فمثلاً، إذا كان هناك ظرف فرض على أحد أبرز وأهم القادة الثقات الأبرار كمسلم بن عوسجة أن يكون هو همزة الوصل لمرة واحدة بين شخص ـ كمعقل ـ وبين القائد الأعلى وهو مسلم بن عقيل، فإن من يتابع تطبيق إجراءات البحث والتقصي عن حالات الأشخاص سيقع في غفلة قسرية يفرضها عليه موقع مسلم بن عوسجة، وإخلاصه، وشدة حرصه على هذا الأمر ودرجة احتياط فيه.

فلا يكاد يخطر في بال هؤلاء إلا أن معقلاً لا بد أن يكون من أوثق الناس، لكي يرضى ابن عوسجة بأن يكون وسيلته إلى الوصول إلى مسلم بن عقيل.

فإذا صاحب هذا الشعور شعور آخر يفرض نفسه على ابن عوسجة نفسه، وهو أن الجهاز المتكفل بالبحث عن سوابق الأشخاص وانتماءاتهم، ومدى وثاقتهم، سوف لن يقصر في القيام بالمطلوب منه تجاه معقل وغيره، فإن الأسباب تكون قد تضافرت وتوافرت على إنتاج غفلة قهرية عن أمر معقل هذا.

وبذلك يظهر: أن الأمر لا ينطلق من سذاجة قاتلة، ولا من تقصير أو قصور في الإجراءات الوقائية، بل من أمر طبيعي فرض

نفسه على الشعور البشري، وتبلور على شكل غفلة لا يمكن دفعها فيما نعرفه في طبائع البشر وحالاتهم.

عبد الله بن يقطر الشهيد المظلوم:

١ ـ قال ابن أعثم:

فبينا عبيد الله بن زياد من هؤلاء القوم في محاورة، إذ دخل عليه رجل من أصحابه يقال له: عبد الله [في الخوارزمي: مالك] بن يربوع التميمي، فقال: أصلح الله الأمير! ههنا خبر.

فقال له [ابن] زياد: وما ذاك؟!

قال: كنت خارج الكوفة أجول على فرسي وأقلبه، إذ نظرت إلى رجل قد خرج من الكوفة مسرعاً يريد البادية، فأنكرته، ثم لحقته، وسألته عن حاله وأمره، فذكر أنه من أهل المدينة.

ثم نزلت عن فرسي ففتشته، فأصبت معه هذا الكتاب.

قال: فأخذ عبيد الله بن زياد الكتاب ففضه وقرأه، وإذا فيه مكتوب:

بسم الله الرحمن الرحيم

للحسين بن علي، أما بعد، فإني أخبرك أنه قد بايعك من أهل الكوفة نيف وعشرون ألفاً، فإذا بلغك كتابي هذا فالعجل العجل، فإن الناس كلهم معك، وليس لهم في يزيد بن معاوية رأي ولا هوى ـ والسلام ـ.

قال: فقال ابن زياد: أين هذا الرجل الذي أصبت معه هذا

الكتاب؟!

قال: بالباب.

فقال: ائتوني به!

فلما دخل ووقف بين يدي ابن زياد، قال له: من أنت؟!

قال: أنا مولى لبني هاشم.

قال: فما اسمك؟!

قال: اسمي عبد الله بن يقطين.

قال: من دفع إليك هذا الكتاب؟!

قال: دفعه إلي امرأة لا أعرفها.

قال: فضحك عبيد الله بن زياد وقال: أخبرني واحدة من ثنتين: إما أن تخبرني من دفع إليك هذا الكتاب، فتنجو من يدي، وإما أن تقتل.

فقال: أما الكتاب فإني لا أخبرك من دفعه إلي، وأما القتل فإني لا أكرهه، فإني لا أعلم قتيلاً عند الله أعظم ممن يقتله مثلك.

قال: فأمر عبيد الله بن زياد بضرب عنقه، فضربت رقبته صبراً ـ رحمه الله ـ(١).

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠٣ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٣ والعوالم، الإمام الحسين ص١٩٢ و ١٩٣.

٢ ـ عن بكر بن مصعب المزني:

كانَ الحُسَينُ «عليه السلام» لا يَمُرُّ بِأَهلِ ماءٍ إلّا اتَّبَعوهُ، حَتّى إذا انتَهى إلى زُبالَة، سَقَطَ إلَيهِ مَقتَلُ أخيهِ مِنَ الرَّضاعَةِ؛ مَقتَلُ عَبدِ اللهِ بنِ بُقطُرٍ، وكانَ سَرَّحَهُ إلى مُسلِمِ بنِ عَقيلٍ مِنَ الطَّريق، وهُوَ لا يَدري أنَّهُ قَد أُصيبَ، فَتَلَقّاهُ خَيلُ الحُصَينِ بنِ تَميمٍ [لعل الصحيح: نمير. وتميم تصحيف عنها] بِالقادِسِيَّةِ، فَسَرَّحَ بِهِ إلى عُبَيدِ اللهِ بنِ زِيادٍ.

فَقالَ: اِصعَد فَوقَ القَصرِ، فَالعَنِ الكَذّابَ ابنَ الكَذّابِ، ثُمَّ انزِل حَتّى أرى فيكَ رَأيي.

قالَ: فَصَعِدَ، فَلَمّا أشرَفَ عَلَى النّاسِ قالَ: أيُّهَا النّاسُ! إنّي رَسولُ الحُسَين بنِ فاطِمَةَ بِنتِ رَسولِ اللهِ «صلى الله عليه وآله»، لِتَنصُروهُ وتُوازِروهُ عَلَى ابنِ مَرجانَة، ابنِ سُمَيَّةَ الدَّعِيِّ [وعند الخوارزمي: ودعا للحسين «عليه السلام» ولعن يزيد بن معاوية، وعبيد الله بن زياد، وأبويهما].

فَأَمَرَ بِهِ عُبَيدُ اللهِ فَأُلقِيَ مِن فَوقِ القَصرِ إلَى الأَرضِ، فَكُسِرَت عِظامُهُ وبَقِيَ بِهِ رَمَقٌ، فَأَتاهُ رَجُلٌ يُقالُ لَهُ: عَبدُ المَلِكِ بنُ عُمَيرٍ اللَّخمِيُّ، فَذَبَحَهُ، فَلَمّا عيبَ ذلِكَ عَلَيهِ قالَ: إنَّما أرَدتُ أن أُريحَهُ(١).

---

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢١٢ ـ ٢١٥ عن المصادر التالية: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤٢ والطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ و ٤٧٨ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٨

ونقول:

لاحظ الأمور التالية:

متى حدث هذا؟!:

يفهم من كلام ابن أعثم: أن حديث عبد الله بن يقطر قد حصل بعد موت شريك بن الأعور، وقبل سعي ابن زياد إلى استقدام هاني بن عروة إلى القصر، بواسطة محمد بن الأشعث وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج.

ولأجل ذلك ذكرناه هنا، لأننا نود أن نراعي التسلسل الطبيعي للأحداث.

ابن يقطر أو ابن يقطين:

ونلاحظ أن ثمة اختلافاً في الأسماء هنا، ففي بعض المصادر:

وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٨ و (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨١ والأمالي الشجرية ج١ ص١٧٢ والحدائق الوردية ج١ ص١٢١ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٧٧ وأنساب الأشراف ج٣ ص٢٧٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٢٨ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣١٠ وراجع: نهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٤ و ٤١٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٨ ولواعج الأشجان ص٨٥ و ٨٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٥ وروضة الواعظين ص١٧٧ و ١٧٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٦ وتاريخ الكوفة ص٣٢٢ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٠٦.

أنه ابن بقطر، بالباء الموحدة المضمومة ـ بوزن عصفر ـ[١].

وفي بعضها: أنه ابن يقطر ـ بفتح الياء المثناة ـ[٢].

وفي فتوح ابن أعثم، وتسلية المجالس لمحمد بن أبي طالب[٣]: «ابن يقطين».

ونحتمل أن تكون: كلمة يقطين مصحفة عن كلمة يقطر، لتقارب رسم الكلمتين.

وقد يشهد لذلك: أن الخوارزمي الذي ينقل هذه الوقائع عادة عن ابن أعثم الكوفي، قد سماه «عبد الله بن يقطر». فإنه قد صرح في أول الفصل الذي أورد فيه هذه الحادثة: بأنه ينقل كلام ابن أعثم.

ولم نجد بين النص الذي في الفتوح والنص الذي نقله الخوارزمي ما يوجب نقض هذا الانطباع، فإنها نصوص شديدة التقارب، ولا تختلف إلا في كلمات يسيرة لا تضر بالمضمون، ولا تغير ولا تزيد فيه شيئاً. أي أنها لا تزيد على الاختلاف الذي يكون بين نسخ الكتاب

(١) راجع: رجال ابن داود ص٢١٧ و (ط المكتبة الحيدرية) ص١٢٥ وقاموس الرجال ج٦ ص٦٦٦ وراجع: إبصار العين للسماوي ص٥٢ و ٥٣ و (ط سنة ١٤١٩هـ) ص٩٤ وذخيرة الدارين للحائري ج١ ص٢٨٤.

(٢) خلاصة الأقوال للعلامة (ط حجرية) ص٥١ ومنهج المقال ص٢١٤ وذخيرة الدارين ج١ ص٢٨٣ و ٢٨٤ وراجع: قاموس الرجال ج٦ ص٦٦٦ وإبصار العين ص٥٢ و ٥٣.

(٣) راجع: تسلية المجالس ج٢ ص١٨٢ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٥.

الواحد.

رضيع الحسين ×:

وقد ذكرت الروايات والمصادر: أن عبد الله بن يقطر كان رضيع الحسين «عليه السلام»[1]. في حين أننا قد قلنا في الجزء الثاني من

---

(١) راجع: موسوعة الإمام الحسين «عليه السلام» ج٣ ص٣٨٨ ـ ٣٩١ عن كثير من المصادر، ونذكر منها، ونضيف إليها غيرها ما يلي: تاريخ الكوفة ص١٠٣ و ٣٢٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٤٤ والأمالي لابن الشجري ج١ ص١٧٢ وتسمية من قتل مع الحسين ص١٥٢ والحدائق الوردية ج٢ ص١٢١ وذخيرة الدارين ج١ ص٢٨٣ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٧٧ وجمل من أنساب الأشراف ج٣ ص٣٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٥٩ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٧١ و ٧٢ وروضة الواعظين ص١٥٢ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٢٨ و ٢٢٩ وج٢ ص٢٠٣ و ٤٧ والكامل في التاريخ ج٣ ص٢٧٨ و ٣٠٣ وج٤ ص٩٣ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٤ والفصول المهمة لابن الصباغ (ط النجف) ص١٨٩ و ١٩٧ و ١٩٨ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٠ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٧٧ والثقات لابن حبان ج٢ ص٣١٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٣٣٣ والإختصاص ص٧٨ و (ط دار المفيد) ص٨٣ ورجال الطوسي ص٧٦ ونقد الرجال للتفرشي ص٢١٠ ومنتهى المقال ج٤ ص٢٥٨ وإعلام الورى ص٢٢٨ والبداية والنهاية ج٨ ص١٦٨ و ١٨٩ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٧٧ والخرايج والجرايح ج٢ ص٥٥٠

هذا الكتاب: إن هذا غير دقيق، وذلك لما يلي:

١ ـ روي عن الإمام الصادق «عليه السلام» قوله: ولم يرضع الحسين «عليه السلام» من فاطمة، ولا من أنثى. ولكنه كان يؤتى به النبي، فيضع إبهامه في فيه، فيمص منها ما يكفيه اليومين والثلاثة، فينبت لحم الحسين من لحم رسول الله، ودمه[1].

٢ ـ وهناك رواية أخرى بهذا المضمون عن الإمام الصادق «عليه السلام» أيضاً[2].

والإصابة ج٣ ص٥٨ ورجال ابن داود ص١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٤٨.

(١) الكافي ج١ ص٤٦٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٨ و ٢٣٣ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٤٨ والعوالم، الإمام الحسين ص٢٤ و ١١٥ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٥ وج٤ ص١٤٥ وتفسير كنز الدقائق ج١٢ ص١٨٥ وتفسير نور الثقلين ج٥ ص١٤ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٤٠ وتأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٥٨٠ ومرآة العقول ج٥ ص٣٦٥ وكامل الزيارات ص١٢٤.

(٢) الإمامة والتبصرة ص١٨٢ و (ط مدرسة الإمام المهدي سنة ١٤٠٤هـ) ص٥١ و ٥٢ وعلل الشرائع (ط المكتبة الحيدرية سنة ١٣٨٥) ج١ ص٢٠٦ وبحار الأنوار ج٢٥ ص٢٥٤ و ٢٥٥ وج٤٣ ص٢٤٥ والعوالم، الإمام الحسين «عليه السلام» ج١٧ ص٢٣ و ٢٤ ومستدرك سفينة البحار ج٢ ص٣٠٠ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٤٠ وتفسير كنز الدقائق ج١٢ ص١٨٤.

٣ ـ وروي هذا المعنى أيضاً عن أبي الحسن الرضا، وفي آخر الرواية قال: ولم يرتضع من أنثى(١).

٤ ـ وعن الحسين بن زيد عن آبائه «عليهم السلام»: ولم يرضع الحسين «عليه السلام» من أنثى حتى نبت لحمه ودمه من ريق رسول الله «صلى الله عليه وآله»(٢).

٥ ـ وهناك رواية تقول: اعتلّت فاطمة «عليها السلام» لما ولدت الحسين «عليه السلام»، وجف لبنها؛ فطلب رسول الله «صلى الله عليه وآله» مرضعاً، فلم يجد. فكان يأتيه فيلقمه إبهامه، فيمصها، ويجعل الله له في إبهام رسول الله رزقاً يغذوه(٣).

ألم يرتضع الحسين من أمه ÷؟!:

ونستطيع أن نفهم من الروايات المتقدمة، ولاسيما الرابعة

---

(١) الكافي ج١ ص٤٦٥ ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٤٨ وبحار الأنوار ج٤٤ ص١٩٨ ومرآة العقول ج٥ ص٣٦٥ و ٣٦٦ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٥.

(٢) تأويل الآيات الظاهرة ج٢ ص٥٧٩ وبحار الأنوار ج٢٣ ص٢٧٢ والبرهان (تفسير) ج٥ ص٤٢ وتفسير كنز الدقائق ج١٢ ص١٨١.

(٣) مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٥٠ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٠٩ عن كتاب الغرر، لابن خيرانة، ومدينة المعاجز ج٣ ص٤٩٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢١ وشجرة طوبى ج٢ ص٢٦٢ وبحار الأنوار ج٤٣ ص٢٥٤.

والخامسة منها: أن الحالة التي طرأت على السيدة الزهراء، هي التي جعلت النبي «صلى الله عليه وآله» يغذوه من إبهامه الشريف، وأن ذلك استمر إلى حين نبت لحمه ودمه «عليه السلام». ولعل هذا استمر أياماً، ثم زال العارض.

فيصح أن يقال: إنه «عليه السلام» في هذه الفترة لم يرتضع من أنثى قط.

وحتى بعد أن صار يرتضع من أمه، فإنه يصح أن يقال أيضاً: إنه لم يرتضع من أنثى، على معنى أنه لم يرتضع من غيرها «عليها السلام» قط. فإن احتمال أن يكون هذا هو المقصود ليس بالأمر المستهجن.

لماذا الحديث عن المرضعات والحواضن؟!:

وأما الحديث عن المرضعات له «عليه السلام»، فلعل سببه هو أن بعض النسوة كن يكثرن الدخول على السيدة الزهراء «عليها السلام»، ويساعدنها في أمور ترتبط بالمولود المبارك ورعايته طلباً للمثوبة، والتماساً للبركة، فأطلق عليها من الأوصاف التي تحكي هذا الواقع ما أوهم البعض أنها كانت ترضع الإمام الحسين «عليه السلام».

وربما ساعد على ذلك: أنه كان لتلك النسوة أولاد في سن يناسب سن الإمام الحسين «صلوات الله وسلامه عليه».

الكتاب ممن، وإلى من؟!:

١ ـ صرح النص المتقدم عن ابن أعثم: بأن عبد الله بن يقطر قد اعتقل وهو خارج من الكوفة ومعه رسالة يريد أن يوصلها إلى الإمام الحسين «عليه السلام».

والنظر في مضمون الكتاب يعطينا:

أولاً: أن مرسله هو مسلم بن عقيل، فإن مضمونه يشبه مضمون الكتاب الذي أرسله «رحمه الله» إلى الحسين فور انتقاله إلى بيت هاني بن عروة، إلا أنه يفترق عنه في الرقم الذي ذكره عن عدد المبايعين له..

ثانياً: إنه «رحمه الله» قد ذكر في رسالته الأولى التي أرسلها إلى الإمام الحسين «عليه السلام» من بيت هاني: أن عدد المبايعين له هو ثمانية عشر ألفاً.

لكن في هذه الرسالة تذكر: أن عددهم هو نيف وعشرون ألفاً.

وإذا اعتبرنا النص الذي يذكر أنه كتب إليه أن عدد المبايعين له هو اثنا عشر ألفاً.

وقلنا: إن هذه الرسالة لعلها أرسلت إلى الإمام الحسين حين كان مسلم في بيت المختار.. فإننا نخرج بنتيجة تقول: إن مسلماً «رحمه الله» قد كتب إلى الإمام الحسين «عليه السلام» ثلاث رسائل متتالية، تضمنت كل واحدة منها رقماً يختلف عن الذي تضمنته الرسائل الأخرى.

وهناك كتاب رابع أرسله مسلم أيضاً إلى الإمام الحسين «عليه السلام» قبل أن يقتل مسلم بسبع وعشرين ليلة. وكتب إليه أهل الكوفة: إن لك ههنا مئة ألف سيف، فلا تتأخر[١].

٢ ـ بالنسبة للنص المتقدم الذي يقول: إن عبد الله بن يقطر كان رسول الإمام الحسين «عليه السلام» إلى الكوفة. وأنه ألقي من فوق القصر في الكوفة ثم ذبح[٢].

نقول:

إن نفس هذه القصة قد نسبها جمع آخر إلى قيس بن مسهر الصيداوي[٣].

---

(١) الإرشاد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢١٧ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٩ و ٣٧٠ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٥ والحدائق الوردية ج١ ص١٢١ ولواعج الأشجان ص٣٥ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ والمجالس الفاخرة ص٢١٧.

(٢) تقدمت مصادر هذه القصة، فلا حاجة إلى الإعادة.

(٣) موسوعة الإمام الحسين ج٣ ص٢١٦ ـ ٢١٨ عن المصادر التالية: الإرشاد ج٢ ص٦٩ و (ط دار المفيد) ج٢ ص٧١ ومثير الأحزان ص٤٢ و (ط المكتبة الحيدرية) ص٣٠ و ٣١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٦٩ و ٣٧٠ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩٥ و (ط المكتبة الحيدرية) ج٣ ص٢٤٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٠ والحدائق الوردية ج١ ص١٢١ وتاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٤٠٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧ والكامل

بل هناك من ادعى: أن عبد الله بن يقطر قد استشهد في كربلاء[1]. لا في الكوفة.

إلا أن يكون مراده: أنه استشهد في سياق النهضة الحسينية المباركة، وإن كان هذا من الاحتمالات البعيدة أيضاً.

وربما يكون ابن زياد قد كرر محاولته كسر إرادة هؤلاء الصفوة، ففرض على ابن يقطر نفس ما فرضه على قيس بن مسهر الصيداوي، فجاءت النتيجة متوافقة، كما أظهرته الوقائع.

وليس من البعيد أيضاً: أن يكون الرواة قد خلطوا بين قيس بن مسهر، وبين عبد الله بن يقطر، فذكروا ما فعله عبد الملك بن عمير اللخمي تارة بالنسبة لقيس بن مسهر، وأخرى بالنسبة لعبد الله بن يقطر. مع أن بعض الروايات تقول: إن ابن زياد قد ضرب عنق ابن يقطر صبراً.. وهذا يقوي احتمال أن تكون قصة اللخمي مع ابن

في التاريخ ج٤ ص٤١ وروضة الواعظين ص١٩٦ و (منشورات الشريف الرضي) ص١٧٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٦ وتجارب الأمم ج٢ ص٦٠ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤١ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨١ وتاريخ الكوفة ص٣٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤١٣ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٨ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص١٦٣.

(١) البداية والنهاية ج٨ ص١٨٩ و (ط دار إحياء التراث) ص٢٠٦ وراجع: الثقات لابن حبان ج٢ ص٣١٠.

مسهر.

ولا نستبعد أيضاً أن يكون ابن زياد قد رأى أنه بعد أن ألقي ابن يقطر من أعلى القصر قد بقي به رمق، فأمر بضرب عنقه صبراً.

رسول الحسين بن فاطمة ‘:

ويلاحظ: أن عبد الله بن يقطر حين صعد القصر لم يقل للناس: أنا رسول الحسين بن علي «عليه السلام»، بل قال: إني رسول الحسين بن فاطمة، بنت رسول الله «صلى الله عليه وآله»، لمعرفته بأن هذا سيكون أشد وقعاً على ابن زياد، وغيره من أعداء علي والحسين، وأهل البيت «عليهم السلام».

فإن هؤلاء الأعداء كانوا بين نارين، فمن جهة هم لا يطيقون ذكر علي «عليه السلام»، ويسعون لطمس هذا الاسم، ومن جهة ثانية لا يريدون نسبة الحسين «عليه السلام» إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله». فإن هذه الصلة القريبة به «صلى الله عليه وآله» تجعل الناس ينظرون إليه بعين الرضا والمودة، فكيف إذا كان أعداء الله يريدون دفعهم إلى قتله، وإبادة أهل بيته، وذريته، وشيعته، وكل من يتعاطف معه؟!

ولأجل هذا حاولوا إنكار بنوة الحسنين «عليهما السلام» لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، حتى كانوا يعاقبون من يقول ذلك بالقتل، كما دلت عليه قصة الحجاج مع ابن يعمر، وغيرها. وكانوا يعتمدون في سياستهم هذه على منطق أهل الجاهلية الذي يقول:

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا بنوهن أبناء الرجال الأباعد

وقد تكلمنا حول هذا الموضوع في جزء سابق من هذا الكتاب، وفي كتاب: الحياة السياسية للإمام الحسن «عليه السلام».

وقد كان عبد الله بن يقطر مدركاً لهذا الأمر، ولذا رأيناه يسير في الاتجاه الصحيح حين ينسب الحسين «عليه السلام» إلى فاطمة أولاً، ثم إلى جده النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» ثانياً.

وقد زاد في توضيح هذا الأمر حين وضع أمام أعين الناس معادلة لا لبس فيها، تجعلهم يقارنون ويختارون، بين أن يكونوا أنصار ابن فاطمة وابن النبي الأعظم، وهما أقدس الناس، وأطهرهم بنص القرآن، وبين أن يكونوا أنصار دعي وابن دعي، ومن تكون أمه مرجانة، وأمه سمية المشهورتان بممارسة الفاحشة.

ابن يقطر ثاني الشهداء:

والظاهر: أن عبد الله بن يقطر كان الشهيد الثاني في المسيرة الحسينية المباركة بعد استشهاد سليمان بن رزين «رحمه لله» في البصرة.

وأما استشهاد قيس بن مسهر، فكان بعد استشهاد ابن يقطر، لأن خبر مقتل ابن يقطر قد بلغ الإمام الحسين «عليه السلام» حين كان بزبالة في طريقه إلى العراق. أي في الوقت الذي بلغه فيه استشهاد مسلم وهاني «رضوان الله تعالى عليهما». وزبالة تبعد مئات الأميال عن الكوفة..

أما خبر استشهاد قيس بن مسهر، فقد بلغ الإمام الحسين «عليه السلام»، حين بلغ عذيب الهجانات.

وعذيب الهجانات: ماء يبعد أربعة أميال فقط عن القادسية، التي هي قرب الكوفة[١].

(١) معجم البلدان ج٤ ص٩٢.

الباب السادس:

القيام.. والإستشهاد..

الفصل الأول:

الشهيد هاني بن عروة..

هاني الأسير المظلوم:

وبعد موت شريك، ودسّ ابن زياد معقلاً التميمي الشامي، وانكشاف أمر مسلم لابن زياد، وعرف أنه في بيت هاني بن عروة، بادر ابن زياد لاستدراج هاني إلى قصر الإمارة، وقبض عليه ونكل به..

ونستطيع تلخيص ما ورد في المصادر المختلفة في حكاية ما جرى على النحو التالي:

عن أبي الوداك[1] قال: كان هاني يغدو ويروح إلى عبيد الله، فلما نزل به مسلم انقطع عنه، وتمارض. فقال ابن زياد لجلسائه (وعن الإمام الباقر «عليه السلام»: قال لوجوه أهل الكوفة[2]): ما لي لا

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٢.

(٢) رواية الإمام الباقر «عليه السلام» عن: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٤ وتهذيب التهذيب ج١ ص٥٩١ و (ط دار الفكر) ج٢ ص٣٠٢ و ٣٠٣ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٧ والإصابة (ط دار الكتب العلمية) ج٢ ص٧٠ وعن تذكرة الخواص ص٢٤٢ والأمالي الشجرية ج١ ص١٩١ والحدائق الوردية عن السجاد «عليه السلام» ج١ ص١١٥ وراجع: الثقات لابن

أرى هانياً؟!

فقالوا: هو شاك.

فقال: لو علمت بمرضه لعدته.

(وفي رواية الإمام الباقر «عليه السلام»: فخرج إليه محمد بن الأشعث في ناس من قومه الخ..).

وفي رواية أبي الوداك قال: ودعا عبيد الله محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، وعمرو بن الحجاج الزبيدي ـ الذي كانت أخته روعة تحت هانئ بن عروة، وهى أم يحيى بن هانئ ـ فقال لهم: ما يمنع هانئ بن عروة من إتياننا؟!

قالوا: ما ندري أصلحك الله، وإنه ليشتكي.

قال: قد بلغني أنه قد برئ، وهو يجلس على باب داره. فالقوه فمروه ألّا يدع ما عليه في ذلك من الحق، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

(**وفي نص آخر:** عن عيسى بن يزيد الكناني: أن عبيد الله أرسل إلى محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، فقال: ائتياني بهانئ.

فقالا له: إنه لا يأتي إلا بالأمان.

فقال: وما له وللأمان؟! وهل أحدث حدثاً؟! انطلقا، فإن لم يأت إلا

حبان ج٢ ص٣٠٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٩ وج٣٣ ص٦٨٣.

بأمان فآمناه.

فأتياه فدعواه، فقال: إنه إن أخذني قتلني. فلم يزالا به حتى جاءا به، وعبيد الله يخطب يوم الجمعة، فلما صلى عبيد الله قال: يا هانئ. فتبعه ودخل، فسلم الخ..)(١).

وفي رواية أبي الوداك: إن هاني حين دنا من القصر، قال لحسان بن أسماء بن خارجة: يا ابن أخي، إنى والله لهذا الرجل لخائف، فما ترى؟!

قال: أي عم، والله ما أتخوف عليك شيئاً، ولم تجعل على نفسك سبيلاً، وأنت بريء؟!

وزعموا: أن أسماء لم يعلم في أي شيء بعث إليه عبيد الله. فأما محمد، فقد علم به.

فلما طلع قال عبيد الله: أتتك بحائن (من الحين، وهو الموت، أو بخائن) رجلاه. وكان شريح القاضي عنده، ثم التفت إلى هاني وقال:

أريد حباءه ويريد قتلي عذيرك من خليلك من مراد

فسأله عبيد الله بن زياد عن مكان مسلم، وذكر له أنه أدخله داره وجمع له السلاح والرجال في الدور حوله، فأنكر هاني ذلك، فواجهه بمعقل، فعرف أنه كان جاسوساً له عليهم.

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٨ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٩.

فأصر ابن زياد على هاني أن يأتيه بمسلم، وأصر هاني على الرفض، وعلى أن غاية ما يفعله هو أن يأمر مسلماً بأن يخرج من داره إلى حيث شاء، لكي يخرج من ذمامه وجواره.

فكلمه مسلم بن عمرو الباهلي، زاعماً له: أنه لو سلمهم مسلماً، فإنهم لا يقتلونه، وهو ابن عمهم، وأنه إن دفعه إليهم، فليس عليه في ذلك مخزاة ولا منقصة، إنما يدفعه إلى السلطان.

فَقالَ له هاني: بَلى وَاللهِ، إنَّ عَلَيَّ في ذلِكَ للخِزيَ وَالعارَ، أنَا أدفَعُ جاري وضَيفي، وأنَا حَيٌّ صَحيحٌ أسمَعُ وأرى، شَديدُ السّاعِدِ، كَثيرُ الأعوانِ! وَاللهِ لَو لَم أكُن إلّا واحِداً لَيسَ لي ناصِرٌ لَم أدفَعهُ حَتّى أموتَ دونَهُ. فَأَخَذَ يُناشِدُهُ وهُوَ يَقولُ: وَاللهِ لا أدفَعُهُ إلَيهِ أبَداً.

فَسَمِعَ ابنُ زيادٍ ذلِكَ، فَقالَ: أدنوهُ مِنّي، فَأَدنَوهُ مِنهُ، فَقالَ: وَاللهِ لَتَأتِيَنّي بِهِ أو لَأَضرِبَنَّ عُنُقَكَ.

قالَ: إذا تَكثُرَ البارِقَةُ حَولَ دارِكَ.

فَقالَ: وا لَهفا عَلَيكَ، أبِالبارِقَةِ تُخَوِّفُني؟ وهُوَ يَظُنَّ أنَّ عَشيرَتَهُ سَيَمنَعونَهُ.

فَقالَ ابنُ زيادٍ: أدنوهُ مِنّي، فَأُدنِيَ، فَاستَعرَضَ وَجهَهُ بِالقَضيبِ، فَلَم يَزَل يَضرِبُ أنفَهُ وجَبينَهُ وخَدَّهُ، حَتّى كَسَرَ أنفَهُ وسَيَّلَ الدِّماءَ عَلى ثِيابِهِ، ونَثَرَ لَحمَ خَدَّيهِ وجَبينِهِ عَلى لِحيَتِهِ، حَتّى كُسِرَ القَضيبُ، وضَرَبَ هانِئٌ بِيَدِهِ إلى قائِمِ سَيفِ شُرطِيٍّ مِن تِلكَ الرِّجالِ، وجابَذَهُ الرَّجُلُ ومُنِعَ.

فَقالَ عُبَيدُ اللهِ: أحَروريٌّ سائِرَ اليَومِ، أحلَلتَ بِنَفسِكَ! قَد حَلَّ لَنا قَتلُكَ، خُذوهُ فَألقوهُ في بَيتٍ مِن بُيوتِ الدّارِ، وأغلِقوا عَلَيهِ بابَهُ، وَاجعَلوا عَلَيهِ حَرَسا. فَفُعِلَ ذلِكَ بِهِ.

فَقامَ إلَيهِ أسماءُ بنُ خارِجَةَ، فَقالَ: أرُسُلُ غَدرٍ سائِرَ اليَومِ؟ أمَرتَنا أن نَجيئَكَ بِالرَّجُلِ، حَتّى إذا جِئناكَ بِهِ، وأدخَلناهُ عَلَيكِ، هَشَمتَ وَجهَهُ، وسَيَّلتَ دَمَهُ عَلى لِحيَتِهِ، وزَعَمتَ أنَّكَ تَقتُلُهُ!

فَقالَ لَهُ عُبَيدُ اللهِ: وإنَّكَ لَهاهُنا! فَأَمَرَ بِهِ فَلُهِزَ وتُعتِعَ بِهِ، ثُمَّ تُرِكَ فَحُبِسَ.

وأمّا مُحَمَّدُ بنُ الأَشعَثِ، فَقالَ: قَد رَضينا بِما رَأَى الأَميرُ، لَنا كانَ أم عَلَينا، إنَّمَا الأَميرُ مُؤَدِّبٌ!

وبَلَغَ عَمرَو بنَ الحَجّاجِ أنَّ هانِئاً قَد قُتِلَ، فَأَقبَلَ في مَذحِجٍ حَتّى أحاطَ بِالقَصرِ، ومَعَهُ جَمعٌ عَظيمٌ، ثُمَّ نادى: أنَا عَمرُو بنُ الحَجّاجِ، هذِهِ فُرسانُ مَذحِجٍ ووُجوهُها، لَم تَخلَع طاعَةً، ولَم تُفارِق جَماعَةً، وقَد بَلَغَهُم أنَّ صاحِبَهُم يُقتَلُ، فَأَعظَموا ذلِكَ.

فَقيلَ لِعُبَيدِ اللهِ: هذِهِ مَذحِجٌ بِالبابِ! فَقالَ لِشُرَيحٍ القاضي: أدخُل عَلى صاحِبِهِم فَانظُر إلَيهِ، ثُمَّ اخرُج فَأَعلِمهُم أنَّهُ حَيٌّ لَم يُقتَل، وأنَّكَ قَد رَأَيتَهُ. فَدَخَلَ إلَيهِ شُرَيحٌ فَنَظَرَ إلَيهِ.

قالَ أبو مِخنَفٍ: فَحَدَّثَني الصَّقعَبُ بنُ زُهَيرٍ عَن عَبدِ الرَّحمنِ بنِ شُرَيحٍ، قالَ: سَمِعتُهُ يُحَدِّثُ إسماعيلَ بنَ طَلحَةَ، قالَ: دَخَلتُ عَلى هانِئٍ، فَلَمّا رَآني قالَ: يا للهِ، يا لَلمُسلِمينَ! أهَلَكَت عَشيرَتي؟ فَأَينَ أهلُ

الدّين؟ وأينَ أهلُ المِصرِ؟ تَفاقَدوا! يُخَلّوني وعَدُوَّهُم وَابنَ عَدُوِّهِم! وَالدِّماءُ تَسيلُ عَلى لِحيَتِهِ، إذ سَمِعَ الرَّجَّة عَلى بابِ القَصرِ، وخَرَجتُ وَاتَّبَعَني، فَقالَ: يا شُرَيحُ، إنّي لَأَظُنُّها أصواتَ مَذحِجٍ، وشيعَتي مِنَ المُسلِمينَ، إن دَخَلَ عَلَيَّ عَشرَةُ نَفَرٍ أنقَذوني.

قالَ: فَخَرَجتُ إلَيهِم ومَعي حُمَيدُ بنُ بُكَيرٍ الأَحمَرِيُّ، أرسَلَهَ مَعيَ ابنُ زِيادٍ، وكانَ مِن شُرَطِهِ، مِمَّن يَقومُ عَلى رَأسِهِ، وَأَيمُ اللهِ، لَولا مَكانُهُ مَعي، لَكُنتُ أبلَغتُ أصحابَهُ ما أمَرَني بِهِ.

فَلَمّا خَرَجتُ إلَيهِم قُلتُ: إنَّ الأَميرَ لَمّا بَلَغَهُ مَكانُكُم ومَقالَتُكُم في صاحِبِكُم، أمَرَني بِالدُّخولِ إلَيهِ، فَأَتَيتُهُ فَنَظَرتُ إلَيهِ، فَأَمَرَني أن أَلقاكُم وأن أُعلِمَكُم أنَّهُ حَيٌّ، وأنَّ الَّذي بَلَغَكُم مِن قَتلِهِ كانَ باطِلاً.

فَقالَ عَمرٌو وأصحابُهُ: فَأَمّا إذ لَم يُقتَل فَالحَمدُ للهِ، ثُمَّ انصَرَفوا(١).

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٤ و (ط الأعلمي) ج٢ ص٢٧٢ ـ ٢٧٥ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٧ ـ ٣٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١١٧ ـ ١٢١ والإرشاد ج٢ ص٤٦ ـ ٥١ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٤ ـ ٣٤٨ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٣ ـ ١٩٦ ولواعج الأشجان ص٤٧ ـ ٥٢ والفوائد الرجالية ج٤ ص٢١ ـ ٢٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٥ ـ ٤٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٢ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٠ و ٥٩١ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٠ والملهوف ص١١٤ وراجع: الأخبار الطوال ص٢٣٠ ومقاتل الطالبيين ص١٠٢ والفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٤ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢٠٢ والبداية

وفي نص آخر عن عيسى بن يزيد الكناني: أن هَانِياً لما رأى مَعْقِلاً عَلِمَ أن قَد أخبَرَهُ الخَبَرَ، فَقالَ: أيُّهَا الأميرُ! قَد كانَ الَّذي بَلَغَكَ ولَن أُضَيِّعَ يَدَكَ عَنّي (لعل الصحيح: عندي)، فَأَنتَ آمِنٌ وأَهلُكَ، فَسِر حَيثُ شِئتَ.

فَكَبا عُبَيدُ اللهِ عِندَها، ومِهرانُ قائِمٌ عَلى رَأسِهِ في يَدِهِ مِعكَزَةٌ، فَقالَ: وا ذُلّاه! هذَا العَبدُ الحائِكُ يُؤَمِّنُكَ في سُلطانِكَ.

فَقالَ: خُذهُ، فَطَرَحَ المِعكَزَةَ، وأَخَذَ بِضَفيرَتَي هانِئ، ثُمَّ أقنَعَ بِوَجهِهِ، ثُمَّ أخَذَ عُبَيدُ اللهِ المِعكَزَةَ فَضَرَبَ بِها وَجهَ هانِئ، ونَدَرَ الزُّجُّ فَارتَزَّ فِي الجِدارِ، ثُمَّ ضَرَبَ وَجهَهُ حَتّى كَسَرَ أنفَهُ وجَبينَهُ.

ثم ذكر مجيء مذحج، وإرسال ابن زياد شريحاً، ومعه مهران، ثم قال:

وسَمِعَ النّاسُ الهَيعَةَ، وبَلَغَ الخَبَرُ مَذحِجَ، فَأَقبَلوا فَأَطافوا بِالدّارِ، وأَمَرَ عُبَيدُ اللهِ بِهانِئ فَأُلقِيَ في بَيتٍ، وصَيَّحَ المَذحِجِيّونَ، وأَمَرَ عُبَيدُ اللهِ مِهرانَ أن يُدخِلَ عَلَيهِ شُرَيحاً، فَخَرَجَ فَأَدخَلَهُ عَلَيهِ، ودَخَلَتِ الشُّرَطُ مَعَهُ، فَقالَ: يا شُرَيحُ، قَد تَرى ما يُصنَعُ بي.

قالَ: أراكَ حَيّاً.

والنهاية ج٨ ص١٥٤ ومناقب آل أبي طالب ج٤ ص٩١ وراجع أيضاً: أنساب الأشراف ج٢ ص٣٣٧ وراجع ص٢٤٣ والعقد الفريد ج٣ ص٣٦٤ والإمامة والسياسة ج٢ ص٩ والمحاسن والمساوئ ص٦٠ والمحن ص١٤٤ وجواهر المطالب ج٢ ص٢٦٧.

قالَ: وحَيٌّ أنَا مَعَ ما تَرى! أخبِر قَومي أنَّهُم إن انصرَفوا قتَلَني.

فَخَرَجَ إلى عُبَيدِ اللهِ، فَقالَ: قَد رَأَيتُهُ حَيّاً، ورَأَيتُ أثَراً سَيِّئاً.

قالَ: وتُنكِرُ أن يُعاقِبَ الوالي رَعِيَّتَهُ؟! اُخرُج إلى هؤُلاءِ فَأَخبِرهُم.

فَخَرَجَ، وأمَرَ عُبَيدُ اللهِ الرَّجُلَ فَخَرَجَ مَعَهُ، فَقالَ لَهُم شُرَيحٌ: ما هذِهِ الرِّعَةُ السَّيِّئَةُ؟! اَلرَّجُلُ حَيٌّ، وقَد عاتَبَهُ سُلطانُهُ بِضَربٍ لَم يَبلُغ نَفسَهُ، فَانصَرِفوا، ولا تُحِلّوا بِأَنفُسِكُم ولا بِصاحِبِكُم. فَانصَرَفوا(١).

وقالوا أيضاً:

أرسَلَ [ابنُ زيادٍ] إلى هانِئِ بن عُروَةَ ـ وهُوَ يَومَئِذٍ ابنُ بِضعٍ وتِسعينَ سَنَةً ـ فَقالَ: ما حَمَلَكَ عَلى أن تُجيرَ عَدُوّي، وتَنطَوِيَ عَلَيهِ؟

فَقالَ: يَا بنَ أخي، إنَّهُ جاءَ حَقٌّ، هُوَ أحَقُّ مِن حَقِّكَ، وحَقِّ أهلِ بَيتِكِ.

فَوَثَبَ عُبَيدُ اللهِ وفي يَدِهِ عَنَزَةٌ، فَضَرَبَ بِها رَأسَ هانِئٍ حَتّى خَرَجَ الزُّجُّ وَاغتَرَزَ فِي الحائِطِ، ونُثِرَ دِماغُ الشَّيخِ فَقَتَلَهُ مَكانَهُ(٢).

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٩ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٩ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٥ وإبصار العين ص١٤١.

(٢) الطبقات الكبرى (الطبقة الخامسة من الصحابة) ج١ ص٤٦٠ وترجمة الإمام الحسين من طبقات ابن سعد ص٦٦ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٢٩٩ وتاريخ الإسلام للذهبي ج٤ ص١٧٠ ـ ١٧١ و ٣٠١ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٢٤ و ١٢٥ وراجع: مروج الذهب ج٣ ص٦٧ و (منشورات دار

ونقول:

لا بأس بملاحظة الأمور التالية:

زيارة السلطان حق على الأشراف:

بعد أن اطلع ابن زياد على أمر مسلم بواسطة معقل، صار بصدد استخراجه، والعمل على القبض عليه، فدبر حيلة استدراج هاني إلى القصر، حسبما تقدم. وقد صرحت رواية أبي الوداك: بأن ابن زياد يرى: أن المداومة على زيارته حق، وأن الإخلال به من موجبات التهمة، ومن أمارات فساد الحال، وإضمار السوء للسلطان..

ولا ندري من أين استنبط ابن زياد ثبوت هذا الحق، وما هو دليله ومبررات اعتباره حقاً؟! فإن ما نعرفه هو: أن من حق السلطان على رعيته النصيحة له في المشهد والمغيب. وهذا إنما هو حق لخصوص السلطان العادل دون سواه. ولم نجد في النصوص: أن زيارة الناس له حق أيضاً..

لكن ابن زياد يقول لمبعوثيه: مروه ألا يدع ما عليه في ذلك من الحق، فإني لا أحب أن يفسد عندي مثله من أشراف العرب.

على أن من الواضح: أن ابن زياد لا يرى أن هذه الزيارة حق على جميع الناس بلا استثناء، بل هو يرى أنه حق على خصوص الرؤساء والأشراف الذين بيدهم قرار قبائلهم..

الهجرة) ج٣ ص٥٧.

فابن زياد إذن يريد أن يبتز الناس ويقهرهم، ويلزمهم بما لا موجب للإلزام به إلا الظلم والقهر، والجبارية، والتمهيد للتنكيل بهم، والملاحقة لهم، إستناداً لتوهمات وتجنيات، وافتراءات، وما إلى ذلك.

الرسل المحتالون:

تظهر النصوص: أن محمد بن الأشعث وعمرو بن الحجاج كانا ممالئين لابن زياد، ومتفقين معه على استدراج هاني بن عروة إلى القصر، وجعل ذلك المفتاح والوسيلة للقبض على مسلم.

ففي رواية أبي الوداك: أن أسماء بن خارجة ـ كما زعموا ـ لم يكن على علم بالمكيدة. بل فيها أنه لما عاين ما جرى على هاني، قام وقال لابن زياد: «أرسل غدر سائر اليوم. أمرتنا أن نجيئك بالرجل حتى إذا جئناك به، وأدخلناه عليك هشمت وجهه، وسيلت دمه على لحيته، وزعمت أنك تقتله؟!

فقال له عبيد الله: وإنك لها هنا؟! وأمر به فلهز (اللهز: الضرب بجمع اليد في الصدر) وتعتع (أي أخذ أخذاً عنيفاً) ثم ترك فحبس.

الأمير مؤدب:

أما محمد بن الأشعث، فتصرح رواية أبي الوداك: أنه كان على علم مسبق بالمكيدة، وهذا يفسر لنا قوله بعد رؤيته ما جرى لأسماء بن خارجة الذي اعترض على الغدر بهاني:

«قد رضينا بما رأى الأمير، لنا كان أم علينا، إنما الأمير مؤدب».

وفي رواية عيسى بن يزيد الكناني: أن ابن زياد اعتذر بنفس هذا المعنى لشريح، حين قال له عن هاني: قد رأيته حياً، ورأيت أثراً سيئاً.

فقال له ابن زياد: وتنكر أن يعاقب، أو أن يعاتب الوالي رعيته، أخرج إلى هؤلاء (يعني مذحجاً) فأخبرهم.

ولسنا بحاجة إلى التذكير: بأن الحاكم إنما يؤدب رعيته، وفقاً لأصول وأحكام الشرع الشريف، وليس له أن يعتدي على حرمات الناس. ولا أن يغدر بهم، ولا يحق له أن يهشم وجوههم ويكسر آنافهم، وينثر لحم وجوههم، لمجرد إبائهم أن يخفروا ذممهم، وينقضوا جوارهم. وأي جرم ارتكبه هاني، ويريد ابن زياد معاقبته عليه، وأي خطأ صدر منه يستحق العقاب عليه.

مع أن المسلم، أي مسلم كان، لو أشار إلى مشرك في ساحة الحرب بما يدل على إجارته وجب على المسلمين الوفاء بذمة ذلك المسلم. فكيف إذا كان المستجير مبعوث الحسين «عليه السلام» الذي هو من أهل بيت النبوة، ومعدن الرسالة؟!

ويجب أن لا نغفل الإشارة هنا إلى أن الحرب لم تكن قد أعلنت بين مسلم بن عقيل، وبين ابن زياد. ولكن مسلماً خاف على نفسه، فالتجأ إلى بيت هاني، ومسلم كان مكلفاً بأخذ البيعة للحسين «عليه السلام». وأخذ البيعة لا يعني الحرب، فلعل الأمور تنتهي إلى مصالحات، أو حلول مقبولة ومعقولة تحقن بها الدماء، ويتحقق بها ولو

الحد الأدنى من العدل، ورعاية الحقوق.

عمرو بن الحجاج الأشر والأضر:

وأما عمرو بن الحجاج الذي ذكرت الروايات أنه قد ساهم في إقناع هاني بالتوجه إلى قصر ابن زياد، فلعله المتآمر الأشر والأضر على هاني، فإن كونه أخا روعة زوجة هاني يجعله آخر من تحوم حوله الشبهة بأن يكون ممن يتآمر مع ابن زياد على حياة هاني، وسوف يصعب على هاني أن يصدق أن يكون أخو زوجته بهذا المستوى من السقوط والمهانة..

لقد صرحت بعض الروايات ـ كرواية أبي الوداك ـ: بأن ابن زياد قد أرسل عمرو بن الحجاج مع ابن الأشعث، وابن خارجة للإتيان بهاني إلى القصر، فأتوا به إليه.. غير أننا بعد وصول هاني إلى القصر لا نرى هناك إلا محمد بن الأشعث، وأسماء بن خارجة، ولا نرى عمرو بن الحجاج، فكيف؟ ومتى؟ وإلى أين ذهب هذا الرجل؟! ولماذا لم يسأل ابن زياد عنه، ولم يشعر بغيابه؟!

ثم نجده يظهر فجأة كزعيم يقود مذحج إلى القصر، ويعلن باسم مذحج الولاء لساكن القصر، ولمن وراءه، ثم هو يبادر إلى الرجوع بمذحج من حيث أتوا، بمجرد سماعه شهادة شريح، التي صرح فيها بأن ابن زياد قد ضرب هانياً ضرباً لم يبلغ به حد الموت.

فلماذا لم يطلب عمرو بن الحجاج إطلاق سراح زعيمهم، بل هو لم يطلب حتى رؤية جماعة منهم لذلك الزعيم، ليطمئنوا عليه، وليروا ما

حلّ به؟!

والأنكى من هذا وذاك أن عمرو بن الحجاج بقي على حال الصفاء والولاء والمؤازرة لابن زياد، حتى بعد قتل هاني بن عروة، وكانت له سيرة مخزية، ومواقف مشينة في الحرب على سيد شباب أهل الجنة، الحسين بن علي «عليه السلام».

عمرو بن الحجاج متآمر محترف:

لا نريد أن نسهب في الحديث عن عمرو بن الحجاج وطريقته في صد مذحج عن المطالبة بإطلاق سراح زعيمها. فإن لم تتم الاستجابة لها، أطلقته بالقوة، وهذا هو أقل ما يتوقع منها.

غير أننا نقول:

أولاً: إن ابن الحجاج قد تحرك بالقبيلة، وتزعم حركتها في التوجه نحو القصر، حين جاء بها إلى القصر، بدأ هو الكلام نيابة عنها، فأعلن في البداية ولاء القبيلة لابن زياد وبني أمية، وتعهد بمواصلة الكون في موقع السامع المطيع، ولم يذكر شيئاً يدل على اهتمامها بزعيمها، ولا طالب بحفظ كرامته، ورد اعتباره، وإطلاق سراحه، بعد الاعتذار إليه.

ثانياً: إنه اعتبر أية مطالبة، أو حركة من قبل مذحج تتجاوز حدود معرفة أن هاني لا يزال حياً. ستكون دخولاً في الفتنة. فقد قال لمذحج بعد سماع كلام شريح:

«أما إذا كان صاحبكم حياً، فما يعجلكم الفتنة؟! انصرفوا.

فانصرفوا»[١]. فانصرافهم قبول اعتبار ما يجري أنه من الفتنة. وهذا منطق تزويري، وهذا التصرف من عمرو بن الحجاج تصرف خياني فاضح، لأنه قد نقض به موقف هاني وأدانه، وأسقطه وفرط بالقضية التي كان هاني يجاهد ويضحي في سبيلها.

ثالثاً: إذا كانت حياة هاني هي التي تهم عمرو بن الحجاج، ومذحجاً، فلماذا لم يتحرك عمرو بن الحجاج، ولم يدع مذحجاً لمهاجمة القصر حين أمر ابن زياد بضرب عنق هاني في سوق الغنم، فضربت؟!

رابعاً: لماذا بقيت علاقة ابن الحجاج بابن زياد حميمة حتى بعد قتل هاني بهذا النحو المريع والمهين؟!

أرباح عمرو بن الحجاج:

وعلينا أن نوضح ما يلي:

١ ـ إن عمرو بن الحجاج قد مكّن ابن زياد من قتل هاني بن عروة «رحمه الله» حين جاء به إلى قصر الإمارة.

٢ ـ إنه قد سل سخيمة مذحج، وأخمد فورتهم ، وأذهب غيظ قلوبهم، وكسر ثورتهم حين جاء بهم، واسمعهم شهادة شريح، ثم أمرهم بالرجوع.

٣ ـ إنه كرس نفسه كزعيم لمذحج، يأمرها وينهاها، وسيكون

---

(١) الأخبار الطوال ص٢٣٨.

قادراً على أن يستثمر موقعه هذا منها في الحصول على مكاسب ومقامات لدى أئمة الجور، لطالما حلم بالحصول عليها.

٤ ـ ثم إنه بغيابه عن المجلس الذي يضرب فيه هاني على ذلك النحو المريع والفظيع يكون قد أعفى نفسه من الملامة على عدم دفاعه عن هذا الزعيم العظيم «رحمه الله».

٥ ـ إن غيابه هذا وإتيانه بمذحج إلى القصر من شأنه أن يبرئه من تهمة التواطؤ مع ابن زياد على قتل هاني.

للتخفيف من جرم شريح:

ويلاحظ من طريقة كلام المؤرخين حول شريح، والمهمة التي اضطلع بها، والخدمة التي أسداها لابن زياد، حيث مكنه من سفك دم هاني، ومنع من وصول أي أذى لابن زياد من قبل مذحج ـ يلاحظ ـ أن ثمة سعياً للتلطيف من حدة النقد لشريح، وحفظ ماء وجهه، وإظهاره على أنه لم يستطع أن يتصرف بغير الذي كان، لأن ابن زياد أرسل معه مهران، أو حميد بن بكير الأحمري، أو هما معاً ليراقباه، فلو أخل بما طلب منه لتعرض للخطر.

ونقول:

أولاً: إن وجود المراقب على شريح واحتمال تعرضه للخطر إذا غضب عليه ابن زياد غير معلوم، فإن قتل شريح المعظم عند محبي عمر بن الخطاب، وأتباع الأمويين لم يكن أمراً سهلاً بالنسبة لابن زياد..

ولو أغمضنا النظر عن ذلك، فإن إرادة حفظ النفس لا يبرر التسبب بإزهاق نفوس الآخرين. وهل هذا إلا نظير من يرى النار تتوجه إلى بيته، فإن حبه لإبعاد النار عن بيته، لا يبيح له تحويلها إلى بيت الجار. وإلا فلو كانت النار متوجهة إلى بيت الجار، هل يرضى من جاره أن يحولها إلى بيته؟!

ثانياً: إن التخلص من الخطر لا ينحصر بتحويل النار إلى الجار في هذا المورد، والتسبب بقتل المؤمنين الأبرياء والأتقياء، فقد كان يمكن لشريح أن يقتصر على ذكر ما رأى، ويقول لمذحج نفس العبارة التي زوده بها ابن زياد، ولا يزيد عليها، فقد قال له: «أعلمهم أني إنما أحبسه لأسائله». فلو اقتصر على هذه الكلمة، وقال لهم: يقول الأمير: إنه إنما حبسه ليسائله، لما كان لابن زياد مأخذ عليه. كما أن على مذحج أن تعرف في هذه الحال أن زعيمها لا يزال في معرض الخطر.

ولكن شريحاً زاد على ذلك قوله لمذحج: «لا بأس عليه». ـ كما ورد في الرواية المتقدمة عن الإمام الباقر «عليه السلام»[(١)].

وفي رواية أبي الوداك: أن ابن زياد طلب منه أن يعلمهم بأن

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٤٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٥٩ وتهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٥ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٣ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٩ و ٥٢٠ وموسوعة الإمام الحسين ج٣ ص١٢٤.

صاحبهم حي لم يقتل.

وفي رواية عيسى بن يزيد الكناني المتقدمة: أن هانياً قال لشريح: «يَا شُرَيْحُ قَد تَرى ما يُصنَعُ بي.

قالَ: أراكَ حَيّاً.

قالَ: وحَيٌّ أنَا مَعَ ما تَرى! أخبِر قَومي أنَّهُم إنِ انصرَفوا قَتَلَني.

إلى أن قال: فَقالَ لَهُم شُرَيحٌ (أي لمذحج): ما هذِهِ الرِّعَةُ السَّيِّئَةُ؟! اَلرَّجُلُ حَيٌّ، وقَد عاتَبَهُ سُلطانُهُ بِضَربٍ لَم يَبلُغ نَفسَهُ، فَانصَرِفوا، ولا تُحِلّوا بِأَنفُسِكُم، ولا بِصاحِبِكُم»(١).

فشريح يقبِّح فعل مذحج، ويعتبره رعَّة (أي أدباً) سيئاً!!

كما أنه يبرر هذا الظلم الفاحش الذي مارسه ابن زياد في حق هاني ويصوره لهم على أنه مجرد عتاب.

ثم نزيد على ذلك: أنه يتهدد مذحجاً بأن بقاءهم على موقفهم يجعل دمهم حلالاً لذلك الجبار الظالم. كما أنه يجعل سفكه دم هاني حلالاً أيضاً.

بل إن شريحاً قد قال لمذحج حسب رواية أبي الوداك: «إنَّ الأَميرَ لَمّا بَلَغَهُ مَكانُكُم ومَقالَتُكُم في صاحِبِكُم، أمَرَني بِالدُّخولِ إلَيهِ، فَأَتَيتُهُ فَنَظَرتُ إلَيهِ، فَأَمَرَني أن ألقاكُم وأن أُعلِمَكُم أنَّهُ حَيٌّ، وأنَّ الَّذي

---

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٠.

بَلَغَكُم مِن قَتلِهِ كانَ باطِلاً»[١].

وهذا كلام عجيب وغريب.

فقد تضمن كذبة صريحة، فإن هانياً لم يطلب من شريح أن يعلمهم بأنه حي، وأن الذي بلغهم من قتله كان باطلاً. كما هو ظاهر كلامه، حيث يرجع الضمير إلى الأقرب. وهو هنا هاني بن عروة لا ابن زياد. بل طلب منه أن يعلمهم بعكس ذلك!!

ثالثاً: إن المفروض بقاضي المسلمين أن يكون مع الحق وأهله. ولكن شريحاً هنا كان مع الباطل وأهل الباطل، معيناً لهم على أهل الحق، وأداة لخداع الناس، والمكر بهم، وبزعمائهم..

لماذا العطف على شريح؟!:

ويبقى سؤال يتردد في الأذهان عن السبب في سعيهم لتلطيف حال شريح، والتخفيف من حدة النقد له..

ولعلنا لا نبعد عن الحقيقة إذا قلنا: إن لشريح مكانة خاصة عندهم، فهو قد بقي قاضياً ستين سنة[٢]. وقد بقي قاضياً حتى في عهد

(١) تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٤ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٤٠ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٥١.

(٢) الإستيعاب (ط دار الجيل) ج٢ ص٧٠١ وخلاصة تذهيب تهذيب الكمال ص١٦٥ وتاريخ مدينة دمشق ج٢٣ ص٧ وأسد الغابة ج٢ ص٣٩٤ وتهذيب الكمال ج١٢ ص٤٣٥ و ٤٣٦ وسير أعلام النبلاء ج٤ ص١٠١

علي «عليه السلام». وذلك لأن علياً «عليه السلام» أراد عزله عن القضاء، فواجه الاعتراض الشديد على ذلك، حيث قالوا له: «لا تعزله، لأنه منصوب من قبل عمر، وقد بايعناك على أن لا تغير شيئاً قرره أبو بكر وعمر»(١).

مع أننا لم نجد في نصوص البيعة ما يشير إلى هذا الشرط، لا من قريب ولا من بعيد.

وحين نهى علي «عليه السلام» عن صلاة التروايح صاح شريح: وا عمراه(٢).

وهو أيضاً من الذين شهدوا على حجر بن عدي(٣).

وتهذيب التهذيب ج٤ ص٢٨٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج١٤ ص٢٨ وبحار الأنوار ج٤٢ ص١٧٥ ومستدرك سفينة البحار ج٥ ص٣٨٢ وعمدة القاري ج١٣ ص٣٠ وج٤ ص٢٣٦ والتذكرة الحمدونية ج٣ ص١٧٦ ومآثر الإنافة ج١ ص٨٩ و ٩٠ ونهاية الأرب ج١٩ ص٤٠٠.

(١) كشف القناع عن حجية الإجماع ص٦٤ وراجع: تنقيح المقال للمامقاني ج٢ ص٨٣ وقاموس الرجال ج٥ ص٦٧.

(٢) راجع: قاموس الرجال: ج٥ ص٦٧ وتنقيح المقال للمامقاني ج٢ ص٨٣.

(٣) تاريخ الأمم والملوك ج٦ ص٣٤ و ٣٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٥١٠ وتاريخ مدينة دمشق ج٣٣ ص٣٥٤ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٢٧ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص٢٩٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج٣ ص٢٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٤٦ وأصدق الأخبار للسيد محسن الأمين ص٥٦.

ونتيجة ذلك: أن شريحاً كان يتمتع بمكانة خاصة لدى الفريق المناوئ لأهل البيت، لاسيما وأن عمر هو الذي جعله قاضياً، وكان فعل عمر فيهم كالشرع المتبع. كما أن خدماته لذلك الفريق، وظهور إساءات له تجاه علي «عليه السلام»، حتى إن علياً «عليه السلام» قد نفاه إلى بانقيا ليقضي بين اليهود(١)، واستمر توليه القضاء إلى ما يقرب من ستين سنة، وشهادته على حجر بن عدي «رحمه الله» وتسببه في قتل هاني بن عروة، وإخراج ابن زياد من ورطته، وغير ذلك. قد دعا أتباع ذلك الخط إلى السعي للتخفيف من حدة النقد الذي يتوقع أن يوجه إليه.

شريح من وعاظ السلاطين:

سبق بعض الكلام حول شريح القاضي، وشهادته التي ظهرت عليها ملامح التزوير، والتجني إلى الحد الذي يبيح لنا القول: بأنه قد شارك في سفك دم هذا الرجل الجليل. ولا نريد أن نزيد على ما قدمناه حول شريح إلا نقطة واحدة، هي: أننا لم نر في أهل العلم حتى لو كانوا على غير خط الاستقامة هذا القدر من الجرأة على الدين والاستخفاف بأحكامه.

فإنه أيضاً كما أظهره سلوكه كان جلفاً جافياً وقاسياً، فهو يقول

---

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج٤ ص٩٨ وبحار الأنوار ج٣٤ ص٢٩٥ وقاموس الرجال ج١٠ ص١٤.

لهاني: إنه سيخبر قومه بأنه حي، مع أن حالة هذا الشيخ التسعيني قد بلغت في السوء حداً جعله يتعجب من قول شريح، ويقول له: «أوحي أنا»؟!

فعاهات علماء السوء هي ـ في الأكثر ـ حب الدنيا المتمثل بحب الجاه والمال، والحسد للأقران، والغيبة والكذب، وما إلى ذلك. أما الجرأة على الدماء والقسوة، وانعدام الرحمة، والاستخفاف بآلام الناس، فوجدناها في شريح.

لا بد من الوفاء:

ومن المعلوم: أن هناك عناوين إذا تحققت تتبعها أحكامها بصورة تلقائية، ولا مجال للاستثناء فيها، فالعدل، وإعطاء كل ذي حق حقه حسن جميل مطلقاً، والظلم، والخيانة، والغدر قبيح مطلقاً أيضاً، متى تحققت هذه العناوين، وفي جميع الأحوال.

فلا يصغى بعد ذلك لما زعمه مسلم بن عمرو الباهلي لهاني بن عروة، من أن تسليم الضيف المستجير إلى عدوه ليس قبيحاً إذا كان عدوه هو الحاكم والسلطان. بل هو قبيح مطلقاً، إلا إذا كان السلطان عادلاً، يعلم بأنه لا يمكن أن يظلم أو أن يعتدي على ذلك المستجير.

ويزيد قبحاً إذا كان هذا السلطان جباراً جائراً. ويتأكد ذلك: إذا كان هذا السلطان يرفض تمكين من استضاف وأجار ذلك الخائف من التحلل من ذمامه، ولو بأن يخبر ضيفه بأنه عاجز عن حمايته، فليذهب إلى أي أرض الله شاء.. وقد قلنا: إن الله تعالى قد أمضى

جوار أي مسلم كان لأي مشرك حتى لو أجاره في ساحة الحرب والقتال..

فإن خفر الذمام، والتفريط بحياة الضيف، وتسليم المستجير إلى عدوه قبيح مطلقاً.. فكيف إذا كان الأمر على الصفة والحال التي ذكرناها؟! وكيف إذا كان المستجير هو مبعوث الحسين أقدس أهل الأرض، وسيد شباب أهل الجنة؟!

ولأجل ذلك قال هاني لذلك الباهلي: «بَلى وَاللهِ، إنَّ عَلَيَّ في ذلِكَ للخِزيَ وَالعارَ».

إذن تكثر البارقة حول دارك:

وتقدم: أنه حين هدد ابن زياد هانياً بضرب عنقه لو لم يأته بمسلم بن عقيل، قال له هاني: إذن تكثر البارقة حول دارك، وقد تكرر في النصوص ما يدل على توقع هاني تحرك أنصاره لإنقاذه.. فكان أن أخمد عمرو بن الحجاج فورتهم بطريقة مريبة، حسبما ألمحنا إليه.

وكيف لا يتوقع هاني نصرة قبيلته له، وقد كان ـ كما يقال ـ: يركب في أربعة آلاف دارع، وثمانية آلاف راجل، وإذا أجابتها أحلافها من كندة وغيرها كان في ثلاثين ألف دارع؟![(١)].

---

(١) راجع: مروج الذهب ج٣ ص٦٩ و (منشورات دار الهجرة) ج٣ ص٥٩ وخاتمة المستدرك ج٩ ص١٨٢ والفوائد الرجالية ج٤ ص١٨ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٠ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٣ وإبصار العين

ويشهد لذلك: قول محمد بن الأشعث لعبيد الله بن زياد: «فإني أخاف عداوة أهل بيته، وإنهم سادات أهل الكوفة، وأكثرهم عدداً»(١).

وفي نص آخر: «هم أعز أهل المصر وعدد أهل اليمن»(٢).

أحروري سائر اليوم؟!:

وتقدم: أنه حين ضرب ابن زياد أنف هاني حتى كسره، ونثر لحم خديه وجبينه على لحيته، «ضرب هانئ يده على قائم سيف شرطي، وجاذبه الرجل ومنعه.

فقال عبيد الله: أحروري سائر اليوم؟! قد حل [لنا] دمك الخ..»(٣).

ص١٤٠.

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٦١ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١ ص٢١٣.

(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٧٨ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٤ وقاموس الرجال ج١٠ ص٤٩٢ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٥٦.

(٣) راجع: الإرشاد للمفيد ج٢ ص٥٠ ومثير الأحزان لابن نما (ط المكتبة الحيدرية) ص٢٣ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٤٧ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٩٦ ولواعج الأشجان ص٥٠ والفوائد الرجالية ج٤ ص٢٤ وراجع: تهذيب الكمال ج٦ ص٤٢٥ وسير أعلام النبلاء ج٣ ص٣٠٧ وتهذيب التهذيب ج٢ ص٣٠٣ وتاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٧٤ و ٢٥٩ ومروج الذهب ج٣ ص٥٧ وتجارب الأمم ج٢ ص٤٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٢٩ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث)

فكأن ابن زياد بكلمته هذه يريد أن يلصق بهاني تهمة يمقته لأجلها حتى الشيعة في الكوفة، وهي أنه كان يرى رأي الخوارج، الذين نزلوا حروراء بعد صفين وكانوا أعداء لعلي وشيعته، ولبني أمية وشيعتهم، وهم يكفرون علياً وعثمان، فتهمة كهذه لو وجدت لها قبولاً، أو أوجبت الريب والشك في قلوب فريق من الشيعة، وغيرهم من السذج والبسطاء، فإن ذلك سوف يخفف الضغط عن ابن زياد.

ومن المعلوم: أن الخوارج كانوا آنئذٍ يحاربون بني أمية بعد أن حاربوا علياً في النهروان وغيرها. أي أنه كان يعتبر من يحارب السلطان خارجياً حرورياً.

وهذا تدليس على الناس، فإن ابن زياد هو الذي احتال على هاني، وجاء به إلى القصر، ثم بطش به كأشد ما يكون البطش. ولم يكن هاني في ردة فعله هذه إلا مدافعاً عن نفسه، باحثاً عن مخرج مما هو فيه..

يمتن عليه بعدم قتل أبيه:

ومن الأمور اللافتة للنظر: أن عبيد الله بن زياد، حين جاء هاني إلى القصر صار يقرره على طريقة الإمتنان عليه، والإعتداد،

ج٨ ص١٦٦ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩١ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٨ وإعلام الورى ج١ ص٤٤١ والملهوف ص٣٢ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٣٩٦ والمجالس الفاخرة ص١٩٧ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج٢٧ ص٥١٩.

واعتبار ذلك من الأيادي لآل زياد عنده، فكان مما قاله له ـ كما في رواية عيسى بن يزيد الكناني ـ: «يا هانئ، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد، فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله. غير أبيك، وغير حجر، وكان من حجر ما قد علمت الخ..»[١].

فابن زياد يقر ويعترف: بأن أباه زياداً لم يترك أحداً من شيعة علي «عليه السلام» بالكوفة إلا قتله. ويعتبر عدم قتله لعروة المرادي من الأيادي والإحسان عند ولده هاني!!

والحال أن زياداً لم يكن من أهل الإحسان، بل كان عاجزاً عن قتل من يركب معه أربعة آلاف دارع وثمانية آلاف راجل. وهم من أكثر القبائل عدداً كما تقدم!!

ابن زياد مطمئن:

وهنا سؤال يحتاج إلى جواب، والسؤال هو: أن عبيد الله بن زياد كان يتعامل مع أهل الكوفة، ومع شيعة علي «عليه السلام» بقسوة بالغة، ولا يحسب أي حساب لأية ردة فعل يمكن أن تحدث بسبب ذلك..

ويشهد على ذلك: قتله لابن يقطر، وقيس بن مسهر، وميثم التمار، ومسلم بن عقيل وغيرهم على ذلك النحو الفجيع والفظيع.

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٠ ولواعج الأشجان ص٥١.

بالإضافة إلى تنكيله الفاحش بهاني بن عروة، وضربه للمختار، وقتله لعبد الأعلى بن يزيد، وعمارة بن صلخب الأزدي، و.. و..

يضاف إلى ذلك: حبسه للألوف من الناس، ومواجهة الرؤساء والوجهاء، والأشراف بالإهانات والتهديدات، فضلاً عن اضطهاده المرير لكل من يتشيع لعلي وأهل بيته. أو من يحتمل فيه ذلك. ولم يكن في ذلك يرحم صغيراً ولا كبيراً.

مع أن من بين أولئك الأشراف والرؤساء من هو كهاني بن عروة. كان يركب في ثلاثين ألف دارع وراجل من عشيرته وحلفائها.

فإذا كان ابن زياد جباناً ـ كما يقال عنه ـ كيف يقدم على كل هذه الجرائم والفظائع في حق هاني بن عروة وغيره؟! وكيف يسحب الجثمان الطاهر لمسلم بن عقيل في أزقة الكوفة؟! وهو الذي بايعه من الناس ثلاثون إلى أربعين ألفاً؟!

ونجيب بما يلي:

أولاً: إن الجبان حين يصبح حاكماً، فإنه وهو يشعر بضعفه يحاول أن يعوض عن الضعف الذي يشعر به في داخل ذاته بالاستفادة من القوة التي اكتسبها من خلال السلطة، وهو يُفْرِطُ عادة في ذلك، لكي يطمئن إلى أنه أصبح في مأمن، وأصبحت الساحة خالية تماماً من أي عنصر من عناصر القوة التي يخشاها.

ثانياً: إن شعوره بالضعف عن المواجهة يدعوه إلى توظيف مختلف الخبرات والوسائل الماكرة، المتوافرة لديه في محاصرة القوة التي

يخشاها وتشتيتها وتفتيتها. وهذا ما فعله ابن زياد بالذات، كما سنرى إن شاء الله تعالى.

ثالثاً: وهو الأهم: أن مجتمع أهل الكوفة على الخصوص كان يعاني من عاهات خطيرة جداً وقاتلة، ولا يمكن إلا أن تنتهي بالأمور إلى هذه النتيجة التي انتهت إليها، سواء بالنسبة لهاني بن عروة، أو بالنسبة لمسلم بن عقيل، وابن يقطر، وقيس بن مسهر، وغيرهم.

ويبدو: أن في الكوفيين من كان يدرك هذه الحقيقة في كلمات سليمان بن صرد الذي حذر الناس من التخاذل في نصرة الحسين «عليه السلام» حين أرادوا مراسلته «عليه السلام»[١].

وتدل عليه أيضاً كلمات عابس بن أبي شبيب الشاكري، الذي قال لمسلم حين قدم الكوفة عن الناس: ولا أعلَمُ ما في أنفُسِهِم، وما أغُرُّكَ مِنهُم[٢]. فإن في هذا دلالة على أن تلك العاهات لم تكن خافية على

---

(١) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٢٧. وراجع: روضة الواعظين ص١٧٢ والإرشاد للمفيد ج٢ ص٣٦ ومثير الأحزان (ط المكتبة الحيدرية) ص١٥ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٣٢ و ٣٣٣ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص١٨٢ ولواعج الأشجان ص٣٣ وقاموس الرجال ج١٠ ص٧٩ وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٦١ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٨٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص١٥ وإعلام الورى ج١ ص٤٣٦ والملهوف ص٢٢ والمجالس الفاخرة ص١٨٦.

(٢) راجع: الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ج١

العناصر المؤثرة والفاعلة في المسيرة الحسينية.

وقد كان ابن زياد واقفاً على تلك العاهات، لأنه وأباه قد شاركا بصورة دؤوبة في صنعها، وفي تكريسها، وتوسيع مداها..

ونوضح ذلك بما يلي:

لم يكن لأهل العراق، وكذلك لأهل الكوفة رأس يرجعون إليه، ويأتمرون بأمره، بل كان هناك رؤساء عشائر، ووجهاء، وأشراف، كان للسلطة دور في صنع زعامتهم، وتكريس نفوذهم، ولكنهم كانوا أشتاتاً، لا يجمعهم جامع، ولا رابط بينهم يفرض عليهم التشاور في الأمور، وتنسيق المواقف.

وقد أسهم الذين حكموا العراق من قبل معاوية في إضعاف تأثير رؤساء القبائل الذين كانوا لا يثقون بولائهم، بل هم قد اضطهدوهم، وقتلوا من قتلوا، وشردوا من شردوا، حتى إن عبيد الله بن زياد يقول لهاني بن عروة: «يا هانئ، أما تعلم أن أبي قدم هذا البلد، فلم يترك أحداً من هذه الشيعة إلا قتله. غير أبيك، وغير حجر»؟!(١).

فكان من الطبيعي أن يسد الفراغ في رئاسة القبيلة من ترضى

ص١٩٧. وتاريخ الأمم والملوك ج٤ ص٢٦٤ وأعيان الشيعة ج٤ ص٥٥٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٠ وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٣٧.

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٦٠ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٩ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٣٠ ولواعج الأشجان ص٥١.

عنهم السلطة، وهي لا ترضى إلا على من هم على شاكلتها، من أهل الدنيا، وطلاب اللبانات.

وفي سياق آخر نجد: أن سياسات عمال معاوية في أهل الكوفة اقتضت زرع الموالين لهم في كل قبيلة وحي. وخلق زعامات منافسة للزعماء الحقيقيين.

كما أن هذه السياسات اتسمت بالتشدد على الناس، ومراقبتهم، ورصد حركتهم كما أظهرته إجراءات ابن زياد لمواجهة مسلم بن عقيل، وكشف مقره، فقد أخذوا على الناس أفواه السكك، وسدوا جميع الطرق، بل إنهم صاروا يدخلون كل بيت، ويعتقلون ويقتلون من يشاؤون، وكل من يشتبهون به، كما اتضح مما سبق، وقد ساعدهم على ذلك أفراد القبيلة أنفسهم، فإنهم كانوا عيونهم، وأدواتهم ضد إخوانهم، يزودونهم بالأخبار، ويساعدونهم على تنفيذ مخططاتهم، كما جرى لعمرو بن الحجاج الذي كان السبب في تخذيل مذحج عن نصر هاني بن عروة، وساعد بالتالي على قتل هذا الزعيم الكبير.

ومن شأن هذه الأجواء أن تزرع الريبة والشك في نفوس الناس تجاه بعضهم بعضاً، وانعدام الثقة فيما بينهم، بالرغم من أنهم من قبيلة واحدة.

وأصبح كل فرد يفكر بحفظ نفسه، ولا يعنيه أمر غيره، وهذا أوجب ضعف ارتباطه بإخوانه، وتضاءلت مظاهر التعاون فيما بينهم. وخبا الشعور لدى الأفراد بحماية القبيلة ومعونتها له، وذبها عنه..

وهذا ما حصل لهاني بن عروة مع قبيلة مذحج، التي ركنت إلى

عمرو بن الحجاج المتآمر مع ابن زياد، وتخلت عن نصرة هاني.

ولعل حب السلامة، والركون إلى الدنيا كان هو الآخر من أسباب خذلان مذحج لزعيمها.. وقد قال عبيد الله بن الحر الجعفي للإمام الحسين «عليه السلام»: «فأنشدك الله أن تحملني على هذه الخطة، فإن نفسي لم تسمح (لعل الصحيح: لم تسخ) بعد بالموت»(١).

وقال محمد بن بشر للحجاج بن علي: «إني كنت لأحب أن يعز الله أصحابي بالظفر، وما كنت أحب أن أقتل. وكرهت أن أكذب»(٢).

وكل هذا وسواه يوضح لنا: أن ابن زياد كان يعرف حال أهل الكوفة، وأنه بإعماله المكر والحيلة استدرج هاني بن عروة إلى قصر الإمارة، وارتكب في حقه تلك الجرائم والعظائم.

شجاعة ابن التسعين:

وقد أظهرت قصة هاني: أن الداعي الإيماني يبقى هو الأقوى على الدفع لاتخاذ المواقف الصعبة في اللحظات المصيرية والحساسة، والتي قد تترك آثارها وبصماتها على المجتمع الإنساني على مر العصور، والدهور، وظهر أيضاً: أن هذا التأثير الخارق ليس مرهوناً بسنٍ معين، ولا يعنيه شيئاً السلامة من الأمراض، ولا

---

(١) راجع: الأخبار الطوال ص٢٥١ وبغية الطلب لابن العديم ج٦ ص٢٦٢٤.
(٢) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٥٥ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٦٤ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٢٠ وقاموس الرجال ج٩ ص١٣٤.

يعبأ بطموحات، أو رغبات مهما كانت.

فهذا هاني بن عروة ابن التسعين سنة، يواجه ذلك الطاغية بصلابة وقوة قل نظيرها. بل هو حين تعرض لذلك البغي الهائل لم يستسلم، بل هو يضرب يده إلى سيف شرطي، ويجاذبه إياه، بهدف الاستفادة منه في مواجهة الطاغية..

وقد لفت نظرنا أيضاً: ما أظهرته بعض النصوص المتقدمة، من أنه قد تكلم مع ابن زياد حتى كأن ابن زياد هو الذي كان في أسره، فيعده بأن يسيِّره إلى الشام هو وأهل بيته، ثم يقول له: «إنَّهُ جاءَ حَقٌّ، مَنْ هُوَ أحَقُّ مِن حَقِّكَ، وحَقِّ صَاحِبِكَ».

لماذا لم يخرجوا عمال بني أمية؟!:

وقد ورد في كلمات الذين أشاروا على الإمام الحسين «عليه السلام» بعدم الذهاب إلى العراق: أن سبب مشورتهم هذه هو أن أهل العراق لم يخرجوا عمال بني أمية من بلدهم، فراجع ما قاله ابن عباس(١)، وعمر بن عبد الرحمان المخزومي(١)، وعمرو بن

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٨ وتجارب الأمم ج٢ ص٥٨ والكامل في التاريخ ج٤ ص٣٨ و ٣٩ وتاريخ أبي الفداء ج١ ص١٩٠ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٠٨ والمجالس الفاخرة ص١١٠ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩٩ والأخبار الطوال ص٢٤٤ والمنتظم في تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٢٨ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٧٣ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٦٥

لوذان(٢).

وسيأتي الحديث عن هذه النصوص في موضعها المناسب من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى..

والذي نريد الإشارة إليه هنا: هو أن هذا الكلام غير منطقي ولا دقيق، وذلك لما يلي:

أولاً: لأن إخراج عمال بني أمية من الكوفة، ومن أي بلد آخر لم يكن بالأمر السهل، فإن أولئك العمال كان لديهم مقاتلون، ولديهم عشائر تؤيدهم، ولديهم في سائر الشرائح الإجتماعية مؤيدون،

وجمهرة خطب العرب ج٢ ص٤٣.

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٨٢ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٨٦ و ٢٨٧ ومقتل الخوارزمي ج١ ص١٩٧ والكامل في التاريخ ج٤ ص٣٧ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٦٣ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٧٩٥ ونهاية الأرب ج٢٠ ص٤٠٦ والمجالس الفاخرة ص١١٠ و ١١١.

(٢) راجع: الإرشاد ج٢ ص٧٦ وبحار الأنوار ج٤٤ ص٣٧٥ والعوالم، الإمام الحسين ج١٧ ص٢٢٥ ولواعج الأشجان ص٨٧ وإعلام الورى ج١ ص٤٤٧ وأعيان الشيعة ج١ ص٥٩٥ وراجع: تاريخ الأمم والملوك (ط الأعلمي) ج٤ ص٣٠١ والكامل في التاريخ ج٤ ص٤٣ والبداية والنهاية (ط دار إحياء التراث) ج٨ ص١٨٥ ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٩ والفصول المهمة لابن الصباغ ج٢ ص٨٠٨ ونهاية الأرب ج٢٠ ص ٤١.

وأعوان، ومخبرون، ولديهم أموال بيوت الأموال، ولديهم مقاتلون.

وليس لديهم دين يمنعهم، ولا أخلاق تردعهم عن ارتكاب أية جريمة، مهما كانت مريعة وعظيمة.

وهذا كله وسواه يعطي: أن مواجهة العمال سوف يصاحبها قتال، وسفك دماء، وانتهاك حرمات. وهو يحتاج إلى شخصية قيادية حكيمة، ومدبرة، ومطاعة لدى مختلف شرائح المجتمع وفئاته.

ويحتاج إلى الاستعداد لمواجهة جيوش الشام، وكل ما تحشده السلطة من سائر البلاد.

ويحتاج إلى جهد واسع يبذل في مع مختلف الفئات والطبقات لإقناعها بصوابية إجراء كهذا..

ويحتاج إلى جحافل كبيرة من الناس، وإلى إمكانات مادية، واموال، وسلاح، وما إلى ذلك..

وهذا كله لا مجال لتوفره بسهولة وسرعة، بل يحتاج إلى وقت وجهد لم يكن يمكن توفيرها في ذلك الوقت المحدود.

ثانياً: إن هذا العمل إذا كان سيثمر قتالاً، وقتلاً وجرحاً، بل حروباً طاحنة، فهو يحتاج إلى إذن الإمام «عليه السلام»، ورعايته، وإشرافه، وهدايته.. ولم يكن هذا الإذن قد صدر منه «عليه السلام» لأحد، وقد سبقت الأحداث والتطورات كل جهد يمكن أن يبذل في هذا السبيل .

ثالثاً: إننا نعلم أن النبي «صلى الله عليه وآله» والأئمة الطاهرين

كانوا لا يبدأون أحداً بقتال، ولم تعلن ـ بعد ـ حالة حرب بين الفريقين لكي يصح الدخول في أي قتال ابتداءً، بل كان الدخول في الحرب في هذه الحال من مصاديق الفتك الذي نهى الله تعالى عنه.

وهذا هو الذي منع مسلم بن عقيل من قتل عبيد الله بن زياد، كما تقدم.

الإمام لم يخطئ هذا الرأي:

وهذا الذي ذكرناه يظهر لنا عدم صحة قول من يقول: إن الإمام «عليه السلام» لم يخطّئ ابن عباس، ولا عمر بن عبد الرحمن المخزومي، أو عمر بن لوذان.. فإن المطلوب لإثبات عدم التخطئة ليس السكوت عنها، بل المطلوب التصريح بالتصويب..، وإنه «عليه السلام» لم يصوب هذا الرأي، ولا اعتبره من النصح والعقل والرأي. بل وصف ابن عباس بأنه ناصح مشفق. وقال للمخزومي: إنه مشى بنصح، وتكلم بعقل. أي أنه لم يكن منقاداً لهواه، بل كان ناصحاً، وقد أعمل فكره في هذا الذي قاله، ولكن هل أصاب فيما توصل إليه بفكره وعقله، أم أخطأ؟! فهذا شيء آخر..

وبذلك يعلم أيضاً: أن ما ذكروه، من أن الإمام الحسين «عليه السلام» قد كتب لأهل الكوفة مع قيس بن مسهر: «فإذا قدم عليكم رسولي فاكمشوا أمركم، وجدوا»[1].

---

(١) راجع: تاريخ الأمم والملوك ج٥ ص٣٩٣ و (ط الأعلمي) ج٤ ص٢٩٧

والكمش في الأمر هو العزم عليه، والسرعة فيه لا يدل على أنه «عليه السلام» يريد منهم أن يقوموا على ابن زياد ومن معه من عمال بني أمية في بلدهم.

بل هو قد تحدث عن أمر يريد منهم الجد والسرعة فيه، فلعله قصد بهذا الأمر إعطاء البيعة، وتهيئة الأمور، وشراء السلاح إلى حين قدومه عليهم.

كما أن قوله «عليه السلام» لأهل الكوفة ـ على رواية ابن أعثم ـ: «فقوموا مع ابن عمي وبايعوه وانصروه ولا تخذلوه»[١].. ـ لو صح كونه قد صدر عنه «عليه السلام»، ـ لا يدل على ذلك أيضاً.. فلعله يقصد: أن عليهم إذا بايعوه أن يطيعوا أمره، وأن ينصروه إذا احتاج نصرهم في صورة تعدي السلطة أو غيرها عليه وعلى من يجب عليه نصره.. ولا يقصد دعوتهم للشروع في الحرب مع العدو.

مع أن الأمر بالحرب لا ينسجم مع أمره مسلماً بكتمان أمره..

إستدراج هاني بن عروة:

وقد وجد ابن زياد بعد انكشاف الأمور له من خلال معقل: أنه غير قادر على مهاجمة بيت هاني لاعتقال مسلم.

ومقتل الحسين لأبي مخنف ص٧٢ وشرح إحقاق الحق (الملحقات) ج١١ ص٦٠٤ وج٢٧ ص١٥٨.

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٣١.

أولاً: لأنه كان يعلم ـ كما ورد في كلامه مع هاني حين جاء إلى قصر الإمارة ـ: أن الدور التي حول بيت هاني كانت مشحونة بالرجال والسلاح. وهو لا يعرف حجم هذا الحشد، ولا يستطيع توقع مداه، وقدراته إذا وقعت المواجهة.

ثانياً: إن عظمة هاني بن عروة ومكانته في قومه، وفي المجتمع الكوفي بصورة عامة، واتساع مجالات التعاطف والتحالف معه، كانت كبيرة، ولا يمكن الاستهانة بها، ولا يصح فتح معركة ظاهرة وصريحة معها..

بل لا بد أولاً من العمل على تفتيتها، وتشتيت قدراتها، وإضعاف عوامل التماسك فيما بينها، وإخماد فورتها وثورتها بصورة ذكية وهادئة، ومن دون تثوير نارها، أو إذكاء وتأجيج أوارها.

ولأجل ذلك لجأ ابن زياد إلى الخداع والمكر، فاستدرج هاني إلى القصر، وجرى عليه ما جرى مما تقدم ذكره.

أسماء بن خارجة ضرب أيضاً:

وكشاهد على ما قلناه، من أن المساس بهاني لم يكن بالأمر السهل، فلاحظ أن أسماء بن خارجة قد أنكر الغدر بهاني، وأن يعامل هاني بتلك القسوة، مع أنه كان أحد وسائل ابن زياد التي جاءت بهاني إلى قصر الإمارة، فنال هو الآخر من ابن زياد نصيبه من الضرب والإهانة والحبس. قال في الفتوح: إنه لما رأى ما فعل بهاني وثب أسماء بن خارجة إلى عبيد الله بن زياد، فقال: أيها الأمير، أمرتنا أن نأتيك بالرجل، فلما جئناك به، وأدخلناه إليك هشمت وجهه، وأسلت

دمه، وزعمت أنك تقتله.

قال: فغضب ابن زياد وقال: وأنت ها هنا أيضاً؟! ثم أمر بأسماء بن خارجة، فضرب حتى وقع لجنبه.

قال: فحبس [فجلس] أسماء ناحية من القصر، وهو يقول: إنَّا لله وإنا إليه راجعون. إلى نفسي أنعاك يا هاني.

قال: وبلغ ذلك بني مذجح، فركبوا جميعهم عن آخرهم، حتى وافوا القصر، فضجوا وارتفعت أصواتهم إلخ..(١).

---

(١) الفتوح لابن أعثم ج٥ ص٤٨.

الفــهـــارس

١ ـ الفهرس الإجمالي
٢ ـ الفهرس التفصيلي

الفهرس الإجمالي:

الباب الرابع: قبل سفر مسلم إلى العراق ٥
الفصل الأول: الحسين × في مكة ٧
الفصل الثاني: ابن عمر يدعو لبيعة يزيد ..
.............................٣٧ الفصل الثالث: حسم الأمور مع ابن عمر
...............................٦٩ الفصل الرابع: الحسين × يكاتب زعماء
البصرة.................٩٣
الباب الخامس: مسلم في العراق..١٢٧
الفصل الأول: استجابة الحسين × لأهل الكوفة ١٢٩
الفصل الثاني: مسلم إلى الكوفة...١٦٣
الفصل الثالث: استبدال والي الكوفة:..................................١٩٥
الفصل الرابع: هذه هي سياساتهم.......................................٢٢٦
الفصل الخامس: إلى بيت هاني...٢٤٩
الفصل السادس: الزائر المشؤوم..٢٦٤
الفصل السابع: إستدراج هاني إلى القصر ....
٣٠٦
الباب السادس: القيام.. والإستشهاد..................................٣٢٨
الفصل الأول: الشهيد هاني بن عروة ....

٣٣٠

الفهرس التفصيلي:

الباب الرابع: قبل سفر مسلم إلى العراق............................ ٥
الفصل الأول: الحسين × في مكة.. .... ٧
الأنشطة الحسينية في الفترة المكية: ٩
توطئة وتمهيد:.. ١٠
الفرح هنا.. والغم هناك: ١٢
أهل مكة وأهل البيت ٨:.. ١٥
فسطاط الحسين × في مكة:... ٢١
مشورة ابن الزبير: ٢٧
الغزو المبكر لمكة: ٢٨
جئت عائذاً بالله، وبهذا البيت:...................................... ٢٩
استقدام بني هاشم إلى مكة:... ٣١
الخروج على مراحل هو الأصوب: ٣٣
تأخر ابن الحنفية: ٣٤
ابن الحنفية لا يمنع أولاده من نصرة أخيه:........................ ٣٤
الفصل الثاني: ابن عمر يدعو لبيعة يزيد.......................... ٣٧
الحسين ×، وابن عمر، وابن عباس: ٣٩
منطق ابن عمر:.. ٤٤

منطق الحسين: ٤٨
البيعة ليزيد والدخول في صلحه:.. ٤٨
أتعلم أني ابن بنت رسول الله؟!: ٥١
الفجوة بين النظرية والتطبيق: ٥٣
الجامعية والدقة:.. ٥٥
الممارسات العدائية:... ٥٦
آثار ممارسات الأعداء:.. ٥٨
الغايات والأهداف:.. ٦٠
لا مبررات ولا أسباب: ٦١
ابن نظيره ووصيه:.. ٦٦
الفصل الثالث: حسم الأمور مع ابن عمر.............................. ٦٩
كأنك تريدني:.. ٧١
ذرنا من هذا يا بن عباس: ٧٢
أفٍ لهذا الكلام أبداً:.. ٧٤
ابن عمر: الحسين لا يخطئ:.. ٧٥
الإعتذار الركيك والواهي: ٧٧
الحسين × يواجه ابن عمر بقراره: ٧٩
لو أدرك عمر زماني لنصرني: ٨١
فأنت في أوسع العذر: ٨٢

ماذا يريد الحسين من ابن عباس؟!:.................................. ٨٣
امض إلى المدينة: ٨٧
القرار الحسيني الحاسم: ٨٨
الأسلوب التقريري:.. ٨٩
الفصل الرابع: الحسين × يكاتب زعماء البصرة.. .... ٩٣
كتاب الحسين × لأهل البصرة: ٩٥
ما الفرق بين الكوفة والبصرة؟!: ١٠١
وكنا أوصياءه، وأحق الناس بمقامه:.............................. ١٠٧
أحسنوا وأصلحوا: ١١٠
إن تسمعوا وتطيعوا أهدكم: ١١٣
الاختلاف في الأسماء:... ١١٤
نسخة واحدة في أكثر من اتجاه: ١١٦
دعوى المنذر بن الجارود: ١١٦
خطبة يزيد بن مسعود:... ١١٧
الإجتماع عند مارية بنت سعد: ١١٧
جواب الأحنف للحسين ×: ١٢١
الباب الخامس: مسلم في العراق.. .... ١٢٧
الفصل الأول: استجابة الحسين × لأهل الكوفة.. .... ١٢٩
أهل الكوفة يراسلون الحسين ×: ١٣١
سليمان بن صرد: ١٣٩

الصلاة على النبي وأهل بيته ٨: ١٤١

الوهن والفشل، والغدر والنكث: ١٤٤

يزيد فاقد للشرعية: ١٤٥

المنافقون يكتبون أيضاً: ١٤٦

الخطاب بـ «يا أمير المؤمنين» لا يصح: ١٤٨

حديث الرؤيا وامتثال الأمر: ١٤٨

مهمة مسلم استطلاعية إعدادية: ١٥٠

أمره باللطف، والكتمان: ١٥٢

أخي وثقتي من أهل بيتي: ١٥٣

المبادرة مطلوبة من أهل الكوفة: ١٥٥

إنزل عند أوثق أهلها: ١٥٦

سيقضي الله من أمرك ما يحب ويرضى: ١٥٧

البشارة بالشهادة: ١٥٨

من هو الإمام؟!: ١٥٩

الفصل الثاني: مسلم إلى الكوفة.. .... ١٦٣

وفد أهل الكوفة إلى مكة: ١٦٥

مسلم في طريق الكوفة: ١٦٦

مسلم في الكوفة: ١٧٢

أين نزل ابن عقيل في الكوفة؟!: ١٧٥

هل خالف مسلم أمر الحسين ×؟!: ١٧٨
صعوبة انكشاف أمر مسلم: ١٨٠
دخول مسلم دار شريك:.. ١٨١
لا تكفي البيعة:... ١٨٢
بذلوا الأموال فلم يقبلها مسلم:.................................... ١٨٤
المختار في خدمة القضية: ١٨٥
عدد المبايعين لمسلم: ١٨٨
الفصل الثالث: استبدال والي الكوفة:............................... ١٩٥
للتمهيد والبيان:... ١٩٧
النعمان بن بشير ونشاطات مسلم:................................... ١٩٧
لماذا أحجم النعمان عن المواجهة؟!: ٢٠٠
عيون يزيد يكتبون إليه:.. ٢٠٢
مشورة سرجون النصراني:.. ٢٠٣
كتاب يزيد إلى ابن زياد:... ٢٠٥
ابن زياد والي الكوفة:... ٢٠٦
دهاء معاوية: ٢١٠
قدم في وجوه أهل البصرة:.. ٢١٤
الأمر الذي أصدره يزيد تجاه مسلم: ٢١٦
السفلة، وأهل السوق:.. ٢١٧
تساقطوا في الطريق:... ٢١٨

هل هذا ضعف؟!:.. ٢٢٠
هل دخل ابن زياد الكوفة وحده؟! ٢٢٢
تدلى بين شرفتين:... ٢٢٤
متى تولى ابن زياد الكوفة؟!:... ٢٢٥
الفصل الرابع: هذه هي سياساتهم.. .... ٢٢٦
تدابير وإجراءات وسياسات:.. ٢٢٨
ابن زياد: إغراءات وتهديدات: ٢٢٩
يزيد لم يأمر بهذا:.. ٢٣٢
المسح السكاني: ٢٣٢
العرافة والعرفاء: ٢٣٤
وضع العيون، ودس الرجال والكيد:................................ ٢٣٥
القتل والتنكيل والإحتيال:.. ٢٣٦
الرشاوى للأشراف: ٢٣٧
تنوع مصادر المعلومات: ٢٣٨
المجتمع القبلي:... ٢٣٩
الحصار الخانق: ٢٤٠
المراصد والمصابيح: ٢٤٢
الحبس، والتجويع ووضع الأغلال:................................. ٢٤٣
المكافآت لمن دل على المعارضين: ٢٤٥

صرف الجيوش إلى حرب الحسين ×:.......................... ٢٤٦
الأشراف من أدوات التخذيل:....................................... ٢٤٧
الفصل الخامس: إلى بيت هاني.. .... ٢٤٩
مسلم في بيت هاني بن عروة: ٢٥١
عدد المبايعين:... ٢٥٤
هاني يكره إجارة مسلم:... ٢٥٥
هاني بن ورقة:.. ٢٥٩
اختلاف النصوص:... ٢٥٩
شدة التكتم على مكان مسلم:....................................... ٢٦٠
العجلة لا خير فيها:... ٢٦٠
حديث القاسم بن سلام:.. ٢٦١
مسلم يكتب للحسين ×:.. ٢٦١
لفت نظر: ٢٦٣
الفصل السادس: الزائر المشؤوم.................................. ٢٦٤
النصوص على اختلافها:... ٢٦٦
روايات مرض أو تمارض هاني:.................................... ٢٦٦
روايات مرض شريك:... ٢٦٨
شريك، وهاني يمرضان:... ٢٧١
الرواية المقبولة والمعقولة:.. ٢٧٤
اختلاف الروايات المتقدمة: ٢٧٧

ابن زياد لا يدخل بيوت الشيعة: ٢٧٨

السرية ضرورية:.. ٢٨٣

لماذا ينفذ مسلم مخطط الاغتيال؟!: ٢٨٤

تبرير فعل السلطة بمسلم وزعماء القبائل:......................... ٢٨٦

في القصة إهانة لمسلم:... ٢٨٦

الإسلام قيد الفتك:... ٢٩٠

قتلتني وقتلت نفسها: ٢٩٣

من مفاخر مسلم &:... ٢٩٣

الفتك في اللغة: ٢٩٤

التحريف المشبوه: ٢٩٥

الفتك بإذن الإمام: ٢٩٦

كيف نقرأ كلمة «قيد»؟!: ٢٩٧

عمن يروي مسلم حديث الفتك؟! ٢٩٨

لم يكن مسلم جباناً:... ٢٩٩

لا خلاف بين شريك وهاني: ٣٠٠

اختلافات في الأسماء: ٣٠١

في بيت شريك أم في بيت هاني؟!: ٣٠٢

متى علم ابن زياد بما دبروه له؟!: ٣٠٢

محاولة لاغتيال ابن زياد: ٣٠٣
الفصل السابع: إستدراج هاني إلى القصر............ ٣٠٦
حديث معقل: ٣٠٨
لا ضعف في الإحتياطات الأمنية: ٣١٠
عبد الله بن يقطر الشهيد المظلوم:........................... ٣١٣
متى حدث هذا؟!: ٣١٦
ابن يقطر أو ابن يقطين: ٣١٦
رضيع الحسين ×:... ٣١٨
ألم يرتضع الحسين من أمه ÷؟!: ٣٢٠
لماذا الحديث عن المرضعات والحواضن؟!: ٣٢١
الكتاب ممن، وإلى من؟!:.. ٣٢٢
رسول الحسين بن فاطمة ‘:.. ٣٢٥
ابن يقطر ثاني الشهداء:.. ٣٢٦
الباب السادس: القيام.. والإستشهاد.. .... ٣٢٨
الفصل الأول: الشهيد هاني بن عروة.. .... ٣٣٠
هاني الأسير المظلوم:.. ٣٣٢
زيارة السلطان حق على الأشراف: ٣٤٠
الرسل المحتالون:.. ٣٤١
الأمير مؤدب: ٣٤١
عمرو بن الحجاج الأشر والأضر: ٣٤٣

عمرو بن الحجاج متآمر محترف:.................................. ٣٤٤
أرباح عمرو بن الحجاج:.. ٣٤٥
للتخفيف من جرم شريح: ٣٤٦
لماذا العطف على شريح؟!:....................................... ٣٤٩
شريح من وعاظ السلاطين:.. ٣٥١
لا بد من الوفاء: ٣٥٢
إذن تكثر البارقة حول دارك:...................................... ٣٥٣
أحروري سائر اليوم؟!:... ٣٥٤
يمتن عليه بعدم قتل أبيه:.. ٣٥٥
ابن زياد مطمئن:... ٣٥٦
شجاعة ابن التسعين: ٣٦١
لماذا لم يخرجوا عمال بني أمية؟!: ٣٦٢
الإمام لم يخطئ هذا الرأي: ٣٦٥
إستدراج هاني بن عروة:.. ٣٦٦
أسماء بن خارجة ضرب أيضاً: ٣٦٧